

سلسلة  
أبحاث ودراسات

٤

مراجعات في

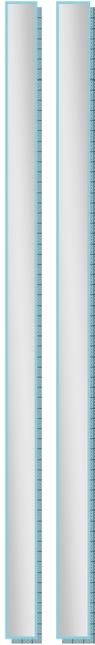
# الفكر والعمل الدعوي

محمد غسان الجبّان

الجنيد الحسيني



سلسلة  
دراسات وأبحاث  
(٤)



مراجعات  
في الفكر والعمل  
الدعوي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

سورية - دمشق

## الإهداء

إلى الدعاة الريانيين ...

- الراحمين الذين يرحمون الناس ...
- الذين يرفضون التطرف والتعصب، ويعملون باعتدال وتوسط ..
- الذين يوحدون ولا يفرقون ، ويبشرون ولا يُنصرون ، ويُيسرون ولا يُعسرون.
- الذين يأخذون من الماضي ما ينفعهم في حاضرهم .. ويعملون في حاضرهم ما يساهم في بناء مستقبلهم المشرق ..
- الذين لهم بصيرة نافذة، يستشرفون المستقبل، ويتدبرون العواقب ..
- الذين ينفثون على عصرهم، فيجلبون المصالح للأمة ويدروون عنها المفاصد ..
- أصحاب النفوس المزكاة، والقلوب الطاهرة، والعقول النيرة ...

أهدي هذا الكتاب

المؤلف

## مُقَدِّمَةٌ

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك ربي بجميع محامدك ما علمت منها وما لم أعلم، على جميع نعمك ما علمت منها وما لم أعلم، حمداً يليق بفضلك وعطائك، وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ﷺ، الداعي إلى ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وكان بالْمُؤْمِنِينَ رُؤُوفاً رَحِيماً.. وعلى آله وصحبه، وكل من دعا بدعوته واهتدى بهديه إلى يوم الدين.

وبعد:

\* فقد ذكرت في مقدمة كتاب "مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية" .. أن من أهم خصائص رسالة النبي ﷺ، أن الدعوة إليها وإقناع الناس بها، وتبنيها سلوكاً وعملاً والتزاماً ودعوةً، ونشرها في كل أنحاء الأرض، كل ذلك جزء لا يتجزأ من أهدافها الكبرى في بناء عالم متحضر يسوده الإيمان والأمن والسلام والرخاء والأخوة الإنسانية..

وبما أن الله تعالى كلف النبي ﷺ تبليغ الرسالة للناس كافة بقوله:

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة سبأ] فمن الذي سيبلغ الرسالة الإسلامية للناس في مشارق الأرض ومغاربها بعد النبي ﷺ؟!..

وهل يُعقل أن يُترك هؤلاء الناس بلا تبليغ ثم يحاسبون؟!..

\* إذًا... لا بد من وجود الدعاة المبلغين في كل زمان ومكان، وتحمّل الأمة الإسلامية بحكامها وعلمائها وأغنيائها رجالاً ونساءً وكل من له صلة بهذا الأمر المسؤولية بتهيئة وإعداد الدعاة المبلغين بالمستوى المطلوب والأعداد الكافية، وإن لم تفعل الأمة فما بلغت الرسالة وتحمّل المسؤولية بين يدي الله تعالى.

لذلك فإن الله تعالى أمر رسوله محمداً ﷺ وأتباعه من الدعاة الصادقين بنشر الرسالة الإسلامية، وتبليغها إلى الناس، وبيان عقيدتها وأحكامها وأخلاقها على بصيرة وعلم وفهم. قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [سورة يوسف].

إن الدعوة إلى الله تعالى هم روح الأمة ومستقبلها، بهم تحيا وتنهض، وبهم تقوى ويشتد عودها، وبهم تُجدد شبابها وحيويتها.. هذا إن قاموا بواجباتهم، وأحسنوا الأداء، وحققوا الأهداف.. أما إذا قصرُوا فإنها تتخلف بتقصيرهم، وإذا انخرقوا فستبتلى بهم...

## إضاءة

إن الدعاة الصادقين أصحاب الإنجازات الكبيرة في تاريخ الدعوة، أوتوا قلوباً منوّرة مؤثرة حيّة تتسع للحلم والصبر والتحمل... وبصيرة نافذة تستشرف المستقبل وتتدبر العواقب، وألسنة متصلة بالقلوب تنطق بالحكمة وقوة البيان والبرهان، فيستقرّ كلامهم في القلوب، يقتنع الناس بكمال أخلاقهم قبل أن يقتنعوا بقوة حجّتهم، تجلس إليهم وأنت قادم من عالم غريب عن قيمهم وطبائعهم، فيسري فيك نور دافئ يستقر في جنانك، وتنزل السكينة في قلبك وتسكن لهذا جوارحك، فتأنس بمجالستهم وترتاح لصحبتهم، فتقوم من مجلسهم إنساناً آخر غير الذي كنت، تشع من قلبك وعقلك أنوار الإيمان، وتتفجر في وجودك طاقة إيمانية لا تهدأ، تدفعك للدعوة إلى الله تعالى كما يدعون، وتنطق بالحكمة كما ينطقون، وتنطبع فيك أخلاقهم ومزاياهم وربانيتهم... فتُعرف بهم..

إنهم أحباب الله وخاصته من خلقه، ممن اجتباهم الله تعالى واختارهم للدعوة إليه..، إنهم صنف عجيب من الناس، لا يهدأ لهم بال، ولا تفتقر لهم عزيمة، حتى يبلغوا رسالة الله تعالى، يخشونه ولا يخشون معه أحداً..

يؤثرون ولا يتأثرون، ويصّبغون ولا ينصبغون، يُعطون ويضحون، يمنحون ولا يسألون الناس أجراً..

قلوبهم حيّة بالله تعالى، تسكب الحياة على من حولها من موتى القلوب، فتحيا بالله تعالى..، يواصلون العمل بالليل والنهار، وهم من خشية ربهم مشفقون، وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون، مطمئنة قلوبهم بذكر الله، وتتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، يأنس بهم الليل وبه يأنسون، أصواتهم معروفة في عالم الملكوت.

يبعثون روح الإسلام في الناس فتصحو الأمة من رقدتها، وتسري الحياة في عروقها، وتخضر أوراق مجدها، وتظهر ثمرات قوتها وكرامتها..

إنهم الربانيون من الدعوة.. وأما غيرهم فهم الأعداء.

\* ومع أن العالم يشهد في تاريخنا المعاصر صحوة إسلامية مباركة،  
بجهود الآلاف من الدعوة الربانيين على مدى عقود من الزمن.. إلا أنها  
تحتاج منا لجهود كبيرة تُبذل في اتجاهين:

الاتجاه الأول: دعم هذه الصحوة ورفدها بكل أسباب النجاح، وتنمية  
مواطن قوتها وتألقتها، والارتقاء بمستوى أدائها.

والاتجاه الثاني: ترشيدها، وتصويبها، ومعالجة مواطن الضعف والخلل  
ومكامن العلل فيها.

#### رؤية

إن النجاحات يجب ألا تُلهينا عن إجراء مراجعات دائمة ونقد ذاتي  
لمسيرتنا الدعوية، وإن ضيق صدر بعض العاملين بهذا النقد الذاتي  
والمراجعات، أو ترحيب البعض بهذا نظرياً، ومحاربتة عملياً وميدانياً،  
سيؤدي إلى ترسيخ الضعف والقصور في العمل الإسلامي الدعوي، وفشله  
في تحقيق أهدافه.

إن عملية المراجعة والنقد الذاتي والتصويبات عملية بناء ونمو وتجديد...،  
ورفضها ومحاربتها هو عملية هدم وضمور وجمود..

## واجب

يجب أن نفتح الباب لهذا الأمر على مصراعيه، وأن نخضع أعمالنا الدعوية للبحث والدراسة والتمحيص والتقويم والإصلاح، وندريب أبناء الدعوة على الحوار وتبادل الأفكار، ونجتهد في تحرير العقول، ونمكن لحرية التفكير واحترام الرأي الآخر، ونرسخ مفهوم الشورى في كل أعمالنا الدعوية، ونحترم القرارات الشورية لكونها ملزمة.

## واجب

علينا التعامل مع الاجتهادات في مجال العمل الدعوي، بصفحتها اجتهادات في الفروع، وخاضعة لقواعد السياسة الشرعية ومقاصد الشريعة، وهي قابلة للخطأ والصواب.. فلا يصح أن نكفر أحداً، ولا يصح الإنكار على المجتهد المخالف لنا في الفروع، ولا قداسة لأي اجتهاد بشري، فكل يُؤخذُ منه ويُردُّ عليه إلا رسول الله ﷺ .

\* إن أزمة الفكر التي يعاني منها العمل الدعوي الإسلامي، هي أشدُّ خطراً من سائر أزماته، فبسببها يظهر التطرف والعنف، فنرى فئات من الشباب المسلم المتحمس من لا يملك مؤهلات قيادة العمل الإسلامي، وبخاصة الحكمة والجانب الفكري والعلمي..، يتزعم بعض الجماعات وينحو بها نحو التطرف والعنف مما يعرض العمل الإسلامي على نحو عام للمخاطر الناجمة عن ردة فعل المعادين للإسلام، بهجومهم وحرهم على الإسلام دون تمييز، تحت ذريعة محاربة العنف والتطرف والإرهاب. إن هذا الشباب المتحمس لم يستطع الاستفادة من الأحداث السابقة، والدروس والعبر المستفادة منها.

\* وبسبب أزمة الفكر التي يعاني منها العمل الإسلامي، يفشل المتطرفون في التعامل مع المسلمين وغير المسلمين..

\* فالتعامل مع المسلمين: يوجب عدم تكفيرهم، وعدم تفسيق المجتهد منهم المخالف في الرأي، ويوجب تحسين الظن بالمسلمين، وفتح حوارات معهم لكشف الحقيقة وإصلاح ما فسد.

والتعامل مع غير المسلمين من المسالمين: يوجب أن نتعامل معهم بالرحمة والرفق، وأن ندعوهم ونبين لهم حقائق الإسلام بالبرهان والدليل المقنع، وأن نصحح لهم المفاهيم الخاطئة التي حملوها عن الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن...

ويجب أن نتحلى بالصبر وقوة الإرادة بسبب مشقة المهمة وصعوبة تغيير قناعات الناس، وأن نمتلك القدرة على تحمل الأذى وعدم مقابلة الإساءة بالمثل، وأن نأخذ بأيدي الناس البعيدين عن الإسلام إلى رحابه باللطف واللين والحكمة كما أخذ غيرنا بأيدينا فَمَنْ اللهُ عَلَيْنَا بمعرفة الإسلام والعمل به.

وبسبب أزمة الفكر في العمل الدعوي الإسلامي، ظهرت فئات تتعامل بمنطق خشبي وجمود مع التراث، وتعيش منسلخةً من عصرها إلى عصر غيرها.

وبسبب أزمة الفكر هذه، ظهرت فئات قلوبها وعقولها قلوبٌ وعقولٌ غريبةٌ ومتغربةٌ عن مجتمعاتنا وثقافتنا وقيمنا، تريدنا أن ننخلع من ديننا وقيمنا، وأن نستبدل بدمائنا دماءً غريبة، وبثقافتنا ثقافةً غريبة، آخذين بجلوها ومرها، وصحيحها وسقيمها..

\* وهذا الكتاب يبحث في العوائق والعلل والإشكاليات الموجودة في بعض جماعات الدعوة والعمل الإسلامي العام..

ويعالج موضوعات افتقاد التخطيط والبرمجة والتقويم والتعديل والتطوير..، والعلل في الرؤية وتحديد الأهداف..، وعللة الاستعجال وغياب فقه الأولويات..، وغياب فقه التدرج في المراحل والزمن..، وافتقاد تنمية المهارات..، والضعف في التخصص والإعلام ومهارات التواصل..، والضعف في إنتاج قيادات مؤهلة..، وعللة التعصب للجماعة وافتقاد التعاون والتنسيق بين الجماعات الإسلامية..، وإشكالية الفردية والجماعية في العمل الإسلامي..، وإشكالية الطاعة ومفهوم الجماعة..، وإشكالية الولاء والوفاء..، وعللة التطرف وافتقاد المرجعية العامة..، وعللة الصراع بين الجماعات الإسلامية والصراع في الجماعة الواحدة..، وإشكالية العلاقة مع الحكومات..، وعللة الغرور والاستهانة بالخصوم وضعف الإعداد..، وإشكالية تأمين معيشة الدعوة..، وأزمة الفكر بين التفلت والجمود..، وعللة النمو ثم الضمور ثم التفتت والتشظي..

\* وهذا الكتاب يبحث في العوائق والعلل الموجودة في بعض المنتسبين إلى العمل الدعوي ويعالج:

- موضوع الضعف في العلم والمعرفة والثقافة وفهم مقاصد الإسلام..
- وموضوع الضعف في الوعي والنضج والحكمة ومعرفة الواقع..
- وموضوع الضعف في الخبرات والتأهيل والتدريب..
- وموضوع الضعف في التربية الروحية والتزكية..
- وموضوع الضعف في الإرادة والعزيمة والحماسة والقدرة على التضحية.

وموضوع الإفراط والتفريط..

وموضوع الخوف على المعيشة..

وموضوع التأثير السلبي بأمراض المجتمع..

\* وهذا الكتاب جزء من سلسلة كتب تُعنى بموضوع الدعوة إلى الله

تعالى، ستصدر خلال مدّة قريبة بمشيئة الله تعالى، وهي:

١- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية.

٢- مراجعات في الفكر والعمل الدعوي.

٣- الوصايا. (للدعاة).

فقد غرستها منذ سنوات عديدة، فظهرت زهرتها، ونضجت ثمرتها،

وأقبل خيرها، بفضل الله تعالى.

\* إنني إذ أقدم هذه السلسلة لجيل الصحوة الإسلامية عموماً، وللدعاة

إلى الله تعالى خصوصاً، أرجو من الله تبارك وتعالى أن يجعلها من العلم

النافع الذي ينفعني في الدنيا والآخرة، وأن يجعل فيها بركاته، ونظرات

سيدنا محمد ﷺ، وأن يكرمنا برؤية الأعمال الدعوية وقد نضجت ورشدت

واشتدّ عودها وحققت أهدافها..

وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم..

والحمد لله رب العالمين

محمد غسان الجبّان

الجندي الحسيني

## الفصل الأول



# عوائق ونقاط ضعف في بعض المنتسبين إلى الدعوة

المبحث الأول: العوائق.

- ❑ العائق الأول: ضعف التربية الروحية والتزكية ومجاهدة النفس.
- ❑ العائق الثاني: علّتا الإفراط والتفريط.
- ❑ العائق الثالث: الضعف في مستوى العلم والمعرفة والثقافة.
- ❑ العائق الرابع: الضعف في فهم مقاصد الشريعة الإسلامية.
- ❑ العائق الخامس: الضعف في الوعي والنضج والحكمة.
- ❑ العائق السادس: علة الانعزال وعدم معرفة الواقع.
- ❑ العائق السابع: الضعف في الخبرات والتأهيل والتدريب.

العائق الثامن: الضعف في المؤهلات الإدارية والقيادية.

العائق التاسع: ضعف الإرادة والعزيمة والحماسة.

العائق العاشر: ضعف القدرة على التضحية.

العائق الحادي عشر: التأثير السلبي بأمراض المجتمع.

العائق الثاني عشر: الخوف على المعيشة.

المبحث الثاني: من وسائل العلاج.

## تهديد

من المؤكد لدى خبراء الدعوة والمتخصصين فيها أن هناك أمراضاً يُصاب بها المنتسبون إلى العمل الدعوي...

وأن هناك أمراضاً تعتري العمل الدعوي ذاته..

وهي أمراض تستوجب العلاج لتبرأ منها الدعوة؛ لأنها إن لم تُعالج بحزم وعزيمة فإنها ستؤدي إلى فشل الدعوة المؤكد..

وعندما نتحدث عن نقاط الضعف عند بعض المنتسبين إلى العمل الدعوي، فإن هذا ليس مدعاة إلى اليأس والقنوط، بل هو مدعاة للاستيقاظ والتنبه إلى مواضع الخلل من جهة، وإعادة النظر والتدقيق في البرامج والواقع من جهة أخرى، ثم الحرص على استدراك ما نقص، ومعالجة نقاط الضعف، وتحسين نقاط القوة..

- فهناك دعاة ربانيون متألقون، أحسنوا الإعداد والتأهيل وحصلوا على مراتب عالية في السلوك والتحصيل والتطبيق، وما زالوا يجتهدون ويجاهدون لتحصيل الأفضل..

- وهناك منتسبون للدعوة، حصلوا بعض الجوانب وقصروا في جوانب أخرى، وهم بحاجة إلى من يذكرهم ويستحث همهم ليستكملوا ما هو مطلوب منهم ..

- وهناك منتسبون للدعوة انحرفوا عن جادة الصواب، وليس لهم إلا أحد خيارين إما أن يتوبوا ويصلحوا ما بينهم وبين الله تعالى، ويستدركوا ما فات، أو يواجهون رأياً عاماً مثقفاً وعارفاً ومتيقظاً، يُحجمهم ويحذر منهم وينبه إليهم..

### رؤية

إن تشكيل رأي عام دعوي، يضغط على المفرطين والمخطئين من المنتسبين إلى مسيرة الدعوة باتجاه إصلاح ما فسد وتنمية ما صلح، أمر في غاية الأهمية لضمان سلامة مسيرة العمل الدعوي..

## المبحث الأول العوائق

### العائق الأول: ضعف التربية الروحية والتزكية ومجاهدة النفس.

#### حقيقة

إن الدعوة الذين يمتلكون العقل الراشد والحكمة، والفهم والعلم بشرع الله تعالى، والخلق الحسن، وقد تزكت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وصفت أرواحهم فاستقاموا على الأدب مع الله تعالى، هم وحدهم الذين يؤخذ عنهم ويُقتدى بهم، ويطاعون بالمعروف، وبهؤلاء تستقيم الحياة، وتتحقق النجاحات، وتنتشر قيم ومبادئ الدعوة إلى الله تعالى.

أما الأذعياء المنحرفون الذي يتصنعون ويتاجرون بالدين سعياً وراء مصالحهم وأمجادهم، وليس لتحقيق مصالح الدين والأمة، فهؤلاء لا يجوز بحال التسليم إليهم أو الانقياد لهم أو الأخذ بأرائهم .. لأنهم يُشوهون الإسلام ويفتنون الناس، ويصدونهم عن الدين الحق.

ويمثل هؤلاء الدعوة الأذعياء قدوة سيئة للناس، بسبب الأمراض السلوكية التي تعترتهم، والناجمة عن عدم تزكية نفوسهم، وخضوعهم لأهوائهم وشهواتهم..

يقول الشاعر:

يا واعظَ الناس قد أصبحت مُتَّهَمًا      إذ عبتَ منهم أموراً أنت تأتيها<sup>(١)</sup>  
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً      والموبقات لعمري أنت جانيها  
تعيب دنيا وناساً راغبين لها      وأنت أكثر الناس رغبة فيها

إن طغيان الأهواء وبسط سلطانها على النفوس، يوقع أصحابها في الشرور والآثام فتحيط بهم من كل جانب، فلا يكادون يجدون للتخلص منها سبيلاً..

● فكم من خطيب مفوه، وواعظ بليغ، طغت نفسه فأصابه الكبر والغرور والعجب، فأنحرف عن جادة الدعوة إلى الله تعالى..

#### إضاءة

إن مرض الغرور والعجب من أخطر الأمراض التي تصيب الدعوة فتقضي عليهم؛ لأن الدعوة تجلب إعجاب المعجبين، وثناء المادحين، ومداينة المداهنين، وتلفت الأنظار، وتمنح الشهرة.. فإذا كانت القلوب والنفوس غير مزكّاة، كان ذلك سبباً في هلاكها.

يتحدث الإمام الغزالي عن أصناف من المغرورين من أهل العلم،

فيقول:

(( وفرقة أخرى اشتغلوا بالوعظ والتذكير. وأعلاهم رتبة من يتكلم في أخلاق النفس، وصفات القلب، من الخوف والرجاء والصبر والشكر

(١) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، (٣٨/٤).

والتوكل والزهد واليقين والإخلاص والصدق ونظائره، وهم مغرورون، يظنون بأنفسهم أنهم إذا تكلموا بهذه الصفات، ودَعَوْا الخلق إليها، فقد صاروا موصوفين بهذه الصفات، وهم منفكُون عنها عند الله، إلا عن قدر يسير لا ينفكُّ عنه عوام المسلمين. وغرور هؤلاء أشد الغرور؛ لأنهم يعجبون بأنفسهم غاية الإعجاب، ويظنون أنهم ما تبَحَّرُوا في علم المحبة إلا وهم محبُّون لله، وما قدرُوا على تحقيق دقائق الإخلاص إلا وهم مخلصون، وما وقعُوا على خفايا عيوب النفس إلا وهم عنها منزَّهون. ولولا أنه مقرَّب عند الله لما عرفَّه معنى القرب، والبعد، وعلم السلوك إلى الله، وكيفية قطع المنازل في طريق الله. فالمسكين بهذه الظنون يرى أنه من الخائفين وهو آمن من الله تعالى، ويرى أنه من الراجين وهو من المغتبرين المضيعين، ويرى أنه من الراضين بقضاء الله وهو من الساخطين، ويرى أنه من المتوكلين على الله وهو من المتكلمين على العز والجاه والمال والأسباب، ويرى أنه من المخلصين وهو من المرائين...، ويذمُّ الصفات المذمومة وهو بها متصفٌ، ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق أشدَّ حرصاً، لو مُنِع عن مجلسه الذي يدعو الناس فيه إلى الله لضاقت عليه الأرض بما رحبت، ويزعم أن غرضه إصلاح الخلق. ولو ظهر من أقرانه من أقبل الخلق عليه، وصلحوا على يديه، لمات غمماً وحسداً. ولو أثنى أحد من المترددين إليه على بعض أقرانه لكان أبغض خلق الله إليه.

فهؤلاء أعظم الناس غرة، وأبعدهم عن التنبه والرجوع إلى السداد؛ لأن المرغَّب في الأخلاق المحمودة، والمنفَّر عن المذمومة، هو العلم بغوائلها وفوائدها، وهذا قد عَلِمَ ذلك ولم ينفعه، وشغله حب دعوة الخلق عن

العمل به، فبعد ذلك بماذا يعالج؟ وكيف سبيل تخويفه وإنما المخوف ما يتلوه على عباد الله فيخافون، وهو ليس بخائف؟ نعم. إن ظن نفسه أنه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن أن يدل على طريق الامتحان والتجربة، وهو أن يدعي مثلاً حب الله، فما الذي تركه من محاب نفسه لأجله؟ ويدعي الخوف، فما الذي امتنع منه بالخوف؟ ويدعي الزهد، فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى؟ ويدعي الأنس بالله، فمتى طابت له الخلوة، ومتى استوحش من مشاهدة الخلق؟ لا بل يرى قلبه يمتلي بالخلوة إذا أحدق به المريدون. وتراه يستوحش إذا خلا بالله تعالى، فهل رأيت محباً يستوحش من محبوه ويستروح منه إلى غيره؟ ...

ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور.

وفرقه أخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ، وهم وعاظ أهل هذا الزمان كافة، إلا من عصمه الله على الدور في بعض أطراف البلاد إن كان، ولسنا نعرفه، فاشتغلوا بالطامات والشطح وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل؛ طلباً للإغراب.

وطائفة شغفوا بطيارات النكت، وتسجيع الألفاظ، وتلفيقها، فأكثر همهم بالأسجاع، والاستشهاد بأشعار الوصال والفراق، وغرضهم أن تكثر في مجالستهم الزعقات والتواجد، ولو على أغراض فاسدة. فهؤلاء شياطين الإنس، ضلوا وأضلوا عن سواء السبيل. فإن الأولين وإن لم يصلحوا أنفسهم فقد أصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم. وأما هؤلاء فإنهم يصدون عن سبيل الله، ويجرون الخلق إلى الغرور بالله بلفظ الرجاء، فيزيدهم

كلامهم جراءةً على المعاصي، ورغبةً في الدنيا، لاسيما إذا كان الواعظ متزينا بالثياب، والخيل، والمراكب، فإنه تشهد هيئته من فرقه إلى قدمه بشدة حرصه على الدنيا، فما يفسده هذا المغرور أكثر مما يصلحه، بل لا يصلح أصلاً، ويضل خلقاً كثيراً. ولا يخفى وجه كونه مغروراً<sup>(١)</sup>.

### واجب

إن من واجب الداعي إلى الله تعالى أن يصحح نياته، وينقي نفسه ومشاعره وأحاسيسه من كل ما يلوثها من جرائم الغرور والعجب، بعد تنفيذه لخطاب ارتجله، أو محاضرة ألقاها، أو كتاب ألفه، أو نجاح حققه..وليكن همه تحصيل رضوان الله تعالى، وقبول العمل، والاستغفار من كل شائبة شابته..

• وبعض المغرورين المعجبين بأنفسهم استمروا في دائرة الدعوة فأصبحوا عبئاً عليها وجزءاً من مشكلاتها، وبخاصة مساهمتهم في شق صفوف العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، بعد أن تحولوا إلى باحثين عن الزعامة والرياسة وحظوظ الدنيا..

### الغرور يقصم الظهور.

### حقيقة

• وكم رأينا أناساً بدؤوا حياتهم بصحبة الدعوة، فقلدوهم وظنوا أنفسهم أنهم أصبحوا دعاة، ولكنهم لم يذكوا أنفسهم، ولم يُجاهدوها، واتبعوا أهواءهم، فسقطوا أمام المغريات...

بعضهم سقط أمام مغريات المصالح، فتحول من داعية إلى الإسلام

(١) إحياء علوم الدين، (٤/٢٠٩ وما بعدها).

ظاهراً إلى داعية إلى مصالحة، يبحث عن الشهرة والظهور، واحتلاب<sup>(١)</sup> المال باسم الدين والدعوة إليه..

وبعضهم سقط أمام مغريات المال، وغرق في الأموال وتحصيلها بغير ضوابط، مثله كمثل الجاهلين الذين لا يجللون ولا يجرمون، وكأنه لم يكن له صلة في يوم من الأيام بالإسلام ودعوته..

وبعضهم سقط أمام مغريات الجنس!!..فترك العمل الدعوي وانغمس بالموبقات حتى قضت عليه..

● وكم رأينا أناساً نسبوا أنفسهم للدعوة الإسلامية، ولم يذكروا أنفسهم، ولم يجاهدوها، واستسلموا لأهوائها، فأصيبوا بأمراض النفس الأمارة بالسوء، فأصبح بعضهم مصاباً بمرض الحسد، لا يستطيع أن يرى أحداً من العاملين في الدعوة إلى الله تعالى يفوقه نجاحاً وتميزاً..وبعضهم أضاف إلى الحسد البغضاء، وبعضهم أضاف إلى ذلك العداوة والحقد!!..

كيف تستقيم أمور الدعوة وأمراض النفوس تملأ النفوس؟!..

حقيقة

وما رأيكم إذا انتقلت هذه الأمراض إلى التلاميذ المقتدين بأستاذهم؟!..

(١) احتلب الشاة: استخرج حليبها.

وكيف ستكون حال العلاقات بين جماعات الدعوة، وهل ستكون حينئذ دعوة إلى سبيل الله أو إلى سبيل الأشخاص؟!..!!

● ومن الأمراض التي تصيب بعض المنتسبين إلى الدعوة نتيجةً لإهمال تزكية نفوسهم، واتباعهم لأهوائهم قسوة القلب والغفلة عن الله تعالى ومراقبته..

#### حقيقة

عندما لا يستحي الداعي من نظر الله تعالى إليه، فلا تسأل عن حجم المخالفات التي يمكن أن يقع فيها، والموبقات التي تترتب عليها!!..

لا تسأل عن مخالفته للمبادئ والقيم الدعوية!!..

لا تسأل عن السلوكيات المرقعة التي يصعب على الناس غير المتخصصين تمييز ما هو إسلامي منها وما ليس بذلك!!..

لا تسأل عن الوجهين والسلوكين في السر والعلانية!!..

كيف يكون مع الناس؟!.. وكيف يكون عندما يخلو بنفسه؟!..

● وبعض الأشخاص الذين ينتسبون للدعوة ولم تتزك نفوسهم، ترى من سوء أخلاقهم ورذائل صفاتهم ما لا تجده عند عوام الناس!!..

- كيف يكون داعياً إلى الله تعالى من يشتم الناس بيذئ الألفاظ وأفحشها، ثم يصعد المنبر ليحدث الناس عن حسن الخلق ومكانته في الإسلام؟!..

- كيف يكون داعياً إلى الله تعالى من يفرق جماعات الدعوة ويمزقها،

ثم يصعد المنبر ليحدث الناس عن فضائل توحيد الجهود ، والتعاون على البر والتقوى والدعوة إلى الإسلام؟!...!!

- كيف يكون داعياً إلى الله تعالى من يؤذي الناس في أمنهم وأمانهم، ويمكر بهم ويتآمر عليهم خفية، ثم يصعد المنبر ليحدث الناس عن قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا كَتَبْنَا لَهُمْ فَحَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُم اتَّخَذُوا ضَلَالَتَهُمْ حَقِيصًا ﴾ [سورة الأحزاب].

هل رأيتم ماذا ينتج عن فقدان تزكية النفوس ومجاهدتها والاستسلام لأهوائها؟!...!!

أين الربانية في الدعوة إلى الله تعالى أمام هذا الواقع؟!...!!

#### حقيقة

إن نشر مبادئ الدعوة الإسلامية وتمكينها في قلوب الناس، وإقناعهم بها، ليحملوها بحماسة وقناعة والتزام كامل، لا يمكن أن يكون إلا على يد أهل الذكر والحكمة والعلم والتزكية، أما إسلام المظاهر والمصالح والفساد، فلا يمكن أن يصل إلى قناعة الناس بعد ما لوثته أفكار وأعمال هؤلاء الأعداء.

لذلك كان الدخول في مدرسة الذكر والتخلي بالتقوى والسورع والأدب مع الله، ومراعاة نظره على كل حال، واجباً حتمياً على كل من يريد العمل في مجال الدعوة إلى الله .. لأن القلب إذا حجب عن الله وأصابه العمى وانطمس نوره، فعندئذ لا يرى صاحبه الحقائق ولا يخضع لها، ويتبع الهوى، فلا ينكر باطلاً ولا ينصر حقاً، ولا يستطيع أن يكون داعياً إلى الله تعالى.

### إضاءة

إن الدعوة إلى الله تعالى في الواقع ليست مجرد فكر.. أو علم .. أو خطة لمشروع تستطيع تنفيذه بمهاراتك الخاصة.. إنها أكثر من ذلك بكثير .. إن الدعوة إلى الله تعالى مخاطبة للعقل والقلب.. فالعقل يخاطبه العقل العالم.. والقلب يخاطبه القلب الذاكر..

إن قراءة العلوم وحدها لا تصنع منك داعياً مؤثراً وناجحاً، فأنت تحتاج - فضلاً عن العلم - إلى أمرين. أولهما: تزكية نفسك لتخليها وتُنقيها من عيوبها ورذائلها، ثم تُحلِّيها بفضائل الأخلاق. والثاني: الذكر وصلة القلب بالله ﷻ<sup>(١)</sup>.

### العائق الثاني: علتنا الإفراط والتفريط.

وهما من أخطر الأمراض التي تصيب بعض المنتسبين للدعوة، وتؤثر سلباً على مسيرة الدعوة الإسلامية..

#### أولاً: الإفراط والخلو والتشدد:

فهناك منتسبون للدعوة متشددون مفرطون يسابق بعضهم بعضاً في التشدد والتطرف.. إما جهلاً أو أملاً في السيطرة على أسواق الدعوة.. وقد جمعوا بين نقيصتين أو عيين..!!

نقيصة في الفهم والعلم.. فهم يخالفون نهج الإسلام القائم على التيسير

(١) انظر: كتاب ذكر الله تعالى طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق، للمؤلف.

ورفع الحرج بعيداً عن التعسير<sup>(١)</sup>.

ونقيصة في الإخلاص لوجه الله تعالى، فهم يبحثون عن كثرة المصنفين من الجهلاء بحقائق الإسلام، من المتشددین المتطرفین..

ومحصلة عمل هؤلاء شق صفوف العمل الإسلامي... وإنتاج مستنبات تطرف وغلو تأخذ المجتمعات الإسلامية نحو الاحتراب الداخلي والمنازعات على قضايا تافهة بعضها يتصل بالشكل بعيداً عن المضمون، وبعضها يتصل بأمور فكرية بعيدة كل البعد عن المهموم والقضايا الاستراتيجية التي تعاني منها الأمة الإسلامية اليوم.. وفي مقدمتها أن تكون أمة رائدة متقدمة علمياً وتكنولوجياً واقتصادياً وسياسياً وتربوياً واجتماعياً وحضارياً.. أمة لها مكائنها المرموقة بين القوى الكبرى في العالم..

#### إضاءة

وبعض هؤلاء يتطرفون بل يتطرفون في التطرف فيكفرون المسلمين والمسلمات والمجتمعات الإسلامية، ويستبيحون دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ويرتكبون من الفضائح ما يندى له الجبين، ويشوهون الإسلام وسمعته، فيصدون عن سبيل الله تعالى. ومع ذلك ينتطعون ويستعلون ويقدمون أنفسهم على أنهم حماة الإسلام والشريعة، وأنهم الفئة الناجية يوم القيامة.

فتأمل!!..

(١) انظر: قواعد الدعوة، في كتاب مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.

## ثانياً: التفريط والتنازل:

وهناك أدياء مفرطون يتسابقون في التفريط، وتقديم التنازلات عن ثوابت الإسلام.. وهؤلاء يسوقون أنفسهم في أسواق الدعوة بصفتهم دعاة مجددين ومتنورين.. وهم على صنفين رئيسين:

**الصنف الأول:** أصحاب مصالح هم أحرص الناس على حياة، يفرطون ويقدمون تنازلات لتحقيق المكاسب والمصالح المادية والمعنوية.. لا يهمهم شأن الدعوة الإسلامية ومستقبلها ومستقبل أجيالها..

يسوقون أنفسهم لدى أصحاب النفوذ السلطوي أو المالي.. فبدل أن يكونوا ناصحين أمناء صادقين، فإنهم يسوغون للمخطئين أخطاءهم، بل يشجعونها أي يصفون عليها صفة الصحة من وجهة نظر الشرع.. فإذا كان صاحب المال متغولاً يتعامل بالربا، حللوا له الربا، وأوحوا له أنه من يجرم أخذ الفوائد من البنوك الربوية متشددون متعصبون متحجرون خشبيون يعيشون في غير عصرهم، وأنهم نصيون لا يملكون عقلاً يفقه مقاصد النص..

أما هم فمتحررون متنورون مجددون يفهمون روح الشريعة ولا يتقيدون بشكلياتها؛ لأن الأحكام تتغير بتغير الأزمان!!.. ويخلطون بين الثابت والمتغير!!..

وإذا كانت بناقهم يخرجن كاسيات عاريات.. فلا مشكلة!!..

ولا يحتاج الأمر إلى تشدد المتشددين المتعصبين.. فالشرع عندهم يهتم بالعفة ولا يهتم بالشكل حسب زعمهم!!.. يفعلون هذا كله من أجل مصالحهم.

هكذا يستسلمون للواقع المنحرف، ويرضون بترقيع الإسلام ويجزئون أحكام الإسلام إلى أجزاء وأبعاض، ويفرطون ويتنازلون عن المبادئ شيئاً فشيئاً، حتى يصلوا إلى مرحلة يخالفون فيها المسلمات الإسلامية الأساسية، بل يخرجون عن دائرة مبادئ الإسلام وتشريعاته وتصوراته في الحياة.

**الصف الثاني:** أعداء حاقدون على الإسلام، يلبسون لباسه، ويتكلمون باسمه، وينقضون عُراه عروة عروة..<sup>(١)</sup>، يحللون ما حرم الله تعالى، ويحرمون ما أحله الله تعالى..

### العائق الثالث: الضعف في مستوى العلم والمعرفة والثقافة.

العلم هو أحد أهم مكونات الداعي، ومع ذلك نشهد بين بعض المنتسبين للدعوة مَنْ حظَّه من العلوم الإسلامية محدود وقليل..

#### رؤية

كيف يقرر على الناس ما يجب وما لا يجب، وما يصح وما لا يصح، وما يجوز وما لا يجوز، من هو ضعيف في تحصيله العلمي؟! ..  
وماذا ستكون النتائج إذا أطاع الناس هذا المنتسب للدعوة؟! ..

لاشك أننا سنجني فوضى عارمة من الجهالات والتخبط في الآراء..  
ألسنا نشهد في واقعنا الإسلامي شيئاً من هذا؟! ..

(١) انظر: مبحث أزمة فكر بين الجمود والتخلف في هذا الكتاب.

وكم ينتابك العجب حين تستمع إلى أفكار سقيمة يتناقلها بعض الناس، وهي تخالف في كثير من الأحيان صريح الشريعة الإسلامية أو فهم مبادئ وقيم الإسلام ومقاصده، ثم تجد أن مصدرها خطيب أو واعظ محدود العلم والمعرفة!!.. لم يتعمق!!.. لم يدقق!!.. لم يتحقق!!..

ومثال ذلك: الأحاديث الموضوعة، والروايات الواهية، والقصاص السقيمة التي ينشرها بعض الدعاة..

ومن ذلك ادعاء أن النبي ﷺ هو أول خلق الله، ويذكرون ذلك بعد الأذان، وبين ركعات صلاة التراويح!! ويستند هؤلاء إلى أخبار مكذوبة على النبي ﷺ، منها:

حديث منسوب إلى جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما- قال: ((يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله قبل الأشياء. قال: «يا جابر، إن الله تعالى خلق قبل الأشياء نورَ نبيك من نوره، فجعل ذلك النور يدورُ بالقُدرة حيث شاء الله، ولم يكن في ذلك الوقت لوحٌ ولا قلمٌ ولا جنةٌ ولا نارٌ ولا ملكٌ ولا سماءٌ ولا أرضٌ ولا شمسٌ ولا قمرٌ ولا جنٌّ ولا إنسيٌّ...»))<sup>(١)</sup>.

- ومن ذلك موضوعات مكذوبة لا أصل لها في الإسلام!!.

منها حديث: «من مرَّ بالمقابر فقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]

(١) حديث موضوع. انظر: كشف الخفاء للعجلوني، برقم [٨٢٧] [٢٦٥/١].

إحدى عشرة مرة ثم وهب أجره الأموات أُعطي من الأجر بعدد الأموات»<sup>(١)</sup>

ومنها حديث: «من اغتسل ليلة الجمعة، وصلى ركعتين يقرأ فيهما بـ

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] ألف مرة، ثم نام رأى النبي ﷺ»<sup>(٢)</sup>.

ومنها حديث: «من قال حين يدخل السوق: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير. أُعطي من الأجر بعدد ما خلق الله إلى يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

ومنها حديث: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء. -يعني يا عائشة-»<sup>(٤)</sup>.

ومنها حديث: عائشة أنها قالت: أسخنت ماء في الشمس، فقال النبي

ﷺ: «لا تفعلي يا حميراء فإنه يورث البرص»<sup>(٥)</sup>.

(١) حديث موضوع. انظر: تذكرة الموضوعات للفتني، (٩٣/١)، وانظر: كشف الخفاء

للعجلوني، برقم [٢٦٣٠] [٢٨٢/٢].

(٢) حديث موضوع. انظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة، للسيوطي، (٥٤/٢)،

وانظر: الموضوعات، لابن الجوزي (١٣٧/٢)، وانظر: تنزيه الشريعة، لابن عراق برقم [٦٥] [٩٢/٢].

(٣) حديث موضوع. انظر: تذكرة الموضوعات للفتني، (٥٥/١).

(٤) حديث موضوع. انظر: الفوائد المجموعة للشوكاني برقم [١٣٩] [٣٩٩/١)، وانظر: الدرر

المنشأة للسيوطي (١٠/١)، وانظر: المصنوع في الحديث الموضوع لعلي القاري برقم

[١٢١] [٩٨/١)، وانظر: المقاصد الحسنة للسخاوي برقم [٤٣٢] [٣٢١/١).

(٥) حديث موضوع. انظر: نصب الراية للزيلعي، برقم [٢٨] [١٠٦/١)، وانظر: الفوائد

المجموعة للشوكاني، برقم [١٠] [٨/١)، وانظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة

للسيوطي (٣/٢)، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (٧٩/٢)، وانظر: تلخيص الحبير لابن

حجر العسقلاني، برقم [٥] [١٤٠/١).

ومنها حديث: «الدنيا جيفة وطلابها كلاب»<sup>(١)</sup>.

ومنها حديث: «أول ما خلق الله العقل. فقال له: أقبل فأقبل. ثم قال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت أشرف منك، فبك آخذ، وبك أعطي»<sup>(٢)</sup>.

ومنها حديث: «كما تكونوا يولى عليكم»<sup>(٣)</sup>.

ومنها حديث: «الناس على دين ملوكهم»<sup>(٤)</sup>.

ومنها حديث: «الظالم عدلُ الله في الأرض، ينتقم من الناس ثم ينتقم الله منه»<sup>(٥)</sup>.

ومثال آخر: إفتاء الناس بغير علم، أو تأويل القرآن والأحاديث الشريفة بالرأي من غير سند شرعي !!.

هذا جانب من جملة جوانب تظهر فيها حالة الضعف في العلم والمعرفة والثقافة عند بعض المنتسبين للعمل الدعوي..

(١) حديث موضوع. انظر: الموضوعات للصغاني برقم [٣٦] (٣٨/١)، وانظر: كشف الخفاء للعجلوني برقم [١٣١٣] (٤٠٩/١).

(٢) حديث موضوع. انظر: الدرر المنتشرة للسيوطي (١٦/١)، وانظر: الفوائد المجموعة للشوكاني برقم [٤٧] (٤٤٧/١)، وانظر: اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية للسيوطي (١٦٣/١)، وانظر: الموضوعات لابن الجوزي (١٤٧/١).

(٣) في إسناده وضاع وفيه انقطاع. انظر: الفوائد المجموعة للشوكاني برقم [١٠] (٢١٠/١).

(٤) ليس بحديث. انظر: الفوائد المجموعة للشوكاني برقم [١١] (٢١٠/١).

(٥) ليس بحديث. انظر: أسنى المطالب للحوت برقم [٨٧٠] (١٨٧/١)، وانظر: اللآلئ المنتشرة للزرکشي (١٧٤/١).

وليس المطلوب من الداعية قراءة العلوم الإسلامية قراءة سطحية، بل فهمها بشكل صحيح، والعمل بها بشكل صحيح، ومطلوب منه أيضاً أن يضيف إلى جانب ذلك، معرفة واسعة بعلوم التربية والصحة النفسية وفن الإدارة والقيادة، ودراية واسعة بالثقافات والحركات والعقائد والأيدولوجيات المعاصرة، ودراسة تاريخ الشعوب والأمم والحضارات والأديان، وبخاصة دراسة المجتمع الذي يعيش فيه، والتعرف بدقة على مكوناته، من حيث العادات والاعتقادات والولاءات والأفكار السائدة..

#### فائدة

إن الداعي الناجح هو في الحقيقة موسوعة علمية وفكرية وثقافية تتطور باستمرار، وتضيف إلى رصيدها كل ما يستجد مما له صلة باختصاصه.

وطلب العلم والمعرفة في سن مبكرة يساعد الداعي على التمكن من العلوم وإتقانها، قبل أن تتكاثر عليه الواجبات وتضيق به الأوقات..

### العائق الرابع: الضعف في فهم مقاصد الشريعة الإسلامية.

● إن للرسالة الإسلامية التي ندعو إليها مقاصد وأهدافاً يجب على الدعاة استيعابها وفهمها، ثم العمل بمقتضاها..

فليست أحكام الشريعة الإسلامية أحكاماً نظرية مجردة، بل هي أحكام ترتبط النظرية فيها بالمقاصد والأهداف..

● وهناك بعض المنتسبين للدعوة يأمرؤن الناس وينهونهم دون مراعاة لمقاصد الشريعة، مما يؤدي إلى إشكاليات في الفهم أو عدم إصابة الهدف.

## وأضرب مثلاً على ذلك موضوع تقصير الثوب:

فقد جعل بعض الإسلاميين هذا الموضوع قضية كبرى يقيسون بها التزام المسلمين بإسلامهم!!..

وكم دارت معارك لتفسيق المسلمين بسبب طول الثوب؟!..

وكم تم تفريق كلمة المسلمين، واشتدت الصراعات بينهم في مواقع الدعوة بسبب طول الثوب!!..

وكم ارتكبت المحرمات في المساجد، ووصلت الأمور إلى الصراع بالأيدي من أجل طول ثوب الإمام، وما يقتضيه ذلك عند بعضهم من صحة إمامته أو عدمها؟!..

ولا تعجب، فقد حصل هذا في مساجد ومراكز إسلامية عدة في أمريكا وأوروبا!!..

وقد استند المحرمون أو المفسقون إلى حديث نبوي ورد في صحيح الإمام البخاري، ونصّه: « مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فَفِي النَّارِ »<sup>(١)</sup>.

لكنهم أغفلوا بقية الأحاديث الواردة في الموضوع، والتي قيدت الحرمة في فعل هذا الأمر بقصد الخيلاء والمخيلة. فقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه الأحاديث التالية:

١- بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ﴾ [سورة

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٧] (ص/١١٣٢).

الأعراف: ٣٢]. وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلُوا وَاشْرَبُوا وَالْبَسُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ» وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ ﷺ: ((كُلْ مَا شِئْتَ، وَالْبَسْ مَا شِئْتَ، مَا أَخْطَأَتْكَ اثْنَانِ سَرَفٌ أَوْ مَخِيلَةٌ)).

٢- وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءً» (١).

٣- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا» (٢).

٤- وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ (٣)، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (٤).

٥- وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءً لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقْمِي إِزَارِي يَسْتَرْخِي إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَسْتُ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خِيَلَاءً» (٥).

٦- وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ ﷺ قَالَ: (( خَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَنَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٣] (ص/١١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٨] (ص/١١٣٢).

(٣) مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ: تَرْجِيلُ الشَّعْرِ تَسْرِيحُهُ وَدَهْنُهُ، وَالْجُمَّةُ: هِيَ مَجْتَمَعُ الشَّعْرِ إِذَا تَدَلَّى مِنَ الرَّأْسِ إِلَى الْمُنْكَبِينَ.

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٩] (ص/١١٣٢).

(٥) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٤] (ص/١١٣٢).

ﷺ، فَقَامَ يَجْرُ ثَوْبَهُ مُسْتَعْجلاً، حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ، وَتَابَ النَّاسُ، فَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ، فَجَلِّيَ عَنْهَا، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، وَقَالَ: « إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنْهَا شَيْئاً فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ حَتَّى يَكْشِفَهَا »<sup>(١)</sup>.

فمن الواضح من مجموع هذه الأحاديث:

- ١- أن إطالة الثوب وجره بقصد الخيلاء والمخيلة والبطر والعجب، حرام.
- ٢- ويدل حديث أبي بكر رضي الله عنه، وحديث قيام النبي ﷺ، وهو يجر ثوبه مستعجلاً لأداء صلاة خسوف الشمس، على عدم حرمة إطالة الثوب في هاتين الحالتين؛ لانتفاء علة الحرمة، وهي الخيلاء والمخيلة والبطر والعجب.

يقول ابن بطلال في شرح صحيح البخاري: ((والخيلاء والمخيلة: التكبر في لسان العرب، وفي حديث أبي بكر بيان أن سقط ثوبه بغير قصده وفعله ولم يقصد بذلك الخيلاء فإنه لا حرج عليه في ذلك، لقوله عليه السلام لأبي بكر: «لست ممن يصنعه خيلاء»<sup>(٢)</sup> ألا ترى أن النبي عليه السلام جرَّ ثوبه حين استعجل المسير إلى صلاة الخسوف، وهو مبينٌ لأُمَّته بقوله وفعله. وقد كان ابن عمر يكره أن يجرَّ الرجل ثوبه على كل حال، وهذه من شدائد ابن عمر؛ لأنه لم تخفَ عليه قصة أبي بكر وهو الراوي لها، والحجة في السنة لا في ما خالفها)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٥] (ص/١١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٤] (ص/١١٣٢).

(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطلال، (٧٨/٩).

ويقول الإمام الشوكاني في نيل الأوطار: ((وظاهر التقييد بقوله: «خِيْلَاء» يدل بمفهومه أن جرَّ الثوب لغير الخيلاء لا يكون داخلاً في هذا الوعيد. قال ابن عبد البر: "مفهومه أن الجارَّ لغير الخيلاء لا يلحقه الوعيد إلا أنه مذموم". قال النووي: "إنه مكروه وهذا نص الشافعي")<sup>(١)</sup>.

ويقول الزرقاني في شرحه على موطأ مالك: ((قال في المواهب: لكن حدث للناس اصطلاح بتطويلها، وصار لكل نوع من الناس شعار يعرفون به. ومهما كان من ذلك على سبيل الخيلاء فلا شك في تحريمه، وما كان على طريق العادة فلا تحريم فيه ما لم يصل إلى جرِّ الذيل الممنوع منه))<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام النووي في شرحه على صحيح مسلم: ((الحديث الصحيح أن الإسبال يكون في الإزار والقميص والعمامة وأنه لا يجوز إسباله تحت الكعبين إن كان للخيلاء فإن كان لغيرها فهو مكروه، وظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء تدل على أن التحريم مخصوص بالخيلاء، وهكذا نص الشافعي...))<sup>(٣)</sup>.

ويقول ملا علي القاري في مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح في شرح حديث «... مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا»: ((ويفهم منه أن جرَّه لغير ذلك لا يكون حراماً لكنه مكروه كراهة تنزيه))<sup>(٤)</sup> ويقول في شرحه لحديث

(١) نيل الأوطار، للشوكاني، (٢٠٥/٣)..

(٢) شرح الزرقاني على موطأ مالك، (٣٤٤/٤).

(٣) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، (٦٢/١٤).

(٤) مرقاة المفاتيح، القاري، (١٩٧/٨).

الإسبال: ((فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم، وإلا فممنوع تنزيه))<sup>(١)</sup>.

ويقول صاحب طرح الشريب في شرح التقريب<sup>(٢)</sup>: ((التقييد بالخيلاء يُخْرِجُ ما إذا جرَّه بغير هذا القصد، ويقتضي أنه لا تحريم فيه. وقد تقدم من صحيح البخاري وغيره قول أبي بكر رضي الله عنه: ((يا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شِقْيِي إِزَارِي يَسْتَرْحِي إِلَّا أَنْ أَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَسْتَ مِنْ مَنْ يَصْنَعُهُ خَيْلَاءٌ»<sup>(٣)</sup> وبُوبَ البخاري في صحيحه باب من جرَّ إزاره من غير خيلاء، وأورد فيه هذا الحديث، وحديث أبي بكر: ((خَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَنَحْنُ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَامَ يَجْرُ ثَوْبُهُ مُسْتَعْجِلًا، حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ...<sup>(٤)</sup> الحديث. وقال النووي في شرح مسلم: ظواهر الأحاديث في تقييدها بالجر خيلاء يدلُّ على أن التحريم مخصوص بالخيلاء وكذا نص الشافعي... فما نزل عن الكعبين فهو ممنوع، فإن كان للخيلاء فهو ممنوع منع تحريم وإلا فممنوع تنزيه، وأما الأحاديث المطلقة بأن ما تحت الكعبين في النار فالمراد به ما كان للخيلاء؛ لأنه مطلق فوجب حمله على المقيد))<sup>(٥)</sup>.

ومما يؤيد الرأي بالكراهة، إذا لم يُسبَل الثوب بقصد البطر والعُجب والخيلاء، حديث النبي ﷺ إلى حُرَيْمٍ رضي الله عنه ..

(١) المصدر السابق، (١٩٨/٨).

(٢) زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي.

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٤] (ص/١١٣٢).

(٤) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٧٨٥] (ص/١١٣٢).

(٥) طرح الشريب في شرح التقريب، للعراقي، (١٦٧/٨).

فَعَنْ خُرَيْمِ بْنِ فَاتِكِ الْأَسَدِيِّ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « نَعَمْ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا خُرَيْمُ لَوْلَا خُلَّتَانِ فِيكَ » قُلْتُ: وَمَا هُمَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: « إِسْبَالُكَ إِزَارَكَ، وَإِرْحَاؤُكَ شَعْرَكَ »<sup>(١)</sup>.

فلا يوجد في الحديث تهديد ولا وعيد يُوجب الحرمة، بسبب انتفاء العلة، وهي قصد الخيلاء والبطر والعُجب..

والعجيب أن بعض الذين يفتعلون المعارك من أجل طول الثوب أو قصره، يُعجبون بأنفسهم كونهم يقصرون الثوب، وينظرون نظرة النقص في الدين إلى مسلم طال ثوبه، ولعل هذا المسلم لم يخطر بباله لحظة واحدة أنه يفعل هذا خيلاءً وتكبراً على المسلمين!!..

● إن هذا الواعظ يحتاج إلى الموعدة مرتين:

الأولى: بسبب وقوعه بالعُجب.

والثانية: بسبب ازدرائه لأخيه المسلم، لأنه نظر إليه نظرة نقص..

● ومعرفة مقاصد الشريعة تعني: معرفة الأهداف العامة التي تسعى الشريعة إلى تحقيقها في حياة الناس في المجالات كافة، الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والتربوية...

يقول ولي الله الدهلوي: ((وأما معرفة المقاصد التي بنيت عليها

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٨٩٠١] (١٩٩/٣١)، وأخرجه الحاكم في "المستدرک" برقم [٧٤٩٦]. (٣١٥/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، واللفظ لأحمد.

الأحكام، فعلم دقيق، لا يخوض فيه إلا من لطفَ ذهنه واستقامَ فهمه<sup>(١)</sup>.

#### إضاءة

معرفة المقاصد وفهمها يفيد معرفة مراتب المصالح والمفاسد، وهذا مهم عند الموازنة بين الأمور، فيدفع الداعي المفاسد ويجلب المصالح، والذي لا يعرف ذلك كان قوله وعمله جهلاً، ومن عمل بغير علم كان ما يُفسد أكثر مما يُصلح.

### العائق الخامس: الضعف في الوعي والنضج الحكمة.

كثيراً ما يُعاني العمل الإسلامي من قصر النظر عند بعض المنتسبين للدعوة، أو جزئية نظرهم إلى الأمور، أو تعاملهم مع القضايا المهمة بسطحية ملحوظة، أو عبر ردّات فعل عاطفية لا تقوم على أساس متين من تبيين للحقائق، وتأصيل للمواقف، استناداً إلى أحكام الشريعة وحكمتها ومقاصدها.. وهذه التصرفات تنعكس فشلاً على الدعوة الإسلامية ومسيرتها..

ولقد عانى العمل الإسلامي من هذه القضية معاناة كبيرة، أثرت على نتائج العمل الدعوي، فلم يستطع أن يحقق أهدافه الكاملة على مدى عقود عدة من العمل المضني، وفي كثير من الأحيان كان الحصاد ويلات وكوارث..

ومع كل ما جرى ويجري ما زال بعض المنتسبين للدعوة يرتكب ذات الأخطاء!! فنحصد ذات النتائج..

(١) حجة الله البالغة، للدهلوي، (١/٢٨٩).

## حقيقة

إن قيادة الدعوة الإسلامية تحتاج لأرجح العقول، وأحكمها، وأوعاها، وأنضجها..

تحتاج للدعاة ذوي النظرة البعيدة الثاقبة الشاملة لكل أبعاد الأحداث الظاهر منها والخفي..

تحتاج للدعاة الذين تتغلب عقولهم وحكمتهم وإرادتهم الفولاذية على العواطف والتجيش والإشاعات والمؤامرات، وخبث الخبثاء ومكر الماكريين..  
تحتاج للدعاة الذين يخططون ويعملون ويستوعبون الأحداث ويضعون الأشياء في مواضعها، فيحققون للدعوة إنجازات تلو الإنجازات حتى تحقق أهدافها..

### العائق السادس: علة الانعزال وعدم معرفة الواقع.

إن بعض المنتسبين للدعوة يعيشون في عزلة اختيارية، يحيطون أنفسهم بقوقعة صماء، منعزلين عن واقع الناس وحياتهم، لا يدرون حقيقة ما يجري في محيطهم القريب، فضلاً عن علمهم بما يدور في العالم من وقائع مما له تأثير بالغ على الدعوة الإسلامية ومسيرتها..

فهناك من المنتسبين للدعوة من توغل في العلوم الشرعية المدرسية ودخل نفقاً ولم يخرج منه، يغوص في بحور الكتب القديمة، ويحقق المخطوطات، ويشرح المتون، ويختصر الشروح، والمحصلة لا شيء جديد البتة.. سوى التكرار والتكرار بلا فائدة تُذكر.. بل إن من كثرة الكتب التي تتحدث بذات الموضوع ضاع الناس، فهي لا تضيف شيئاً في المضمون، ولا تغير سوى شكل الغلاف، وأسماء المحققين، أو الشارحين، أو المختصرين وشيئاً من أسلوب الكتابة...

وإذا سألته عن واقع الناس وما يعانونه في المجتمع الإسلامي من قضايا اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية، تجده لا يعرف عن الأمر إلا القليل!!.. وهذا لا يعني أن الجميع هكذا، فهناك من يقدم بحوثاً فقهيةً معاصرةً تتعلق بما يستجد من قضايا وهي مفيدة جداً.

وهناك بعض المنتسبين للدعوة من توغّل في التصوف، ودخل نفقاً ولم يخرج منه، يغوص في وظائفه وطقوسه، ظناً منه أنه قد بلغ منتهى الكمال في فهم الإسلام والعمل به.. فإذا سألته عن المعارك الفكرية الطاحنة بين أعداء الإسلام، وكبار المفكرين الإسلاميين المدافعين عن عقيدة الإسلام ورسالته، فستجده غريباً عنها، بعيداً منها، وكأنك تتحدث معه عن أمور في كوكب آخر..

أيضاً هذا لا يعني أن الجميع هكذا، فهناك متصوفون متنورون ملتزمون بالكتاب والسنة، ويعملون في مجالات العمل الإسلامي المختلفة، سواء في المجال الفكري أو الاجتماعي أو السياسي أو الخيري والإغاثي... وهناك حالات أخرى غريبة لسنا بصدد استقصائها جميعاً..

#### حقيقة

إن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى دعاة أخذوا حظهم من التزكية الحقيقية لا الشكلية، وأخذوا حظهم من العلوم الشرعية الضرورية مع فهم حكمتها ومقاصدها، وأخذوا حظهم من كافة العلوم اللازمة الأخرى، وأخذوا حظهم من الخبرات والتأهيل، واعتدلوا وأعطوا لكل أمر حقه.. أخذوا الإسلام بكماله وجماله... ولم ينزعزلوا عن محيطهم وبيئتهم، والتصقوا بالناس وعانوا بأنفسهم معاناتهم، وقاموا بإرشادهم إلى سبيل الخلاص والنجاة.

## العائق السابع: الضعف في الخبرات والتأهيل والتدريب.

لقد انغمس بعض المنتسبين إلى الدعوة في عمل الدعوة من غير خبرة ولا تأهيل ولا تدريب..، تحركهم العواطف.. أخذوا بجانب ضئيل من المعارف التي اكتسبوها عبر ما يسمونه من خطب ووعظ وإرشاد، ولم يعملوا على تأهيل أنفسهم علمياً وفكرياً وروحياً وقيادياً بطريقة منهجية، فكانت النتيجة كزارع حقل لا يعرف كيف يؤهل حقله للزراعة حراثته وتسميداً!!.. ولا يعرف كيف يزرع!!.. ولا يعرف كيف ومتى وأين يسقي!!.. ولا يعرف كيف يحصد!!.. هذا إذا نبتت بعض البذور على نحو قاصر وفاشل!!..

ما رأيكم كيف سيكون حصاد الدعوة على هذه الحال؟!..!!

### حقيقة

إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج للنخبة من أصحاب المواهب، الذين صُقلت مواهبهم وتُميت بالتأهيل والتدريب، عبر مؤسسات دعوية عالية الاختصاص، تستفيد من أحدث الأنظمة والخبرات المجربة قديمها وحديثها.

## العائق الثامن: الضعف في المؤهلات الإدارية والقيادية.

إن نجاح الدعوة الإسلامية مرتبط على نحو وثيق بإتقان الفنون الإدارية والقيادية..

إن إتقان الداعي للعلوم الشرعية وحدها، والقدرة على الخطابة والوعظ فقط، لا يؤهله أبداً ليكون داعية إسلامياً، فضلاً عن أن يكون ناجحاً ومتميزاً.. إن عمل الدعوة الإسلامية كل لا يتجزأ، فإذا فقد الداعي شيئاً من

أسسه وأركانها، فإنه لا يستطيع أن يقوم بالمهام المنوطة به..

وإن التأهيل الإداري والقيادي للداعي جزء لا يتجزأ من مقتضيات نجاح الدعوة الإسلامية.. إن لم يكن هو أساس مهم لتحقيق ذلك.

إن الداعي الناجح هو إداري وقيادي ناجح.

حقيقة

فكم من داعية بارع في خطابته ووعظه، تجده عاجزاً عن إدارة وقيادة برنامج دعوي متواضع.. فكيف إذا كان الداعي الحقيقي منوط به قيادة جماهير الدعوة في أصعب الظروف على المستويات كافة؟!..!!

### العائق التاسع: ضعف الإرادة والعزيمة والحماسة.

إن العمل الدعوي ليس بعمل وظيفي تقليدي، إنه عمل يحتاج لأصحاب الإيرادات الفولاذية، والعزائم الصادقة، والحماسة الملتهبة بالأشواق والمواجيد وحب الدعوة حتى العشق. ولكنها حماسة متزنة عند القرارات وتنفيذ البرامج والأعمال..

رؤية

إن بعض المنتسبين للدعوة الذين أصابهم الترهل، وانتابتهم شيخوخة الهمم، وتحولوا إلى دعاة تقليديين متراخين متساهلين، كأنهم خُشبٌ مسندة، أو مومياءات محنطة، لا تُلهبهم حماسة الدعوة ولا أشواقها ولا مواجيدها.. هؤلاء في الحقيقة عبء على الدعوة، يُثقلون كاهلها.. تحملهم كارهة بدلاً من أن يحملوها، ويصيبونها بالوهن والضعف والفشل..

### العائق العاشر: ضعف القدرة على التضحية.

ومن أمراض بعض المنتسبين إلى الدعوة: ضعف قدرتهم على التضحية

في سبيل الدعوة إلى الله تعالى، وإيثارهم السلامة.  
 فبعضهم إذا تعارضت مصلحته الشخصية مع مصلحة الدعوة، آثر  
 مصلحته وأدار ظهره لواجبات الدعوة، ولو أدى ذلك للإضرار بها..  
 وبعضهم إذا احتاجت الدعوة منه مواقفَ يمكن أن تحمّله مسؤوليات  
 ومساءلات وتضحية، آثر السلامة وأدار ظهره للواجبات..

### إضاءة

إن البذل والتضحية والشجاعة والإقدام سماتٌ لازمةٌ للدعاة، فلا  
 يصح أن تُعدك مـصالحك الدنيوية عن واجبات الدعوة والبذل  
 والتضحية من أجلها..

فكم من الذين انتسبوا للدعوة دعاهم خوفهم على حياتهم، أو على  
 الأهل والأولاد، أو الأموال والأعمال، للتخلي عن التضحية في سبيل  
 الدعوة إلى الله تعالى، وآثروا سلامتهم.

### العائق الحادي عشر: التأثير السلبي بأمراض المجتمع.

إن الداعي يعيش في مجتمع بعيد على الأغلب عن القيم الإسلامية،  
 وهذا المجتمع يُعدُّ ميدان عمله، لا يستطيع الانعزال عنه، فعليه أن يؤثر فيه  
 ولا يتأثر بأمراضه، وهذا يقتضي أن يحصن نفسه ويقيها ويجعلها منيعة من  
 التأثير بأمراض المجتمع.

ومن صفات الداعي المهمة قدرته على التأثير في الناس وصبغهم  
 بأفكاره وسلوكه..

فهل يشعر من يحيط بك بأثرك فيهم، وقد تركت على تغييرهم؟!..!!

### حقيقة

إن الداعي الناجح يترك وراءه أثراً في الناس في نشاطه الدؤوب في كل ميدان ..

وهناك بعض المنتسبين إلى الدعوة، يعانون من الضعف في شخصيتهم، فبدل أن يُؤثروا بالآخرين ويصبغهم بأفكارهم، نلاحظ أنهم يتأثرون بسلوك الآخرين وأفكارهم وينصبغون بها..، وهم بذلك يتأرجحون بين الفكر الإسلامي وسلوكياته، وبين الأفكار المستوردة وصرعات السلوكيات الغربية عن فكرنا ومنهجنا الإسلامي في الحياة.

حتى إنك ترى عند بعضهم مزيجاً من الأفكار مما هو إسلامي وغير إسلامي، وفي بعض الأحيان تجد لديه أفكاراً غير مقبولة إسلامياً!!..متأثراً بالأفكار والثقافات المستوردة وبخاصة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.. وكذلك عن طريق قراءة الكتب التي تحمل فكراً استشراقياً وتغريبياً، ومن أهم أسباب ذلك ضعف شخصية هذا الداعي، وضعف تكوينه الإسلامي.

فكم من آحاد هؤلاء بدأ ورعاً متعبداً ذاكراً يدعو إلى الخير.. وحين ينزل إلى ميادين الحياة المختلفة دراسةً أو عملاً، تلاحظ بداية تأثره بمحيطه الجديد.. أفكاراً ولباساً وسلوكاً.. ولعله يتوغل ويزداد بهذا حتى يخرج من دائرة الدعوة، وفي أحسن الحالات يصبح له شخصيتان.. شخصية ملتزمة وأخرى غير ملتزمة، ويلفق ويرقع بينهما حسب المحيط والبيئة..

## حقيقة

الداعي الحقيقي يصبغ.. ولا ينصبغ..  
لأنه مصبوغٌ بصبغة الله تعالى..  
ومن أحسن من الله صبغة!!؟..

## العائق الثاني عشر: الخوف على المعيشة.

إن بعض المنتسبين إلى الدعوة يبدوون بهمة في الدعوة، ثم لا تلبث أن تخبو هممتهم وتضعف عزيمتهم عندما يبدوون بالتفكير في أمور المعيشة..  
فيخرج بعضهم عن دائرة الدعوة، ويتفرغ لأموره المعيشية!!.. ولعله يمتلك شخصياً الكثير من المواهب التي تمكنه من النجاح في الدعوة..

## فائدة

إن الداعية الناجح هو الذي يمتلك القدرة على العمل على نحو متزن  
بحيث لا يُضيع حقوق الدعوة ولا يُضيع حقوق المعيشة..

إن التجارب والوقائع الملموسة قد أثبتت نجاح عدد كبير من الدعاة في خلق هذا التوازن، فكانوا عصاميين، اعتمدوا على جهودهم الذاتية ولم يتذللوا من أجل معيشتهم لأحد سوى الله تعالى.

إن الخوف على المعيشة مرض يدفع بعض المنتسبين إلى الدعوة إلى التخلي عن اتخاذ مواقف شجاعة من أجل الإسلام، أو يدفعهم إلى التخلي عن مبادئهم خوفاً على معيشتهم.



## المبحث الثاني من وسائل العلاج

\* هذا عرض لبعض الأمراض التي تعترى بعض المنتسبين إلى الدعوة، وتؤدي إلى انحرافهم عن منهجها القويم، علماً بأن الدعوة هم الأكثرون تعرضاً لآفات النفوس وأمراضها من باقي الناس، بسبب كثرة مخالطتهم للموثاتما في المجتمعات البشرية..

\* فعلى كل داعية أن يُحاسب نفسه، ويعمل على إصلاحها، وصيانتها من كل علة أو مرض يصيبها، والأخذ بالحلول التي ذكرناها، في الفقرات السابقة..

وعلى الداعية أن يخصص أوقاتاً ومحطات في حياته، يسير فيها أحوال نفسه، ويستقصي عللها، ويكتشف أمراضها، ويستعين بالخبراء المجرين من المرابين الربانيين ليساعدوه على معالجة نقاط ضعفه..

وعليه أن يتخذ له أحاً صادقاً صدوقاً جريئاً لينصحه ويهديه إلى عيوبه..

يقول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ((رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أهدَى إِلَى عِيُوبِي))<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الدارمي في "سننه" برقم [٦٧٥] (٥٠٩/١).

**حكمة** إن عيون الآخرين ترى فيك ما لا تراه بنفسك..

ويبقى الداعي بخير مادام يعمل على إصلاح عيوبه، سواء من خلال مراقبته لنفسه، أم بالاستعانة بالناصحين، ويجتهد في ذلك حتى تزكو نفسه، ويتنور قلبه، ويتصل قلبه بالله تعالى..

والداعي يجب أن يكون حريصاً على معرفة عيوبه وألا يستصغر عيباً؛ فالصغائر مزالقة للكبائر، فهو «كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ»<sup>(١)</sup>.

\* ومن يرى عيوب الناس وينشغل بها، ولا يرى عيوبه ويشتغل بإصلاحها، فليس أهلاً للدعوة إلى الله تعالى..

يقول سيدنا علي -كرم الله وجهه-: ((من نصّب نفسه للناس إماماً فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه، ومعلّم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلّم الناس ومؤدبهم))<sup>(٢)</sup>.

### واجب

إن واجب الدعوة تجاه إصلاح أنفسهم أكبر بكثير من واجبهم تجاه إصلاح مجتمعهم، فيجب ألا يشغلهم إصلاح مجتمعهم عن إصلاح أنفسهم..

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٢] (ص/٣٤).

(٢) فتح البلاغة، للإمام علي كرم الله وجهه (١٦/٤).

\* وحتى تتم عملية العلاج بنجاح فإن على الداعي أن يسعى لتحصيل المطلوب بثلاثة أساليب:

الدراسة، والمجالسة، والممارسة..

أولاً: هناك علل ونقاط ضعف لا تستدرك ولا تعالج إلا بالدراسة..

مثل علل: - الضعف في العلم والمعرفة والثقافة.

- والضعف في فهم مقاصد الدعوة.

فهذه علل تحتاج إلى برنامج دراسي واسع ومعقد، ينفذ بمساعدة

العلماء المتخصصين الحاذقين..

ثانياً: وهناك علل ونقاط ضعف لا تستدرك ولا تعالج إلا بالدراسة

والمجالسة.. (أي: صحبة الدعاة الحكماء الخبراء الناجحين، والأخذ عنهم

والاقتداء بهم..). مثل علل:

- الإفراط والتفريط.

- الانعزال وعدم معرفة الواقع.

- ضعف الوعي والنضج والحكمة.

ثالثاً: وهناك علل ونقاط ضعف لا تستدرك إلا بالمجالسة والممارسة..

مثل علل: - ضعف التربية الروحية والتركية ومجاهدة النفس.

- ضعف القدرة على التضحية.

- ضعف الإرادة والعزيمة.

- التأثير السلبي بالآخر.

- الخوف على المعيشة.

فهذه علل تربوية تزكوية تحتاج لمجالسة وصحبة الدعاة الحكماء المرين المزكين الخبراء..، كما تحتاج إلى الممارسة وتدريب النفس على المجاهدة والتحمل والإقدام..

رابعاً: وهناك علل ونقاط ضعف لا تستدرك إلا بالدراسة والمجالسة والممارسة معاً..

مثل علل:- الضعف في الخبرات والتأهيل والتدريب.

- الضعف في المؤهلات القيادية والإدارية.

ولكي نستكمل موضوع معالجة العوائق وأمراض بعض المنتسبين إلى الدعوة على نحو شامل، أرى الاجتهاد في تنفيذ الوصايا الموجهة للدعاة، فيكون النفع أعم، والمطلوب أقرب إلى التحقق<sup>(١)</sup>.



(١) انظر: كتاب الوصايا ( للدعاة ) ، للمؤلف.

## الفصل الأول



### إشكاليات ونقاط ضعف في بعض جماعات الدعوة

- المبحث الأول : إشكاليات في الرؤية.
- المبحث الثاني : إشكاليات في تحديد الأهداف.
- المبحث الثالث : افتقاد التخطيط والبرمجة والتقويم والتعديل والتطوير
- المبحث الرابع : استعجال الأمور قبل نضجها
- المبحث الخامس : عدم مراعاة فقه الأولويات.
- المبحث السادس : غياب فقه التدرج في المراحل والزمن.
- المبحث السابع : افتقاد الإعداد والتأهيل والتدريب وتنمية المهارات.
- المبحث الثامن : أزمة فكر بين الجمود والتفتت.
- المبحث التاسع : الضعف في التخصص.

- المبحث العاشر : الضعف في الإعلام.
- المبحث الحادي عشر : إهمال مهارات التواصل.
- المبحث الثاني عشر : الضعف في إنتاج قيادات مؤهلة.
- المبحث الثالث عشر : التعصب للجماعة.
- المبحث الرابع عشر : افتقاد التعاون والتنسيق والتكامل.
- المبحث الخامس عشر : الاختلاف والصراع بين الجماعات الإسلامية.
- المبحث السادس عشر : الصراع داخل الجماعة.
- المبحث السابع عشر : إشكالية الفردية والجماعية.
- المبحث الثامن عشر : إشكالية الطاعة ومفهوم الجماعة.
- المبحث التاسع عشر : إشكالية الولاء والوفاء.
- المبحث العشرون : افتقاد المرجعية العامة.
- المبحث الواحد والعشرون : علة الغلو والتطرف.
- المبحث الثاني والعشرون : إشكالية العلاقة مع الحكومات.
- المبحث الثالث والعشرون : إشكالية تأمين معيشة الدعاة.
- المبحث الرابع والعشرون : إشكالية النمو ثم الضمور ثم التفتت.

## مهتد

مرة أخرى عندما نتحدث عن نقاط الضعف في العمل الإسلامي، فإننا لا نقصد غرس اليأس والإحباط في نفوس العاملين، بل نقصد لفت الانتباه إلى نقاط الضعف هذه للبحث عن الأساليب الناجعة لمعالجتها والتخلص منها، لاسيما وأن هناك على الجانب الآخر نجاحات جيدة وإنجازات طيبة للعمل الإسلامي أثمرت صحوّة إسلامية، يجب على الجميع أن يعمل على ترشيدها وتسديد خطاها، وما نقوم به هو جزء من هذا الواجب..

إن حالة التخلف التي تعيشها المجتمعات الإسلامية، لا يمكن إلا أن يكون لها آثارٌ على العمل الإسلامي؛ لأن العاملين في هذا الحقل هم جزء من هذه المجتمعات، وليسوا وافدين عليها، وهم يعيشون فيها ويتعاملون مع الناس محاطين بمنظومات هذه المجتمعات، كما أن الضغوط الكبيرة التي تعرض لها العمل الإسلامي تركز أيضاً بصمات سلبية على سلوك بعض العاملين في حقل الدعوة الإسلامي..

### واجب

يجب أن نعترف بأخطائنا، وأن نُقَوِّمَ أعمالنا، وأن نضع الحلول لمشكلاتنا، وأن نأخذَ بالأقوم، كي نحقق أهدافنا...

## المبحث الأول إشكاليات في الرؤية

لا توجد رؤية موحدة ولا حتى متقاربة لجماعات العمل الإسلامي في العالم... بل يوجد رؤى متباينة تتناسب مع توجهات كل طرف منهم... وهناك رؤى للعمل الإسلامي بعدد محاوره، والتي تندرج من أقصى المحاور المتساهلة والمفرطة إلى أقصى المحاور المتشددة والمتطرفة..

### المطلب الأول: محاور العمل الإسلامي.

أولاً: محور العمل السياسي.

في هذا المحور تجد رؤى لمحاور متفرعة تعمل جميعها تحت عنوان ((الإسلام السياسي)).

- يتفق جميع العاملين في هذا المحور على السعي لتمكين توجهه الإسلامي من الحكم.
- ويختلفون في الرؤية من حيث الوسائل والأساليب..

فيرى بعضهم اتخاذ الوسائل الحزبية الديمقراطية لتحقيق ذلك، وقد تساهلوا حتى لا تكاد تميز بين أطروحاتهم وأساليبهم، وأطروحات وأساليب الأحزاب العلمانية إلا في الحفاظ على بعض الشكليات الإسلامية..

ويرى بعضهم تبني أسلوب الأحزاب الإسلامية التي تتبنى الحكم الإسلامي برؤية معاصرة لمقاصد الشريعة الإسلامية، والتي تعتمد المفاهيم الديمقراطية برؤية إسلامية..

ويرى بعضهم تبني أسلوب الأحزاب الإسلامية السلفية التي تتبنى تطبيق الشريعة الإسلامية بحرفيتها وظاهريتها بعيداً عن مقاصدها العامة..

ويرى بعضهم أن المجتمعات الإسلامية تحولت إلى مجتمعات جاهلية، ولا بدّ من هدم هذه الجاهلية بكل صورها وما يتفرع عنها، ثم إقامة الحكم الإسلامي الكامل دون تساهل، وهؤلاء يتبنون الرؤية الثورية الانقلايية التكفيرية، ويستخدمون السلاح والعنف لتحقيق ذلك.

#### ثانياً: محور العمل الصوفي:

يتفق أغلب العاملين في هذا المحور على تجنب العمل السياسي؛ بتبريرات مختلفة منها إثارة سلامة الطريقة والجماعة، والتفرغ فقط للدعوة والتربية والسلوك ومراسم الطريقة الصوفية..

وبعضهم يتطرف ويشدُّ، وبعضهم طيبون لكنهم بسطاء سطحيون، وبعضهم يعتدل وينضبط بضوابط الشريعة..

وقليل منهم يشارك في العمل السياسي بطريقة غير مباشرة..

#### ثالثاً: محور العمل السلفي:

اتجه بعض أهل هذا المحور للدعوة والرؤى الفكرية، واتجه بعضهم للرؤى السياسية، واتجه بعضهم للرؤى الانقلايية التكفيرية، أو ما يسمونه جهاداً..

### رابعاً: محور العمل الجهادي المقاوم:

وتنصبُّ رؤيتهم على مقاومة أعداء الأمة الإسلامية الذين يحتلون أراضي المسلمين وفي مقدمتها فلسطين المحتلة، والعمل أولاً على تحريرها واستعادة الحقوق المسلوبة من أهلها..

### خامساً: محور الوعظ والإرشاد:

تنحصر رؤيتهم في إصلاح الفرد عن طريق الوعظ والإرشاد، وتقديم النصح للناس عن طريق الخطابة والدروس الدينية، وأغلب هؤلاء يقولون كلمتهم ويمشون، ولا يهتمون بمتابعة أحوال الناس وتربيتهم ثم توظيف طاقاتهم في العمل الإسلامي، وهم غالباً لا يتدخلون في العمل السياسي ويؤثرون جانب السلامة.

### سادساً: محور العمل الفكري:

وتنحصر رؤية العاملين في هذا المحور في تقديم البحوث والدراسات الفكرية الإسلامية، في المجالات كافة المتعلقة بحياة المسلمين الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية وغيرها..

وتمتدُّ جهودهم إلى الدفاع عن الإسلام والوقوف في وجه الغزو الفكري والثقافي، والرد على الشبهات التي ينشرها أعداء الإسلام..

ويحاول بعضهم أن يقدم دراسات فكرية سياسية إسلامية، تصلح أن تكون قاعدةً للحكم الإسلامي برؤية معاصرة.

ويدخل في هذا المحور المجمعات الفقهية، ومراكز البحوث في اختصاصات متعددة..

### سابعاً: محور المؤسسات التعليمية الإسلامية.

يجتهد العاملون في هذا المحور في تخريج طلبة العلوم الشرعية، ولكن أغلب هذه المؤسسات مازالت تدرس على الطريقة التقليدية، ولم تستفد من الدراسات الفكرية الإسلامية المعاصرة على نحو واسع في مناهجها..

ويحاول القليل منها في أقسام الدراسات العليا التابعة لها، الاقتراب من معاناة العالم الإسلامي، بتقديم دراسات إسلامية معاصرة تستند إلى التأصيل الشرعي، وتمتلك رؤى وحلولاً لبعض المشكلات في المجتمع الإسلامي.

### ثامناً: محور المؤسسات الخيرية.

تخصص بعض العاملين في الحقل الإسلامي بالعمل الخيري والإغاثي، ولكن أغلبهم يعمل بطريقة تقليدية متواضعة، وقليل منهم يستخدم أحدث الأساليب المعاصرة في الإدارة والإغاثة، ويستفيد من مراكز البحوث والدراسات التابعة له أو لغيره من المؤسسات؛ لتقديم الحلول الشرعية للقضايا المستجدة والمعاصرة في مواضيع الزكاة واستثمارها وصرفها، والوقف الإسلامي، والاستفادة من علوم الإدارة والاقتصاد لتطوير العمل الخيري وتحديث أساليبه.

## تاسعاً: محور الإعلام.

وهو من المحاور المهمة في العمل الإسلامي، وما زال العاملون فيه يحتاجون إلى بذل جهود كبيرة، وإلى تمويل كبير، حتى يرتقوا بالعمل الإعلامي في تخصصاته كافة (الصحافة، الفضائيات، الإذاعة، الإنترنت، شركات الإنتاج التلفزيوني والسينمائي، وكالات الأنباء..). إلى المستوى المطلوب لينافس آلة الشرِّ الإعلامية المتغولة، ويدفع أذاها..

## عاشراً: محور العمل الاقتصادي.

وهو من المحاور المهمة التي تنبّه له الإسلاميون مؤخراً، فأسسوا مراكز للبحوث الاقتصادية، وأنشؤوا المصارف والأسواق المالية وشركات التأمين وشركات اقتصادية متنوعة، وجميعها يعمل وفق أحكام الشريعة الإسلامية.

● هذا من جهة ومن جهة أخرى لا نستطيع الادّعاء بأن هذه المحاور قائمة على قوالب خشبية لا تقبل الانزياح، بل إن أطراف هذه المحاور تتداخل لدى البعض وتفترق لدى البعض الآخر، فهناك جماعات تجمع العمل بمحاور عدة بأن واحد وبنسب متفاوتة..

## ● أين تقع الإشكالية!!؟

إن بعض هذه المحاور ينطبق عليها مبدأ التخصص، وهذا أمرٌ مطلوبٌ..

ولكن الإشكالية تظهر فيما يلي:

- ١- بعض هذه المحاور معتدل، ولكنه يحتاج إلى إصلاح وتطوير.
- ٢- وبعضها قائم على مبدأ التعصب والانعزال عن العمل الإسلامي

العام، والمحدودية في الفكر والممارسة، وهذه محاور قاصرة متخلفة غير صالحة.

٣- وبعضها خطأ ومرض مطلق، وهي المحصورة بدائرة الإفراط والتفريط.

### المطلب الثاني: حاجتنا.

إن العمل الإسلامي يحتاج للسير وفق مبدأ الوسطية والاعتدال، والتفاعل والتعاون والانفتاح على العاملين في الحقل الإسلامي وفق هذا المبدأ، ومعالجة الأخطاء والتخلص منها، وتشكيل تيار عمل إسلامي واحد يستفيد كل فريق فيه من ميزات وإنجازات الآخرين، ويتم توزيع المهام والاختصاصات لتكامل بدل أن تتناقض، وفق رؤية كاملة وشاملة يعمل الجميع بمقتضاها، بعيداً عن الانعزال أو الإقصاء أو الاستعلاء، ويجب التخلص نهائياً من نظرة كل فريق إلى الآخر على أنه مختلف أو أنه أقل قيمة وقدراً أو أنه ناقص...، ويجب الابتعاد نهائياً عن العنصرية والأنانية والاستئثار والتعصب للجماعة...

#### رؤية

عندما يستطيع العاملون في حقل الدعوة الإسلامية أن يضحوا  
بصدق لضح بعضهم، وأن يحزنوا لحزن بعضهم، وأن يحبوا لبعضهم  
ما يحبونه لأنفسهم..  
وعندما يدركون أن أي نجاح يحققه البعض هو نجاح للجميع...  
عندها نكون قد خطونا خطوات مهمة نحو تحقيق الأهداف.

وهذا لا يعني أن يمنح بعضنا العصمة لبعض، أو ألا يكون هناك اختلاف بيننا في وجهات النظر، ولكن هذا يعني أن القلوب يجب ألا تختلف، وأن تكون صافية ومحبة، وأن تكون النيات خالصة لوجه الله تعالى، وأن نتعاون ونتكامل في جبهة واحدة.

## إضاءة

لا مانع أن نختلف...

ولكن المانع أن نحترب..



## المبحث الثاني إشكاليات في تحديد الأهداف

### المطلب الأول: الواقع.

• بما أن الرؤى تختلف في الواقع من محور عمل إسلامي إلى محور آخر، وبما أنه لا يوجد رؤية موحدة كما مر معنا، فإن أهداف العمل الإسلامي بالضرورة أيضاً غير موحدة..

ما هي أهدافنا على المستوى العالمي؟

ما هي أهدافنا على المستوى المحلي؟

ما هي أهدافنا على مستوى الجماعة؟

ما هي أهدافنا؟! وليس ما هي أمانينا?!..

هل يستطيع أحد منا أن يزعم أن هناك أهدافاً محددة لكل مجموعة عمل إسلامي، وقد وضعت الخطط والبرامج والمناهج التي تعمل بموجبها، وبالتأكيد هي كفيلة لتحقيق أهدافها?!..

نعم.. هناك كثير من الأمانى في العمل الإسلامي ، ولكن هناك فرق

شاسع بين الأمانى والأهداف..

فالأماني تستند إلى العواطف، وتفتقر إلى العمل المبرمج والخطط والمناهج، بينما تحتاج الأهداف إلى هذا كله، مع حماسة متزنة لا تنطفئ دون بلوغها..

## المطلب الثاني: كيف نحدد الأهداف؟

١- يجب على العاملين في حقل الدعوة الإسلامية أن يحددوا أهدافهم على مستويين:

أ- المستوى الخاص بالجماعة:

والأهداف هنا يجب أن تتسق مع طبيعة العمل الذي تختص به الجماعة سواء أكان تعليمياً أم إغاثياً أم تربوياً أم سياسياً..

ب- المستوى العام للعمل الإسلامي:

وهنا يجب أن نجعل الأهداف الخاصة في خدمة الأهداف العامة، ويجب أن توظف إنتاجية العمل الخاص في هيكلية العمل العام، وألا تشذ عن رؤاه وتوجهاته.

### حقيقة

لا يخلو العمل الإسلامي في بعض مجموعات من تحديد الأهداف والبرمجة والتنسيق مع الآخر، والملفت للانتباه أن أكثر هؤلاء هم ممن يمارسون العمل الإسلامي في الدول المتقدمة.. لقد أثرت أجواء العمل العام في تلك المجتمعات على أجواء العمل الإسلامي الخاص، فاستفاد العاملون من الأجواء الديمقراطية وعلوم الإدارة والقيادة الحديثة والعلوم اللازمة الأخرى، واستثمروها على نحو جيد، وهذا يعني أنه ليس من المستحيل أن نطور العمل الإسلامي في هذا الاتجاه إذا أردنا ذلك بعزيمة وصدق..

- وبالمقابل فإن أجواء التخلف في مجتمعاتنا مازالت تؤثر في العمل الإسلامي على نحوٍ عام، وعلى بعض العاملين فيه على نحوٍ خاص.
- ٢- يجب أن نحدد أهدافنا: ماذا نريد، وكيف نريد، ومتى نريد، وأين نريد، بوضوح كامل.
- ٣- يجب أن ندرس عواقب ومآلات هذه الأهداف قبل إقرارها، فننظر: هل تحقق ما نريد؟
- ٤- يجب تقسيم الأهداف إلى نوعين: بعيدة المدى، وقصيرة المدى، وكل ذلك يجب أن يوضع على مراحل مترابطة ومنسجمة.
- ٥- يجب توفير معلومات واسعة متعلقة بموضوع الهدف، (إحصاءات، بيانات، دراسات..).
- ٦- يجب أن تتناسب الأهداف مع الإمكانيات المتاحة (موارد بشرية، موارد مالية، منشآت، متطلبات أخرى..).
- ٧- يجب أن تكون الأهداف واقعية وممكنة، بعيدة عن الأمان والأوهام.
- ٨- يجب توفير الخبرات اللازمة لتحقيق الأهداف.
- ٩- يجب أن يكون المدى الزمني لتحقيق الأهداف ممكناً، وضمن المدد الزمنية المتاحة، ويجب أن نعلم أن الوقت لا يتوقف، ولا يتكرر، ولا يرجع إلى الوراء.. فعامل الزمن من أهم العوامل التي تساعد على تحقيق النجاح.
- ١٠- يجب الإيمان بقوة الأهداف المحددة، ومصاحبته باستمرار، مع

الحيوية والحماسة.

رؤية

إن تحديد الأهداف على نحوٍ دقيقٍ وصحيحٍ، هو انتقالٍ منطقيٍّ بالإرادات والأعمال الخلاقية إلى عمق المستقبل..



## المبحث الثالث افتقاد التخطيط والبرمجة والتقييم والتعديل والتطوير

### المطلب الأول: واقع الحال.

● بما أن هناك ضعفاً في تحديد الرؤى والأهداف، فإن هذا يستتبع خلاً واضحاً في التخطيط والبرمجة والتنفيذ، ثم في التقييم والتطوير..

فبعد تحديد الرؤية في العمل الإسلامي وصياغة الأهداف اللازمة، تبدأ مرحلة وضع الاستراتيجيات والسياسات اللازمة لتحقيق الأهداف.. ويكون هذا عن طريق صعود سلم النجاح التالي:



- وتعالوا نتوقف قليلاً، ونتساءل من خلال توصيف الواقع:
- \* هل تُخلص مجموعات العمل الإسلامي فتَخْرُجُ من أسوار دائرة العمل الخاص إلى دائرة العمل العام.. وتؤثر مصلحة العمل العام على العمل الخاص؟!..
- \* هل نمتلك الإرادة والعزيمة القوية لتحقيق الأهداف؟..
- \* هل نتدبر العواقب قبل أن نقدم على أي عمل لنضمن النجاح؟..
- \* هل نتشاور؟ ، هل نضع الخطط الواضحة التي تحقق الاستراتيجيات والأهداف للعمل الإسلامي؟..
- \* هل نحول هذه الخطط إلى برامج يومية.. وأسبوعية.. وشهرية.. وسنوية..؟!..
- \* هل يوجد لأية مجموعة عمل إسلامي، خطة خمسية أو عشرية؟!..
- \* هل نستخدم المناهج التي تحقق الأهداف؟!.. هل نمتلك هذه المناهج؟!.. هل لدينا مقررات تستجيب لهذه المناهج؟!.. هل عمِلَ المفكرون الإسلاميون على إنجاز هذه المرجعية؟!..
- \* هل تمَّ تأهيل وتدريب أفراد وقيادات الدعوة الإسلامية على تنفيذ هذه البرامج والمناهج؟!.. أين مؤسسات التأهيل والتدريب المتطورة القادرة على إنجاز هذه المهمات الكبيرة؟!..
- \* ومع افتراض وجود كل هذا، وإنجاز كل هذه المراحل السابقة بإتقان ودقة، هل يقوم العاملون في حقل العمل الإسلامي بتقويم ما نفذوه وما أنجزوه ليتعرفوا على نقاط الضعف فيصلحوها، وعلى نقاط القوة فيطوروها؟!..

\* هل يتم تعديل وتطوير الخطط والبرامج والمناهج وطرائق التنفيذ على ضوء نتائج التقويم؟!..

\* هل يوجد في الواقع العملي لدى أغلب مجموعات العمل الإسلامي استراتيجيات وسياسات؟!!

والآن.. إن هذه التساؤلات تستطيع أن تجيب على نحو واضح لا لبس فيه على السؤال الذي يقرع آذان العاملين في حقول العمل الإسلامي..

**لماذا نعمل كثيراً ولا نحصد إلا القليل؟!!**

ألم يصبح الجواب واضحاً بيناً كالشمس في رابعة النهار؟!..

### **المطلب الثاني: أهمية التخطيط وشروطه.**

إن التخطيط والبرمجة للمستقبل المتوقع من خصائص الإنسان دون سائر الكائنات التي خلقها الله تعالى، وهي من ميزاته الفريدة التي أنعم الله تعالى بها عليه.. وهي ميزة يتمتع بها الأذكاء من البشر دون غيرهم، وهم وحدهم الذين يفوقون غيرهم في القدرة على توقع المستقبل والتخطيط له والتأثير في مجرياته.

**أولاً: أهمية التخطيط:**

- ١- يساعد التخطيط عملياً على تحقيق الأهداف، ويجعل الأمل ممكناً.
- ٢- يحافظ على الجهود والأموال والأوقات من الضياع.
- ٣- يساعد على تنفيذ الأعمال وفق جدول الأولويات.

- ٤- يحدد الطرق والوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف.
- ٥- يمنع تسرب الفوضى والعشوائية والمزاجية إلى العمل.
- ٦- يختصر الزمن، ويضبط إيقاعه في تحقيق الأهداف.
- ٧- يُبَصِّرُ العاملين بنتائج أعمالهم، ومعرفة ما أُنجَزَ منها، وما هو قيد الإنجاز.
- ٨- يُحدد لكل المنفذين مهامهم وأعمالهم ومسؤولياتهم التي سيسألون عنها.
- ٩- يساعد على معرفة نقاط الضعف والقوة في فريق العمل.
- ١٠- يرفع من مستوى إنتاجية العاملين كماً وكيفاً.
- ١١- والتخطيط هو التبصر انطلاقاً من الواقع، بالخطوات اللازم تنفيذها، حتى تتحقق الأهداف المطلوبة.
- ١٢- والتخطيط والبرمجة موهبة يكتسبها الإنسان بالتدريب والتأهيل والتجريب.

ثانياً: من الشروط اللازمة لنجاح التخطيط:

١- يجب أن يكون التخطيط قابلاً للتطبيق:

يجب أن يتوافق التخطيط مع الإمكانيات المتاحة، فلا تبالغ في رسم خطط طموحة جداً وأكبر من قدرتك على التنفيذ مما يؤدي إلى إحباطك وإحباط المنفذين لهذه الخطط، ويؤدي إلى تراجع العمل بدلاً من تقدمه.

٢- يجب أن ينطلق التخطيط من الواقع:

يجب أن ينطلق التخطيط من صلب الواقع، وليس من فراغ، فالخطط والبرامج يجب أن تستند إلى حقائق علمية وعملية، وليس إلى خيالات أو عواطف جياشة أو أوهام.

### ٣- يجب أن يرافق التخطيط وضوح الرؤية:

يجب أن ينطلق التخطيط من تشخيص الواقع بدقة، ومشاهدة الأهداف بوضوح، ورسم الخطوات اللازمة للانتقال فيما بين الواقع الحالي والتوقع المستقبلي.

### ٤- يجب أن تكون الخطط مرحلية:

إن التخطيط لتحقيق الهدف يجب أن يُوزع على مراحل زمنية مناسبة، فهناك خطة شهرية أو سنوية أو خمسية حسب ما تقتضيه الحاجة، وعنصر الزمن هو العنصر الأشد أهمية في عملية التخطيط لبلوغ الأهداف..

### ٥- يجب أن يكون التخطيط مرناً:

فلا جهود في التخطيط، وليس هناك خطط حجرية لا تقبل التعديل، فالخطط يجب أن تكون قابلة للتعديل حسب الظروف الطارئة والمستجدات.

### ٦- تقدير الصعوبات:

يجب تقدير الصعوبات والعوائق التي يمكن أن تعيق سير العمل، واتخاذ الاحتياطات اللازمة ضمن الخطة.

### ٧- الاستعانة بالخبراء:

يجب الاستعانة بالخبراء والمستشارين المتخصصين بالاختصاصات المناسبة.

### ٨- تحديد المكان:

يجب اختيار المكان المناسب لتنفيذ الخطة.

## ٩- تحديد الزمان:

أي تحديد تاريخ بدء التنفيذ ونهايته في كل مرحلة.

## ١٠- اختيار المنفذين:

يجب اختيار الأشخاص الأكفاء المناسبين لتنفيذ الخطة، ويجب إعدادهم وتأهيلهم على نحو خاص للأعمال المطلوبة.

## ١١- المتابعة اللصيقة والدقيقة:

يجب الإشراف على التنفيذ بدقة، ومتابعة الجداول الزمنية حسب الخطة.

## ١٢- ضرورة تقييم الخطة والتنفيذ والنتائج:

يجب أن يتم تقييم التنفيذ والتعرف على نقاط الضعف والثغرات لاستدراكها..

أي يجب تشخيص مستوى الأداء، والوسائل المستخدمة، والتعرف على العقبات التي اعترضت التنفيذ، وتحديد ما لم ينفذ من الخطة، والأسباب الموجبة لذلك..

ويجب التعرف على نقاط النجاح والتميز، للبناء عليها وتوسيعها في الخطط اللاحقة.

ويجب أن يكون التقييم باعثاً على التصحيح والتجويد، وليس باعثاً على الإحباط واليأس..



## المبحث الرابع استعجال الأمور قبل نضوجها

ذكرتُ في كتاب { مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية } : أن من أهم مشكلات الدعوة وآفاتهما، آفة الاستعجال وعدم التأني..

لقد دفع العمل الدعوي الإسلامي أثماناً باهظة وتكلفة عظيمة بسبب استعجال بعض العاملين في الحقل الإسلامي، لما كانوا يتمنونوه للإسلام من نجاحات على المستويات السياسية والاجتماعية وغيرها..

لقد فرحوا ببعض ظواهر الصحة الإسلامية على مدى عقود، فدفعهم ذلك للاستعجال بولادة الجنين في أشهره الأولى قبل نضجه، فلم يحافظوا على الجنين ومات المولود وقتلت الحاضنة!!..

وقد قيل: (( مَنْ اسْتَعْجَلَ الشَّيْءَ قَبْلَ أَوَانِهِ عُوِقِبَ بِحِرْمَانِهِ ))<sup>(١)</sup>.

وما زال البعض يكرّر هذا الخطأ الفادح مرات ومرات، ولم يتعلم من تجاربه وتجارب غيره..

وقلت: إن طلبَ الثمار قبل نضجها يُضيعها، فتخسر الأصل ولا تحصل على الثمرة..

(١) الأشباه والنظائر، لابن نجيم، القاعدة الخامسة عشرة، (ص/١٥٩)، والأشباه والنظائر، للسيوطي، القاعدة الثلاثون، (١/١٥٢).

إن بعض الدعاة يستعجل في كل شيء، يريد أن يتحوّل الناس بين عشية وضحاها إلى مسلمين برة صادقين مقرّين إلى الله تعالى. ولو كانت هذه الأمنية ممكنة لكان رسول الله ﷺ أولى الناس بها، ولكنه لم يستطع تشكيل النواة الأولى الصلبة للدولة الإسلامية إلا بعد ثلاثة وعشرين سنة، إلى حين توفاه الله ﷻ .

ويريد بعض الدعاة أن تتخلّص بعض المجتمعات الإسلامية من أمراضها المستعصية، ويريدون إقامة الخلافة الإسلامية المثالية، ويريدون أسلمة العالم كله بين عشية وضحاها.. إنهم لا يصبرون، ولا يتأنون، ولا يتعاملون مع القضايا بحكمة، ولا يأخذون بالأسباب.. ولا يفعلون ما ينبغي، في الوقت الذي ينبغي، وعلى الشكل الذي ينبغي.. وهذه مبادئ أساسية لتحقيق النجاح، فكيف يتحقق النجاح بفقدها؟!..

إنّ نصر الله قريبٌ إذا نفذنا شروطه.. ولكنهم قوم يستعجلون!!..

وعلى الداعي ألا يستعجل جنّي ثمرات الدعوة قبل نضجها..

إن الدعوة إلى الله تعالى مهمةٌ عظيمةٌ، دونها جميع المهام أهمية، إنها مهمة بناء الإنسان الفاضل العالم الحكيم المتميز.. ومن وراء ذلك بناء المجتمع الذي يتصف بهذه الصفات..

فكم يحتاجُ هذا الأمر من التأني؟!..

وكم يحتاجُ من الصبر؟!..

وكم يحتاجُ من الوقت؟!..

وكم يحتاج من العلم والحكمة والخبرة والموهبة؟!..

إن هذا الأمر، عظيم بذاته.. عظيم بأهدافه.. عظيم بوسائله.. فلا تستعجلوا..

#### إضاءة

على الداعي أن يكون متأنياً، وأن يُحْكِمَ الأمورَ، ويضعها في مواضعها، ومن فعل ذلك كان حظُّه الصواب، ومن كان على الصواب كان حليفه النجاح والفلاح..

#### رؤية

على الداعي ألا يستعجل في اتخاذ القرارات التي تحتاج إلى دراسة إلا بعد دراستها، وتدبر عواقبها.. إن عدم تدبر عواقب التصرفات التي صدرت عن بعض الدعاة أدَّى إلى عواقب كارثية على الدعوة وشبابها، وما زال بعض الدعاة يكررون أخطاءهم الفادحة في هذا الموضوع الخطير..

فالداعي إذا أراد أمراً تدبر عاقبته أولاً..، فإن كان خيراً تبناه، وإن كان شراً تركه، ولا يأبه البتة لكلام الناس والعامّة، وعليه ألا يتأثر بالضغوط النفسية والعاطفية.. فالحق أحقُّ أن يتبع.. وعندما يعزم على الأمر بعد تدبر عاقبته، عليه أن يجمع إلى جانب رأيه رأي الخبراء والمستشارين<sup>(١)</sup>..



(١) للتوسع انظر: القاعدة التاسعة من قواعد الحكمة في الدعوة، في كتاب مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.



## المبحث الخامس عدم مراعاة فقه الأولويات

### إضاءة

إن الخبراء يعلمون أن فقه الأولويات يكاد أن يكون مغيباً عن واقع العمل الإسلامي منذ مدة طويلة وحتى يومنا هذا.

عندما نضع السياسات والاستراتيجيات.. يجب أن نحدد أين يكون الجهد الرئيس..

ما هو الأهم، وما هو المهم، وما هو الأقل أهمية؟!؟

ما هو الأمر المستعجل الذي لا يمكن تأخيره؟!؟

ما هو الأمر الذي معه متسع من الوقت ويمكن تأجيله؟!؟

ما هو الأمر الذي هو في إطار الضروريات؟!؟

ما هو الأمر الذي هو في إطار الحاجيات؟!؟

ما هو الأمر الذي هو في إطار التحسينيات؟!؟

وماذا نقدم: أدفع المفسدة أم جلب المصلحة؟!؟

هل نقدم إزالة المنكر ولو كان يؤدي إلى منكر أكبر منه؟!؟

هل نقدم الخاص على العام، أو العام على الخاص؟!؟

هل نقدّم تعليم الإيمان أو الأحكام!!؟

هل نقدم تعليم الأصول أو الفروع!!؟

كل هذا وكثير غيره يحتاج إلى رؤية واضحة وإجابات محددة عند وضع الاستراتيجيات والسياسات والخطط والبرامج.

فمن فقه الأولويات: أن نعمل على حماية وصيانة الكليات الخمس للناس، بوصفها من أهم حقوق الإنسان..

فالإسلام يفرض علينا أن نوفر للناس حياةً يأمنون فيها على حياتهم وأموالهم وأعراضهم ونسلهم وعقولهم..

فإذا تعرض بلد من بلاد المسلمين للغزو والاعتداء، تُوجّه الجهود للدفاع عن البلد، ويُقدم الجهاد ومستلزماته من تقديم المال والسلاح والتمويل للمجاهدين على غيرها من الجهود.

ومن فقه الأولويات: أن نبدأ بتوفير الضروريات التي لا يمكن أن يستغني عنها الناس في حياتهم، ثم نسعى لتوفير الحاجيات، ثم نسعى لتوفير التحسينيات..

ففي حالة المجاعة، تُوجه الجهود لتوفير الطعام والغذاء للناس، وتُقدم على غيرها من الجهود.

ومن فقه الأولويات: أن نقدم درء المفسد عن الناس على جلب المصالح..

ومن فقه الأولويات: أن نقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة،

وأن نقدم المصلحة الدائمة على الطارئة، وأن نقدم المصلحة اليقينية على المصلحة التي تدور في دائرة الظن.

ومن فقه الأولويات: أن نأخذ بأخف الضررين وأعلى المصلحتين..

ومن فقه الأولويات: أن نقدم تعليم الإيمان على تعليم الأحكام..

"لأن الإيمان إذا استقر في القلب انقادت له الجوارح طائفة مسرورة لتطبيق الأحكام..

وكيف يمكن تعليم الأحكام لإنسان غير مؤمن أصلاً أو في إيمانه ضعف!!؟

فلا بدّ من إيقاظ الإيمان أولاً في القلب، فإذا انتعشت القلوب بالإيمان الحي هان على أصحابها الاستجابة لأحكام الإسلام، بل ينتقل هؤلاء من حال الاستجابة إلى حال السرور واللذة بتطبيق الأحكام، وإذا كان تطبيق الأحكام يحتاج إلى صبرٍ وجلدٍ، وفّر الإيمان العميق في القلب ما يحتاجه هذا الإنسان لتحمل المشقة.

لذلك أمرنا الله تعالى بالإيمان ثم بالعمل على تطبيق الأحكام، فقال تعالى: ﴿ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴾ [سورة إبراهيم].

فالذين آمنوا هم الذين يقيمون الصلاة وينفقون..

وينبهننا الله تعالى إلى أن الاتعاض بكلام الله تعالى والعمل بما أمر به من

أحكام مشروطاً بالإيمان، فيقول: ﴿ذَلِكَ يُوَعِّظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [سورة الطلاق: ٢].

ولقد سار النبي ﷺ على هذه القاعدة فزرع الإيمان في قلوب أصحابه، وغذاها بحجة الله ومعرفة الصلة به ومراقبته على كل حال، فلما آمنوا وحسن إيمانهم، وأحبوا ربهم، عندها بدأ يعلمهم الأحكام ويأمرهم بها. (١)

ومن فقه الأولويات: أن نقدم الأصول على الفروع.

فيجب تقديم الأصول في العقيدة على فروعها، وتقديم الأصول والفرائض في العبادات على سننها، وسننها على نوافلها، ونوافلها على مستحباتها. وتقديم الأصول والأركان في المعاملات على سننها ومستحباتها، وهكذا في كل أمر من أمور الإسلام...

فمثلاً: نقدم تعليم محبة الله تعالى، والتوحيد الخالص وعدم الإشراك بالله تعالى على بحث: هل خلق الله تعالى العرش أولاً أو القلم، أو هل الملائكة أفضل أو البشر؟!..

ونقدم تعليم الأركان والكتليات الفقهية على الخلافات؛ لأنها من الفروع وليست من الأصول، وهي محل خلاف بين الفقهاء.

فليس من المعقول أن نبحث مع الناس أن المصافحة بعد صلاة الجماعة

(١) للتوسع انظر: القاعدة الأولى من قواعد الحكمة في الدعوة، في كتاب مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.

بدعة!!.. وأن الأذكار الجماعية بعد صلاة الجماعة بدعة!!.. وأن الصلاة على النبي ﷺ بعد انتهاء الأذان بدعة!!.. وأن صلاة التراويح عشرين ركعة بدعة!!.. وكل ذلك موضع خلاف واجتهاد؛ فندخلُ عموم المسلمين في نزاع وخلاف تحزبي تفسيسي، وليس في خلاف علمي هادئ بين أهل الاختصاص. في حين فحمل أعظم واجب وهو توحيد كلمة المسلمين، وائتلاف قلوبهم، وحرصٌ صفوفهم، وتمكين المودة بينهم، ليكونوا كالبنيان المرصوص في مواجهة أعدائهم، والدفاع عن إسلامهم، وبناء مجدهم، وعزة أمتهم، ونهضة شعوبهم..

وإني أسأل: أيهما يستحق العناية أكثر وبذل جهد أكبر؟!..

أبيانُ حكم المصافحة بعد الصلاة وعدد ركعات التراويح، أم بيان حكم تخلف الأمة عن القيام بواجب تأمين كافة الاختصاصات العلمية والتكنولوجية والزراعية والصناعية... التي تتوقف عليها نهضة الأمة؟!..<sup>(١)</sup>

وفي فقه الأولويات يُبين الإمام الغزالي فرق المغترين من أهل العلم، الذين يُقدمون المهم على الأهم، وأحياناً النقص على الكمال، وخلاصة ما قال:

- فبعضهم اهتم بأحكام العلوم الشرعية والعقلية والتعمق فيها، وأهمل تفقد الجوارح وحفظها من المعاصي وإلزامها الطاعات.

(١) انظر: القاعدة الثانية من قواعد الحكمة في الدعوة، في كتاب مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.

- وبعضهم قدّم علوم المكاشفة الروحانية على العمل بالأوامر والنواهي.

- وبعضهم اهتم بأحكام العلم والعمل بالعبادات وأهمّل تركية القلوب والنفوس من الحسد والكبر والرياء وحب الاستعلاء والرياسة..

- ومنهم من قنع من العلوم بما لا يهم ، وتركوا المهم.

- وبعضهم قدم علم الفقه المتعارف عليه على علم الفقه المقصود في القرآن والسنة إذ يقول الله تعالى: ﴿... فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ (سورة التوبة). والذي يحصل به الإنذار غير فقه الطهارة والعبادات والمعاملات.. وهؤلاء تركوا العلوم التي هي أهم وهم غافلون مغرورون، وسبب غرورهم ما سمعوا في الشرع من تعظيم الفقه، ولم يدروا أن المقصود من الفقه المذكور في القرآن والسنة، هو الفقه عن الله تعالى، أي الفقه بكل علوم الإسلام الدنيوية والأخروية. وفي هذا قول النبي ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»<sup>(١)</sup>.

- وبعضهم اهتم بدقائق الجدل في الفقه، وهي بدعة لم يعرفها السلف؛ لإظهار الغلبة والإفحام وإقامة سوق الجدل بها، وأهمّل حقائق الفقه في الدين.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧١] (ص/٣٩).

- وبعضهم اهتم بعلم الكلام، والمجادلة، والرد على المخالفين، وتتبع مناقضاتهم، والاشتغال بتعلم الطرق في مناظرة الخصوم وإفحامهم، ويظنون أن لا أحد أعرف بالله تعالى وصفاته منهم، ويهملون أنفسهم وقلوبهم حتى عميت بصيرتهم.

- وبعضهم قدّم علم الأحاديث، وجمع الروايات الكثيرة منه، وطلب الأساسيد العالية الغريبة، وجعلها الأهم عنده، وأهمل العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة علاج القلب.

- وبعضهم قدّم علم النحو والشعر وغريب اللغة على غيره، ويزعمون أن قوام الكتاب والسنة بعلم اللغة، فأفنوا أعمارهم في دقائقه. <sup>(١)</sup>

- وبعضهم اهتموا بعلم التجويد فأفنوا أعمارهم في دقائقه، وأهملوا التدبر والعمل.

يقول الإمام الغزالي: ((فرقة أخرى تغلب عليهم الوسوسة في إخراج حروف الفاتحة وسائر الأذكار من مخارجها، فلا يزال يحتاط في التشديدات، والفرق بين الضاد والطاء، وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلاته، لا يهمله غيره، ولا يتفكر فيما سواه، ذاهلاً عن معنى القرآن والاتعاظ به، وصرف الفهم إلى أسراره. وهذا من أقبح أنواع الغرور؛ فإنه لم يُكَلَّفِ الخلق في تلاوة القرآن من تحقيق مخارج الحروف إلا بما جرت به عادتهم في الكلام. ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة إلى مجلس سلطان وأمر أن يؤديها على وجهها فأخذ يؤدي الرسالة، ويتأنق في مخارج

(١) انظر: إحياء علوم الدين، للغزالي، بيان أصناف المغترين، (٤/ ٢٠٠ وما بعدها).

الحروف، ويكررها، ويعيدها مرة بعد أخرى، وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس<sup>(١)</sup>.

ثم يقول: ((وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور، بل قد يتعين في الإنسان فرضان، أحدهما يفوت والآخر لا يفوت، أو فضلان أحدهما يضيق وقته والآخر يتسع وقته، فإن لم يحفظ الترتيب فيه كان مغروراً. ونظائر ذلك أكثر من أن تحصى. فإن المعصية ظاهرة، والطاعة ظاهرة، وإنما الغامض تقديم بعض الطاعات على بعض، كتقديم الفرائض كلها على النوافل، وتقديم فروض الأعيان على فروض الكفاية، وتقديم فرض كفاية لا قائم به على ما قام به غيره، وتقديم الأهم من فروض الأعيان على ما دونه، وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت))<sup>(٢)</sup>.

ولا شك أن التخصص مطلوب في العلوم والأعمال، ولكن المطلوب أيضاً وضع الأمور في مقاديرها وحجومها، وتقديم الأهم على المهم حسب ما تقتضيه الضرورة، وكما قال ابن قيم الجوزية: ((فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي))<sup>(٣)</sup>. وهذا من الحكمة التي يقتضيها فقه الأولويات.

### حقيقة

ليس المهم أن يكون وقتك مملوءاً بالعمل..  
ولكن المهم أن يكون عملك هو الأهم في فقه الأولويات..



(١) المصدر السابق، (٤/٢١٦).

(٢) المصدر السابق، (٤/٢١٨ وما بعدها).

(٣) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، منزلة الحكمة (٢/٤٧٩).

## المبحث السادس غياب فقه التدرج في المراحل والزمن

عندما نحدد الاستراتيجيات والسياسات ..

ثم نحدد الأولويات في التنفيذ..

فهل نعطي هذه الأولويات ما تستحقه من حيث الزمن اللازم، ومن حيث التدرج مرحلة بعد مرحلة حتى ننفذ هذه الأولوية على أتم وجه؟!.. إن واقع العمل الإسلامي يتحدث عن ضعف في تطبيق هذين الأمرين . فهل يمكن ولادة مجتمع إسلامي نموذجي دون اعتبار لما يحتاجه من جهد وحجم عمل متناسب مع الهدف، وبرنامج زمني كافٍ!!؟

### إضاءة

إن بعض الإسلاميين يقررون الأمور من خلال حماسهم وعواطفهم وأمانيتهم، وليس من خلال دراسة متأنية لواقع المجتمع ومدى تجاوب أفرادهم مع تطلعاتهم..

إن أغلبية أفراد المجتمع لا تتحمس للالتحاق بركب العمل الإسلامي بمجرد وجود بعض الإسلاميين المتحمسين..



لاشك أن هذا يمثل فكراً مريضاً بعيداً عن الحكمة والعقل والرشاد والسياسة الشرعية في الإسلام، ويتناقض مع كتاب الله تعالى وسنة النبي ﷺ .

\* فلقد بدأ النبي ﷺ يدعو الناس إلى الإسلام بالتدرج، الأهم ثم المهم..

### ففي مجال العقيدة:

بدأ النبي ﷺ في دعوته بترسيخ جذور الإيمان بالله تعالى وتوحيده ومعرفته في القلوب والعقول، فعلى سبيل المثال كان يطوف على الناس بسوق ذي الحجاز يقول لهم: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا »<sup>(١)</sup>.

لا يدعوهم إلى شيء آخر غير الإيمان بالله ورسوله.. فإذا أسلموا تدرج في تعليمهم، فعلمهم باقي أركان الإسلام..

### وفي مجال الشريعة:

وبعد ترسيخ الإيمان في القلوب والعقول..

- طلب من الناس أداء الصلاة بالتدرج.. فكانت في البدء ركعتين ، وكان ذلك قبل الهجرة، ثم أصبحت أربع ركعات بعد الهجرة.

تقول عائشة رضي الله عنها : ((فُرِضَتُ الصَّلَاةُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ فَفُرِضَتْ أَرْبَعًا، وَتُرِكَتْ صَلَاةُ السَّفَرِ عَلَى الْأُولَى))<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٦٠٢٣] [٤٠٤/٢٥]، ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٩٣٥] [ص/٧٤٨].

فلما أدّوها زادهم فعلمهم الزكاة، فلما أدّوها زادهم فعلمهم الصيام، وهكذا..

يقول ابن عباس رضي الله عنه : ((بعث النبي صلى الله عليه وسلم بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدّقه فيها زادهم الصلاة، فلما صدّقه زادهم الزكاة، فلما صدّقه زادهم الصيام، فلما صدّقه زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم))<sup>(١)</sup>.

وهذا ما أكدّه النبي صلى الله عليه وسلم في وصيته لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حينما بعثه إلى اليمن ، يقول ابن عباس رضي الله عنه : ((إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه عَلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلَ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةَ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرْدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»))<sup>(٢)</sup>.

- وتدرّجت الأحكام، فتمّ تحريم الخمر بالتدرّج..

لقد بقي الصحابة مدة ستة عشر عاماً بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، والخمر مباحة لم تُحرّم عليهم، فلما حبب الله تعالى إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وامتلكوا الرشد في الفهم والعمل، أمرهم باجتنابها فتركوها ملبين مندفعين بلا تردد..

(١) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (٣٠١/١٩).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٤٥٨] (ص/٢٨٤).

تقول السيدة عائشة -رضي الله عنها-: ((إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ - أي من القرآن الكريم- سُورَةٌ مِنَ الْمُفَصَّلِ<sup>(١)</sup>، فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ، نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ. لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الْخَمْرَ أَبَدًا. وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا لَقَالُوا: لَا نَدْعُ الزَّنى أَبَدًا.))<sup>(٢)</sup>.

يقول الشاطبي في الموافقات: ((ومن هنا كان نزول القرآن نجومًا في عشرين سنة، ووردت الأحكام التكليفية فيها شيئاً فشيئاً ولم تنزل دفعة واحدة، وذلك لئلا تنفر عنها النفوس دفعة واحدة. وفيما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد الملك قال له: "ما لك لا تنفذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق". قال له عمر: "لا تعجل يا بني، فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة"<sup>(٣)</sup>)).

### - وتم فرض الجهاد بالتدرج..

فقد كان الجهاد وقتال الكفار قبل الهجرة غير مشروع، ثم أذن الله تعالى للمسلمين بالدفاع عن أنفسهم إذا بدأهم الكفار بالقتال، وكان ذلك

(١) المفصّل: هي السور المحكّمة، وإنما سُميت بالمفصّل لكثرة السور والفصول فيه، وسُميت

بالمحكّم أيضاً؛ لأن أكثره لا نسخ فيه.

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٩٩٣] (ص/٩٩٣).

(٣) الموافقات، للشاطبي، (١٨٦/٤).

في السنة الثانية للهجرة، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا  
وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ ﴿٣٩﴾ [سورة الحج].

ثم نزل الأمر بالجهاد في مرحلة تالية، بقول الله تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا  
وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ  
كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤١﴾ [سورة التوبة].

- ثم علمهم ﷺ حرمة الأنفس والدماء والأموال، والحلال والحرام  
حتى أكمل لهم دينهم..

وهكذا دعا رسول الله ﷺ إلى العمل بشريعة الإسلام متدرجاً من  
الأهم إلى المهم، وفي هذا درسٌ بليغٌ للدعاة وبخاصة الدعاة الذين يعملون في  
الدعوة إلى الله تعالى في البلاد غير الإسلامية، ليبدؤوا بالدعوة والتعليم  
درجة درجة، الأهم ثم المهم ثم الأقل أهمية..

### وفي مجال الأخلاق:

تدرّج رسول الله ﷺ في تعليم أصحابه الأخلاق الإسلامية، فبدأ بالأهم  
مما يحتاجون إليه ثم المهم، حتى تمّ لهم مكارم الأخلاق ونفى عنهم سيئها..

### وفي مجال التزكية:

تدرّج النبي ﷺ في تزكية نفوسهم، وترقية أرواحهم، حتى وصلوا إلى  
أرقى الحالات..

عن أبي عثمان النهدي عن حَنْظَلَةَ الْأَسَيْدِيِّ قَالَ: ((وكان من كُتَّابِ

رسول الله ﷺ قال: لَقِينِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةَ. قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا تَقُولُ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ فَنَسِينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَوَاللَّهِ إِنَّا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا. فَأَنْطَلَقْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: نَافِقَ حَنْظَلَةَ يَا رَسُولَ اللَّهِ!. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَكُونُ عِنْدَكَ تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ حَتَّى كَأَنَّ رَأْيِي عَيْنٍ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا<sup>(١)</sup> الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيِّعَاتِ<sup>(٢)</sup> نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحْتَكُمْ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ. وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةَ سَاعَةً وَسَاعَةً. ثَلَاثَ مَرَّاتٍ»<sup>(٣)</sup>.

### وفي مجال الحكمة:

تدرَّج النبي ﷺ في تعليمهم الحكمة حتى صاروا علماء حكماء كادوا من فقههم أن يكونوا أنبياء.. فتبوؤوا أعلى مراتب القيادة، وكانوا عباقرة زمانهم، وأسسوا لحضارة عظيمة لم يشهد العالم لها مثيلاً.

(١) عَافَسْنَا: عَاجَلْنَا وَمَارَسْنَا مَعَاشِنَا وَحَظَوْنَا مِنَ الْأَزْوَاجِ وَالْأَوْلَادِ وَالضَّيِّعَاتِ.

(٢) الضَّيِّعَاتِ: وَهِيَ مَعَاشُ الرَّجُلِ مِنْ مَالٍ أَوْ حِرْفَةٍ أَوْ صِنَاعَةٍ.

(٣) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٧٥٠] (ص/١١٠٠).

## وفي أساليب الدعوة:

تدرّج النبي ﷺ في دعوته:

- ١- فبدأ بالدعوة الفردية السريّة، في محيطه القريب، فأمن به خديجة، ثم أبو بكر، ثم علي، وزيد بن حارثة..
- ٢- ثم انتقل إلى الدعوة الجماعية السريّة، في دار الأرقم وغيرها..
- ٣- ثم انتقل إلى الدعوة الجهرية العلنية، بدعوة عشيرته الأقربين..
- ٤- ثم بدأ يخرج إلى الناس ليلتقي بهم أثناء المواسم؛ ليدعوهم إلى الإسلام، حيث التقى بشباب المدينة في الحديبية، فدخلوا في الإسلام، وشكلوا النواة الدعوية الأولى في المدينة المنورة.
- ٥- ثم بدأ يخرج إلى خارج مكة، إلى البلدات القريبة منها، فذهب إلى الطائف ليدعوهم إلى الإسلام.
- ٦- ثم بدأ ينشر الدعوة الإسلامية في البلدات البعيدة، فأرسل بعض أصحابه إليها لنشر الإسلام فيها، حيث أرسل مصعب بن عمير رضي الله عنه سفيراً إلى المدينة.
- ٧- ثم بدأ يدعو أهل الكتاب القريين بعد أن هاجر إلى المدينة.. فدعا يهود المدينة ودعا نصارى بجران وغيرهم.
- ٨- ثم بدأ يدعو قادة الدول وزعماء الناس، فأرسل لهم الرسل والرسائل يدعوهم إلى الإسلام. فعن أنس رضي الله عنه : ((أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى

وإلى قيصر وإلى النجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى))<sup>(١)</sup>.  
 ٩- ثم بدأ بعد فتح مكة ينشر الدعوة عبر الوفود التي كانت تأتي إليه،  
 فيُحسن وفادتها، ويكرم قادتها، ويبدل جهوداً عظيمة، ووقتاً طويلاً في  
 دعوتهم وتعريفهم بالإسلام. فإذا أسلموا أمرهم بتبليغ الإسلام إلى أقوامهم،  
 وكان أحياناً يُرسل أحد أصحابه معهم معلماً وداعياً ومستشاراً..

فهذا وفد عبد القيس بعد أن دعاهم إلى الإسلام، وعلمهم أمور دينهم،  
 قال لهم: « أَحْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ »<sup>(٢)</sup> وكان هذا في العام  
 التاسع للهجرة، حيث عُرف هذا العام بعام الوفود.

١٠- ثم انتقل النبي ﷺ في السنة العاشرة للهجرة، إلى إرسال البعث  
 والدعاة من أصحابه، ليدعوا أهل البلدات القريبة والبعيدة إلى الإسلام،  
 وينشروا الإسلام، ويعلموا الناس أمور دينهم.

فبعث أبا موسى الأشعري ومعاذ بن جبل -رضي الله عنهما- إلى أهل  
 اليمن. وبعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى أهل نجران.  
 وبعث عدداً آخر ذكرت أخبارهم في كتب السيرة..

\* التدرج في الدعوة إلى الله في عصرنا الحاضر وكل عصر أمر

مطلوب:

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٧٧٤] (ص/٧٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٥٣] (ص/٣٤).

## إضاءة

على جماعات الدعوة أن يأخذوا بسنة التدرج، فسنة التدرج في دعوة الناس إلى الإسلام باقية في كل زمان ومكان؛ لأن فقه التدرج هو من فقه الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى..

لذلك علينا أن نبدأ بتعليم الإيمان أولاً ثم بتعليم الأحكام، ونبدأ بتعليم الأصول أولاً ثم نبدأ بتعليم الفروع، وهكذا..



## المبحث السابع افتقاد الإعداد والتأهيل والتدريب وتنمية المهارات

إن الإعداد والتأهيل والتدريب وتنمية المهارات جزء لا يتجزأ من خطط وبرامج تحقيق الأهداف. والواقع يقول: إن هذا الأمر مفقود إلى درجة كبيرة في العمل الإسلامي، باستثناء بعض البرامج القليلة جداً هنا وهناك.

إن الأساليب التقليدية والبرامج المعمول بها في مؤسسات التعليم الشرعي، والتي يفترض فيها أن تخرج الدعاة لا تراعي على الأغلب الأعم موضوع التأهيل والتدريب. فهي في الواقع تخرِّج قراءً وحفاظاً نصوص وأئمة مساجد، وخطباء تقليديين على الأغلب..

أما مفاهيم الدعوة والتربية والتزكية..، وأساليب العمل الحركي وبناء قادة الدعوة، وفنون العمل القيادي والإداري، وكيفية التعامل مع الشباب، أو التعامل مع أوساط العاملين في الحقل الاقتصادي، أو التعامل مع أوساط المثقفين، أو التعامل مع أوساط الحرفيين، أو التعامل مع السياسيين..، كل هذه الأمور وأمور أخرى مهمة لم يؤهلوا ولم يتدربوا عليها، وليس لديهم أي خبرة في ذلك على الأغلب.

\* إن التدريب والتأهيل وتنمية المهارات عناصر مهمة جداً للدعاة؛ لأن ذلك يزودهم بالمهارات والأفكار التي تمكنهم من تنفيذ مهام الدعوة

وأعمالها على نحو فعال، مما يؤدي إلى تحسين أدائهم، وإحداث إنجازات تحقق نجاحات في عمل الدعوة، كما يساعدهم ذلك على الاطلاع على كل ما هو جديد ومفيد ضمن اختصاصاتهم.

\* ويندرج التدريب والتأهيل وتنمية المهارات في إطار العمل التعليمي، ولكنه يغلب عليه الجانب العملي إضافة للجانب النظري، وهذا يعطي ميزة كبيرة لتطوير العمل الدعوي وتحقيق الأهداف ضمن الخطط المرسومة..

\* كما أن من ثمرات التدريب والتأهيل تنمية قدرة الدعاة على استثمار الوقت على النحو الأمثل، ولا تتحقق الفائدة من التدريب والتأهيل وتنمية المهارات إلا ببذل الجهد من الدعاة في التطبيق والممارسة، والتعمق في الدراسات النظرية المتعلقة بموضوع التدريب والتأهيل.. كما تُعدُّ المشاركة والتفاعل من الأمور المهمة لتحقيق الفائدة المرجوة.

### رؤية

على المؤسسات الدعوية أن تنشر الوعي بأهمية التدريب والتأهيل وتنمية المهارات عند الدعاة، وأن تحفزهم باستمرار لتطوير إمكاناتهم وقدراتهم واكتساب مهارات جديدة تنفعهم في دعوتهم..

### واجب

يجب تدريب الدعاة على التخطيط الاستراتيجي ووضع البرامج، فالعمل الدعوي المعاصر يجب أن يخرج من الأطر التقليدية، إلى تطبيق أحدث الأساليب المعاصرة في التخطيط والبرمجة وفن الإدارة والقيادة وإتقان مهارات التأثير والتواصل مع الجماهير.

### إضاءة

إن سرعة تطور العلوم ووسائل الإعلام والتواصل وانتشار الخبرات على أوسع نطاق بالإضافة إلى عولمة المعرفة، تفرضُ على الدعوة تطوير قدراتهم ومهاراتهم باستمرار من خلال التدريب والتأهيل.

\*وإن من مهام التدريب والتأهيل وتنمية المهارات، رفع منسوب القدرة عند الدعوة على الابتكار والإبداع في مجال نشر الدعوة الإسلامية، والاستفادة من جميع الخبرات المتراكمة في هذا المجال..

\*إن مسؤولية التدريب والتأهيل وتنمية المهارات تقع على عاتق المؤسسات الدعوية التي يجب عليها وضع استراتيجية شاملة لتدريب الدعوة وفق الاحتياجات والأولويات.

### رؤية

لا بد للعمل الإسلامي كي يحقق أهدافه من العناية بموضوع التأهيل والتدريب وتنمية المهارات، والسبيل الأقوم لهذا الموضوع، هو إحداث مؤسسات متخصصة في هذا المجال على أرفع مستوى..

ويجب أن يركز العاملون في مجال حقل الدعوة الإسلامية على توجيه أصحاب المواهب، لتخريج قاعدة واسعة ومتميزة من المدربين، وخبراء التأهيل وتنمية المهارات؛ ليقودوا عملية التأهيل والتدريب المطلوبة.. إن هذه المهمة من أولويات المهام التي يجب إنجازها ليتم البناء عليها في إعداد قادة الدعوة المتميزين..

## فائدة

إن التطورات المعرفية المتسارعة، تُلزم جميع الدعاة القدامى والجدد، باتباع دورات تدريبية في تنمية الخبرات والمهارات، كي يستطيعوا مواكبة عصرهم، ومخاطبة مجتمعاتهم بكفاءة عالية، ليحققوا التأثير المطلوب، والتغيير المأمول، والقيادة الناجحة.



## المبحث الثامن أزمة فكر بين الجمود والتفتت

**المطلب الأول: أزمة فكر وجمود في التعامل مع التراث:**

● تساؤلات:

\* هل نفكر بعقولنا أو بعقول غيرنا؟!..

\* هل فكرنا وفكر غيرنا معصوم؟!.. أو هو فكر قابل للنقاش

والتمحيص؟!..

\* أنحن ملزمون بكل التراث الإسلامي الناشئ عن اجتهاد بشري، أم

نأخذ منه ما يصح وندع منه ما لا يصح؟!..

\* هل جميع الاجتهادات التي جرت منذ مئات السنين ، والتي جرت

في إطار ثقافة ذلك العصر وظروفه الخاصة، وفي إطار المعارف والوسائل

المعرفية المتاحة حينها، مُلزمةٌ لنا ولكل عصر بعدنا؛ مهما اختلفت ظروف

المكان والزمان والإمكان، ومهما استجد من أمور لم تكن في عصر أولئك

المجتهدين الكبار، ولم يروها، ولم يطلعوا عليها، ولم يسمعوا بها؟!..

\* هل أَلزَمْنَا هؤلاء الأئمة المجتهدون باجتهاداتهم، وألزموا جميع

المسلمين بها إلى يوم القيامة، وأنذروا من يُخالفهم بالويل والثبور وعظائم

الأمور؟!..

## ● أيها الدعاة..

## رؤية

علينا أن ن فكر بعقولنا، وفكرنا وفكر غيرنا غير معصومين، وكلُّ منهما قابل للنقاش والتمحيص من أهل الكفاءة والاختصاص،  
الملتزمين بالكتاب والسنة.

## واجب

يجب علينا أن ن فكر موضوعياً بكل ما نقرأ ويكل ما نسمع، ونبحث عن الصواب، ولنسنا ملزمين بكل ما جاء في التراث الإسلامي من اجتهادات بشرية إلا ما أجمعت عليه الأمة بلا خلاف - وهو قليل جداً - بل علينا أن نأخذ من التراث ما يصحُّ وندع ما لا يصحُّ، وليست جميع الاجتهادات البشرية التي قامت منذ مئات السنين في ظروف مختلفة وأزمنة متباعدة ملزمة للمسلمين في الأزمنة كافة حتى يوم القيامة..

والحقيقة أن أئمتنا المجتهدين لم يطلبوا منا ذلك، ولم يدع أحد منهم أنه معصوم، وجميعهم نھوا عن تقليدهم تقليداً أعمى، ودعوا إلى الأخذ بالدليل الأرجح.. ولكن بعض العاملين في الحقل الإسلامي ألزموا أنفسهم بما لا يلزم، وحجروا على أنفسهم وعلى المسلمين، مما أدى إلى أزمة فكرية، وجمود في الفهم والاجتهاد، ما زال العالم الإسلامي يعاني منها حتى اليوم!!.

## حقيقة

كلنا نخطئ ونصيب، ولا عصمة إلا للأنبياء والمرسلين في تبليغ ما أوحى إليهم، أو ما يؤثر سلباً على تبليغهم للرسالة..

وإذا كان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: «أيها الناس قد وليت عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني»<sup>(١)</sup>.

وإذا كان سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه يقول: «من رأى منكم فيّ اعوجاجاً فليقومه»<sup>(٢)</sup> ويقول: «امرأة أصابت وأخطأ عمر»<sup>(٣)</sup>.

فمن من المسلمين فوق مقامي أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما-؟!..

من من المسلمين يستطيع أن يدعي لنفسه العصمة، ويحرم على المسلمين مناقشة أفكاره، وتبين الصحيح منها من السقيم؟!..

إن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الوحيد الذي يتبع في كل ما يقول؛ لأنه معصوم

بنص القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾<sup>(٤)</sup> [سورة النجم].

\* لذلك يجب علينا أن نمحص وأن نبحت في كل ما نُقل إلينا من التراث الإسلامي، في المجالات كافة من فقه، وتفسير، وعلم كلام، وعلوم الحديث، والسيرة، والتصوف، والتاريخ وغيرها.. ونميز ما بين الصحيح فنأخذ به وما بين السقيم فنتركه ونتجنبه؛ لأنه لا يصح أن نأخذ بكل ما نقله إلينا العلماء الأقدمون، ولو كانوا من أهل التقوى والورع والصلاح والولاية، ولا

(١) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، (١٩٤/٢).

(٢) الخلافة، للشيخ محمد رشيد رضا، (ص/١٤٨).

(٣) المصدر السابق، (ص/١٤٨).

يصحُّ أيضاً أن نردّه جملةً وتفصيلاً، ولكننا نأخذ منه ما وافق الكتاب والسنة وندع ما يُخالفهما.. وهذا ما دعانا إليه أئمتنا رضي الله عنهم .

قال صاحب الهداية في روضة العلماء، إنه قيل لأبي حنيفة رضي الله عنه : «إذا قلتَ قولاً وكتاب الله يخالفه؟ قال: اتركوا قولي بخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقيل له: إذا كان قول الصحابي يخالفه؟ فقال: اتركوا قولي بقول الصحابي»<sup>(١)</sup>.

وروي عن صاحبه أبي يوسف، أنه قال: « لا يحلُّ لأحدٍ أن يقولَ مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا »<sup>(٢)</sup>.

ويقول الإمام الشافعي: ((إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط))<sup>(٣)</sup>

وقال: ((إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقولوا بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوا ما قلت))<sup>(٤)</sup>.

وقال حرملة بن يحيى: (( قال الشافعي: ما قلت وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد قال بخلاف قولي فما صح من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أولى، ولا تقلدوني))<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو داود: سمعته (أي الإمام أحمد) يقول: الاتباع أن يتبع الرجل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، ثم هو بعد في التابعين مُخَيَّر. وقال

(١) انظر: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، للشوكاني، (ص/٥٤).

(٢) انظر: إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (٢/٢٢٦)، وانظر: القول المفيد، للشوكاني، (ص/٤٢).

(٣) انظر: إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (٢/٣٢٥).

(٤) انظر: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، للشوكاني، (ص/٥٥).

(٥) انظر: المصدر السابق، (ص/٥٦).

أيضاً: (( لا تقلدني، ولا تقلد مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي، وخذ من حيث أخذوا))<sup>(١)</sup>.

وروي عن الإمام مالك، عن معن بن عيسى، قال: ((إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه))<sup>(٢)</sup>.

وهذا يُلخِّصُ بدقة ما توصلنا إليه في هذه الفقرة..

#### حقيقة

ما نُقل عن الأئمة من ضرورة تجنب التقليد الأعمى، يستدعي العودة للاجتهاد والتفكير والبحث والتمحيص، في كل ما جاء في التراث، وعدم الجمود في الفكر والنظر..

ومن أزمة الفكر والجمود تلك الدعوات التي أطلقها بعض العلماء المسلمين لتعطيل الاجتهاد، وأنه لا يصحُّ الاجتهاد بعد العصور الثلاثة الأولى!!..

#### حقيقة

إن تعطيل الاجتهاد أدى إلى التخلف الفكري والعلمي في المجتمع الإسلامي، وحجر على العقول العالمة، فأدى إلى تعطيلها وقصورها عن تقديم الحلول لاحتياجات الأمة المتجددة، وذلك يتنافى مع طبيعة الإسلام وحيويته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

(١) انظر: إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (٢/٢٢٦).

(٢) انظر: القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، للشوكاني، (ص/٤٢).

وهذا يتنافى أيضاً مع طبيعة العقل ذاته.. ((لأن العقل وجد للملاءمة بين الإنسان وظروف الحياة التي يعيش فيها، ولذلك كان هذا العقل مصدر هداية وتوجيه له في حياته (إذا كان ملتزماً بالإيمان). فإن قضى عليه في عصر أن يقف عند حد أنواع الملاءمة التي استنبطت في عصر سابق، كان ذلك خروجاً به عن طبيعته...

ويتنافى الوقوف به عند زمن معين مع طبيعة الحياة؛ لأن أحداثها ليست أزلية غير متغيرة، بل خصيصتها التغير والتجدد. وإذن، فقد يكون ما ناسب أحداثها الماضية من علاج...، غير مناسب لعلاج الأحداث الجديدة! والحكم بإخضاع هذه الأحداث الجديدة لتكييف الماضي وعلاجه قد يؤدي إلى تعسف ومشقة. نتيجة التنافر بين خصائص الأحداث الجديدة والعلاج الذي أخذ به لأحداث سابقة فيما مضى.

ويتنافى أيضاً مع طبيعة المبادئ الإسلامية وخصائصها؛ لأن هذه المبادئ ليست لها طبيعة التوقيت، ولا الخصوص المكاني أو الزماني. فهي للناس كافة، وللإنسانية في أزمنتها المتتابعة، وفي جميع بقاعها.

ومقتضى ذلك: أنها صالحة لتناول أحداث الحياة، وقادرة على صبغها بالصبغة الإسلامية، وأنها صالحة كذلك لتوجيه الإنسان في الحياة في ظروفها المختلفة...

العقل الإنساني هو العقل الإنساني في كل عصر وجيل.. وموقف الإنسان المسلم من كتاب الله تعالى وسنة رسوله في أي جيل، يجب أن يكون هو موقف الإنسان المسلم أول الدعوة في الإسلام، وفي المدّة الذهبية

له. هذا الموقف هو: أن للمسلم المتأخر في الزمان الحق كل الحق في أن يفهم القرآن والسنة الصحيحة، كما كان هذا الحق نفسه للمسلم السابق. على أن تتوافر للمتأخر مقومات الفهم (السليم) على نحو ما عرفها السلف فيما مضى، واعتبرت دستور الاجتهاد وشروطه. وهذا الحق المشترك بين السابق واللاحق لا يوحى به تحقق الوصف الإنساني لكل منهما فحسب، بل توحى به أيضاً الأحداث المتغيرة في الجماعة الإسلامية، وتطور الحياة نفسها بين المسلمين.

فهذه الأحداث خليقة بأن تحمل المسلمين في بيئاتهم المختلفة وأجيالهم المتعاقبة على إخضاع هذه الأحداث نفسها للإسلام، حتى يصبح تصرف المسلمين إزاءها تصرفاً إسلامياً.. وبذلك لا يعيش الإسلام في عزلة عن مجرى الحياة العلمية للجماعة الإسلامية!)<sup>(١)</sup>.

### ● فئات تُخطئ بتعاملها مع الفكر والتراث:

\* لقد ابتلينا بفئاتٍ ثلاثٍ تتعامل مع الفكر والتراث الإسلامي على نحو خاطئ:

الفريق الأول: يريد إلغاء التعامل مع التراث نهائياً، وسلخه عن ثقافتنا، وتعقيم عقولنا وتفكيرنا وذاكرتنا منه، حتى تنقطع صلتنا به، فلا نفكر به مطلقاً، ثم نبدأ كالأطفال بتكوين ذاكرة جديدة تستند إلى مفاهيم وثقافات مستوردة، دون تمحيصها والنظر في صحتها وسقيمتها..

(١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، د. محمد البهي، (ص/ ١٣٣ وما بعدها).

وهؤلاء يريدوننا أن نعترب في ثقافتنا ، فنقلد الغرب تقليداً أعمى دون تفكير وتمحيص، فهمم (تغريبيون) .

والفريق الثاني: يريد أن نأخذ بكامل التراث بقضه وقضيضه، ويريد أن نجعل التراث فوق النقد، فلا يقبل البحث والتمحيص، ويريد أيضاً أن نضفي على التراث القداسة والعصمة، فنسلم له تسليماً كاملاً..

وهؤلاء يريدوننا أن نعترب عن عصرنا إلى عصور ماضية، فنقلد الأقدمين بجمود دون تفكير وتمحيص، فهمم (تقليديون).

والفريق الثالث: يوغل في التجرؤ والتطرف بنقد التراث، فيكفر كل من يختلف معه فكرياً!!..

وهؤلاء يريدوننا أن نتحجر على أفكارهم، ونكفر المسلمين الذين يخالفوننا في الرأي، ولو شهدوا لله تعالى بالوحدانية، وشهدوا لمحمد ﷺ بالرسالة والنبوة، وصاموا وصلوا وزكوا وحجوا واعتقدوا بعقيدة الإسلام، فهمم (تكفيريون).

ومنطق كل هؤلاء يعبر تعبيراً واضحاً عن أزمة الفكر والجمود التي يعاني منها المجتمع الإسلامي.

#### واجب

يجب أن نتعامل مع تراثنا بإنصاف، فنحدد الصواب ونحدد الخطأ ولا نعمم، فإذا وجدنا رأياً خاطئاً عند أحد المفسرين أو المتصوفين أو المحدثين أو الفقهاء أو غيرهم، فلا نحكم على كل الطائفة بالخطأ والضلال..

ولا نفعل كما يفعل البعض عندما يتطرفون فيكفرون جماعة من المسلمين بالجملة، لأن بعضاً ممن ينتسبون إلى هذه الجماعة لهم أقوال خاطئة..

أليس هذا ما فعله البعض مع الصوفيين؟!..

وهناك جماعات تكفر جماعات أخرى لمجرد الاختلاف معهم بقضايا ليست محسومة اجتهادياً وفيها آراء متعددة!!..

إنها أزمة فكرية وجمود يعاني منهما العمل الإسلامي،

على مدى مئات السنين..

● الاعتدال والتحقق والإنصاف هو المطلوب في التعامل مع التراث:

\* مثال أول على ذلك، إنصاف الإمام الشاطبي:

انظر إلى الإنصاف عند الشاطبي عندما ناقش بعض تراث الصوفيين في كتابه {الموافقات}.

فقد تحدث في المقدمة التاسعة عن أقسام العلم الثلاثة، وذكر منها:

القسم الثاني: وهو المعدود في مِلْح العلم لا من صلبه.. ثم ضرب له أمثلة، فتحدث عن الأشعار التي يستخدمها الصوفية بكثرة، فقال في المثال السادس:

((والسادس: الاستناد إلى الأشعار في تحقيق المعاني العلمية والعملية وكثيراً ما يجري مثل هذا لأهل التصوف في كتبهم، وفي بيان مقاماتهم؛ فينتزعون معاني الأشعار، ويضعونها للتخلق بمقتضاها، وهو في الحقيقة من المِلْح؛ لما في الأشعار الرقيقة من إمالة الطباع، وتحريك النفوس إلى الغرض المطلوب، ولذلك اتخذ الوعاظ دَيْدَنَا، وأدخلوه في أثناء وعظهم، وأما إذا

نظرنا إلى الأمر في نفسه؛ فالاستشهاد بالمعنى، فإن كان شرعياً؛ فمقبول،  
وإلا فلا) (١).

ويقول مميّزاً بين السلف الصالح من الصوفية وبين المبتدعين المنتسبين  
للتصوف:

((وفي غرضي: إن فسح الله في المدة، وأعاني بفضلها، ويسر لي  
الأسباب، أن أخصّ في طريقة القوم (الطريقة الصوفية) أنموذجاً يُستدل به  
على صحتها وجريانها على الطريقة المثلى، وأنه إنما داخلتها المفسد،  
وتطرفت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف  
الصالح، وادّعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي، ولا فهم لمقاصد  
أهلها، وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صارت في هذا الزمان الأخير  
كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها محمد ﷺ. وأعظم من ذلك أنهم  
يتساهلون في اتباع السنة، ويرون اختراع العبادات طريقاً للتعبّد صحيحاً،  
وطريقة القوم بريئة من هذا الخباط بحمد الله. فقد قال الفضيل بن عياض:  
"من جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة") (٢).

ويقول عن أخذ الأحكام من المنامات:

((وأضعف هؤلاء احتجاجاً قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات،  
وأقبلوا وأعرضوا بسببها فيقولون: رأينا فلاناً الرجل الصالح. فقال لنا:

(١) الموافقات، للشاطبي، (٤٩٦/١).

(٢) الاعتصام، للشاطبي، (٩٠/١).

اتركوا كذا واعملوا كذا ويتفق مثل هذا كثيراً للمتمرسين برسم التصوف. وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم فقال لي كذا وأمري بكذا فيعمل بها ويترك بها معرضاً عن الحدود الموضوععة في الشريعة. وهو خطأ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية فإن سوغتها عمل بمقتضاها وإلا وجب تركها والإعراض عنها. وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة وأما استفادة الأحكام فلا... فلو رأى في النوم قائلاً يقول: إن فلاناً سرق فاقطعه، أو عالم فاسأله، أو اعمل بما يقول لك، أو فلان زنى فحُدّه، وما أشبه ذلك لم يصح له العمل حتى يقوم له الشاهد في اليقظة وإلا كان عاملاً بغير شريعة إذ ليس بعد رسول الله ﷺ وحي<sup>(١)</sup>.

\* مثال ثانٍ على الإنصاف المطلوب في التعامل مع التراث، ما قاله الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في التصوف:

يقول في مجموع فتاويه:

((تنازع الناس في طريقتهم؛ فطائفة ذمت "الصوفية والتصوف". وقالوا: إنهم مبتدعون، خارجون عن السنة، ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف، وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام. وطائفة غلت فيهم، وادعوا أنهم أفضل الخلق، وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي هذه الأمور ذميم.

(١) الاعتصام، للشاطبي، (١/٢٦٠ وما بعدها).

و"الصواب" أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب .

ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاصٍ لربه .

وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم: كالحلاج مثلاً؛ فإن أكثر مشائخ<sup>(١)</sup> الطريق أنكروه، وأخرجوه عن الطريق. مثل: الجنيد بن محمد سيد الطائفة وغيره. كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي؛ في "طبقات الصوفية" وذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد.

فهذا أصل التصوف. ثم أنه بعد ذلك تشعب وتنوع، وصارت الصوفية "ثلاثة أصناف": صوفية الحقائق، وصوفية الأرزاق، وصوفية الرسم.

فأما "صوفية الحقائق" : فهم الذين وصفناهم.

وأما "صوفية الأرزاق" فهم الذين وقفت عليهم الوقوف. كالخوانك<sup>(٢)</sup>

(١) جمع شيخ: شيوخ، وأشياخ، وجمع الجمع: مشايخ.

انظر: تاج العروس (شيخ) ولا أصل للمشائخ في المعاجم اللغوية.

(٢) الخوانك: جمع خانكاه أو خانقاه، وهي كلمة فارسية تطلق على محلّ التعبّد والتزهد، وحدثت في الإسلام بعد القرن الرابع الهجري وأطلقت على المباني التي تُقام لإيواء الصوفية الذين يخلون فيها للعبادة، وتطورت الخوانق حتى بلغت ذروتها في القرن السابع الهجري =

فلا يشترط في هؤلاء أن يكونوا من أهل الحقائق. فإن هذا عزيز وأكثر أهل الحقائق لا يتصفون بلزوم الخوانك؛ ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط:

"أحدها": العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض ويجتنبون المحارم .

و"الثاني": التأدب بآداب أهل الطريق، وهي الآداب الشرعية في غالب الأوقات، وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت إليها .

و"الثالث": أن لا يكون أحدهم متمسكاً بفضول الدنيا، فأما من كان جماعاً للمال، أو كان غير مُتَخَلِّقٍ بالأخلاق الحمودة، ولا يتأدّب بالآداب الشرعية، أو كان فاسقاً فإنه لا يستحق ذلك.

وأما صوفية الرسم: فهم المقتصرون على النسبة، فهمهم في اللباس والآداب الوضعية، ونحو ذلك فهؤلاء في الصوفية بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع مّا من أقوالهم وأعمالهم بحيث يظن الجاهل حقيقة أمره أنه منهم وليس منهم))<sup>(١)</sup>.

### تعجب

العجيب أن أتباع ابن تيمية اليوم، لا ينهاجون نهجه المنصف على الأغلب تجاه المتصوفة والفقهاء والمفسرين وغيرهم!!

=فحُبِسَتِ الأوقاف عليها وقَدِّمُوا لنزلاتها المأوى والطعام والشراب واللباس، كما أُلْقِيَتْ فيها دروس الفقه والحديث والتفسير والقراءات وغيرها.  
(١) المصدر السابق، (١٧/١١ وما بعدها).

وفيما قاله الشاطبي وابن تيمية أنفاً مثالاً يُحتذى في التعامل مع التراث، فلا نعطيه صفة القداسة ونأخذه كما هو بلا تمحيص، ولا نتطرف فنكفر من يُخالفنا بالرأي، ولا نفرط به وندعو للانسلاخ عنه كلياً.. بل نعرض التراث على ميزان الكتاب والسنة فما وافقهما نأخذ به، وما تعارض معهما ندعه، ونحترم كل مجتهد مخلص صادق ولو أخطأ..

يقول النبي ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»<sup>(١)</sup>.

## المطلب الثاني: أزمة فكر بين التفكُّت والجمود في التعامل مع الفكر والثقافة الغربية:

### • فئاتٌ تخطئ في تعاملها مع الفكر والثقافة الغربية:

وهنا أيضاً أبئلنا بفئتين تتعاملان مع الفكر والثقافة الغربية على نحو خاطئ. الفريق الأول: يريد منا أن نقطع أية صلة بيننا وبين الثقافة الغربية فهائياً، ويعدّها شراً مطلقاً.

والفريق الثاني: أصابه الانبهار بالثقافة الغربية، فخلع جلده، ولبس مسوحهم، واقتلع قلبه وعقله واستعار قلباً وعقلاً منهم، فلا يوجد فيهما شيء من الإحساس بهذه الأمة ومشاعرها وثقافتها وروحانياتها وأخلاقها ومبادئها..

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٣٥٢] (ص/١٤٠٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٧١٦] (ص/٧١٣)، واللفظ للبخاري.

ويريد هذا الفريق منا أن نقطع أية صلة بيننا وبين ثقافتنا وتراثنا وتعاليم ديننا، ويعدُّ ذلك سبب تخلفنا، وأنه لا سبيل للتقدم إلا أن نخلع أنفسنا من أنفسنا، حتى لا يبقى لنا لون ولا طعم ولا رائحة خاصة بنا...، يريد إعدامنا وإعدام حضارتنا ووجودنا، وتفريغ الدم العربي الإسلامي الذي يجري في عروقنا، وإن استطع فإنه يرغب بتغيير الجينات في خلايانا، ويستبدل بها جينات آرية لتتحول إلى كائنات أخرى.

وهم صنفان: صنف اتخذ موقفاً ليبرالياً متطرفاً، وصنف اتخذ موقفاً ماركسياً ملحداً متطرفاً، وهما على النقيض من الموقف المتطرف الذي يمثله الفريق الأول، ممن ينسبون أنفسهم إلى التيار الإسلامي، ولكن الفريقين أصحاب موقف متحجر على فكر متطرف، وهو قاسم مشترك بينهما.

والفريق الثاني هذا بصنفيه يمثله من يعملون تحت راية: "الفكر الإسلامي الحديث (المغترب)" أو ممن يتمسحون به..

### ● أزمة فكر مع العلمانيين المتطرفين:

هم أدعياء الفكر الإسلامي الحديث (المغترب) أو دعاة التغريب، أو أدعياء التجديد والتنوير، وغير ذلك من المسميات..

وهم قوم مسلمون ظاهراً ولكن بعضهم ملحدون حقيقة.. لهم صلة مباشرة أو غير مباشرة بالتيارات الغربية والاستشراقية المعادية للإسلام، والتي تعمل على نقض عُراه عروءة عروءة، بوسائل متعددة، وأهمها:

الأعمال الفكرية التي يقوم بها هؤلاء المفكرون الإسلاميون الأديعاء، تحت عناوين برّاقة خادعة، هي في حقيقتها إرهاب فكري غايته فك ارتباط المسلمين بدينهم، ووضعهم في دائرة التبعية للغرب وأنماطه الثقافية.

إنها أحد أساليب الغرب في عولمة ثقافته على يد فئة من أبناء جلدتنا تحت شعار الفكر الإسلامي الحديث.

يقول الدكتور محمد محمد حسين: ((حين كان يسعى المسلمون إلى تقليد الغرب والأخذ بأسباب حضارته مفتونين بها، كان الغرب يسعى في مستعمراته في مناطق نفوذه إلى نشر حضارته بين المسلمين وحملهم عليها، تقريباً للهوة التي تفصل بينه وبينهم، وصيانةً لمصالحه في هذه المناطق. فقد نشأت عند ساسة الغرب مخططي الاستعمار قاعدة سياسية حديثة تدعو إلى الاعتماد على الصداقة في حفظ المصالح الاقتصادية، بدلاً من الاعتماد على الجيوش. وهذا الذي يعمل له الاستعمار الغربي من نشر حضارته في مناطق نفوذه وهو ما يسميه باحثوه وساسته بـ (westernization) أو (التغريب).

وبرامج (التغريب) تحاول أن تخدم هدفاً مزدوجاً. فهي تخدم مصالح الاستعمار بتقريب الهوة التي تفصل بينه وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم، ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده ممن يفرض عليه دينه جهاده. وهي في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين، وتفرق جماعتهم التي تلتقي على قيم فكرية وثقافية وحضارة مشتركة، وتتوحد وتتعاون على ما أمرت به من أن تكون أمة واحدة في سلمها وفي حربها. وعند ذلك يستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد على

حدة ويتعامل معه وظهره آمن من معاونة المناطق الإسلامية الأخرى له.

كانت برامج (التغريب) تقوم على قاعدتين أساسيتين..

**فالقاعدة الأولى:** هي اتخاذ الأولياء والأصدقاء من المسلمين وتمكينهم من السلطة، واستبعاد الخصم الذين يُعارضون مشاريعهم، ووضع العراقيين في طريقهم، وصد الناس عنهم بمختلف السبل.

**والقاعدة الأخرى:** هي التسلط على برامج التعليم وأجهزة الإعلام والثقافة عن طريق من نصبَّوهم من أولياء وتوجيه هذه البرامج لتطوير الإسلام وإيجاد تفسير جديد له يخدم أهدافهم ويدعم صداقتهم.

وتطوير الإسلام هو مشكلة المسلمين الأولى في هذا العصر، وهو الخطر الأول الذي يجب أن تتظاهر الجهود لصدِّ تياره؛ لأنه خطر خفي يعمل له بعض الناس وينقاد له بعضهم الآخر دون أن يُدركوا وجه الخطر فيه. وخطر التطوير على الإسلام وعلى المجتمع الإسلامي يأتي من وجهين:

فهو إفساد للإسلام، يشوش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزيغ على الصحيح، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكده..

أما الوجه الآخر لضرر التطوير-وهو الذي يعني أعداء الإسلام- فهو أن هذا التطوير ينتهي بالمسلمين إلى الفرقة التي لا اجتماع بعدها، لأن كل جماعة منهم سوف تذهب في التطوير مذهباً يخالف غيرها من الجماعات، لأن هذا التطوير يقوم -حسب ما هو مخطط له- على التفاعل بين الإسلام وبين البيئة المحلية التي تختلف باختلاف بلاد المسلمين، في واقعها، وفي

موارثها التاريخية السابقة على الإسلام، التي يحرص (التغريب) على إحيائها وخلق نوع من العصبية لها، باسم التاريخ تارة وباسم الفلكلور أو الفنون الشعبية تارة أخرى. ومع توالي الأيام نجد إسلاماً تركياً، وإسلاماً هندياً، وإسلاماً إيرانياً، وإسلاماً عربياً..، بل ربما وجدنا في داخل هذا الإسلام العربي ألواناً إقليمية تختلف باختلاف البلاد<sup>(١)</sup>.

ومن إرهابهم الفكري تشويه حقائق التراث الإسلامي، ووصمه بالتخلف، وأنه لا يصلح للإنسان المعاصر، وفي أحسن الحالات أنه يصلح لزمانٍ ولم يعد صالحاً لزماننا، وأن دوره قد انتهى للأبد.

ومن ناحية أخرى، تراهم يمجدون الحضارة الغربية، ويربطون بين ثقافة الغرب وتقدمه، ويوحون للناس أن لا سبيل للحصول على الرفاهية والتقدم إلا بتبني الثقافة الغربية وأنماطها في الحياة على نحو كامل ويخلصون إلى نتيجة على أنها من المسلمات تقول:

إن ثقافة الغرب وسلوكياته الفردية وعاداته الاجتماعية، تُنتج مجتمعات متحضرة ومتقدمة في كافة المجالات..

وإن ثقافة الإسلام تُنتج مجتمعات متخلفة في كافة المجالات، ويدلون بهذا على أن المجتمع الإسلامي متخلف في قيمه ومبادئه!!..

ولكن الوقائع المعاصرة ترد عليهم وتقول لهم: إن الإسلام الذي

(١) أزمة العصر، د. محمد محمد حسين، (ص/١٠٥ وما بعدها).

يتمسك به الشعب الماليزي مثلاً، لم يمنع ماليزية من التقدم، بل استطاعت أن تكون على رأس الدول المتقدمة في مجموعة نمور آسية.

علماً بأن الحزب الذي قاد ماليزية نحو التقدم، هو حزب إسلامي عريق، بقيادة "مهاتير محمد" .. وهناك نماذج أخرى...

#### إضاءة

إن الذي يصنع التقدم، الحكومات ذات الكفاءات العالية، والخبرات الواسعة، والمخلصة لشعوبها، والتي تنفذ برامج متقدمة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.. أما الأنظمة المستبدة الدكتاتورية التي دعمها الغرب لتحكم البلاد الإسلامية، فهي أحد أهم أسباب تخلف المجتمعات الإسلامية..

#### إضاءة

إن سياسة الغرب الصليبي في عدوانه على الأمة الإسلامية، الذي لم يتوقف منذ نهاية القرن الحادي عشر وحتى يومنا هذا، ثم التسلط على مقدراته، ونهب ثرواته، والتحكم بقرارات حكامه، هو سبب آخر للتخلف في المجتمعات الإسلامية.

● خطط وأساليب دعاة التغريب في محاربة الإسلام ونشر الثقافة والقيم الغربية:

لقد استخدم أصحاب الفكر الإسلامي المغترب الذين تولوا عولة الثقافة الغربية في المجتمعات الإسلامية، الخطط والأساليب التالية لتحقيق أهدافهم:

١- العمل على صناعة إسلام معدّل ومُهَجَّن يُلائم توجّهاتهم التّحريفية.

- ٢- توهين القيم الإسلامية والفكر الإسلامي الأصيل في المجتمع.
- ٣- تمجيد القيم الغربية ونمطها في الحياة، وتذويب هويتنا الحضارية فيها.
- ٤- تعميق الضعف في الأمة الإسلامية، وزيادة تفككها وتشرذمها، من خلال نشر الخلافات الفكرية التي تعصف بوحدة الأمة الفكرية و تمسكها بالتراث الإسلامي.
- ٥- الاستفادة من الدراسات الاستشراقية المعادية للإسلام، وترجمتها وتصديرها للعالم الإسلامي؛ لمحاربة الإسلام فكرياً في عقر داره.
- ٦- تقديم منح دراسية في جامعات الغرب للمسلمين المتأثرين بهذا الفكر؛ ليعودوا مع ألقابهم العلمية، ويتزعموا نشر هذا الفكر في الجامعات والمراكز الثقافية، وليؤلفوا الكتب في الفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والتربية والسياسة وغيرها..؛ لتصبح المراجع الدراسية لعشرات الألوف من الطلبة، وبذلك يتم استبدال ثقافة بثقافة، وقيم بقيم أخرى غريبة عن الأمة.
- ٧- الدعوة إلى العلمانية البعيدة عن الدين، وفصل الدين عن الدولة.
- ٨- نبد كافة القوانين المستندة إلى الشريعة الإسلامية، واستبدالها بقوانين مقتبسة من القوانين الغربية.
- ٩- السعي إلى تثبيت مناهج الفكر الغربي في المجتمع الإسلامي، ونشر الإلحاد والإباحية لإنشاء جيل جديد بعيد عن النضال من أجل نشر الإسلام ونصرتة، وغير مهتم بقضايا أمته الوطنية والإسلامية، وغارق في شهواته وملذاته وأنانيته..
- ١٠- نزع القداسة عن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وإخضاعها للنقد والقراءات المعاصرة، بوصفها نصوصاً تاريخية خاضعة

- لظروف الزمان والمكان..، وأن البشر لهم دور وتأثير على مضمونها..
- ١١- صناعة فكر إسلامي حديث مغرب، تحت عنوان "التجديد والتنوير" يُماثل طريقة تفكير الغربيين في فهمهم للدين وقيمهم وأسلوبهم وعاداتهم في الحياة.
- ١٢- محاربة اللغة العربية، والعمل على تثبيت اللهجة العامية لغة رسمية في الدول العربية، واستبدال حروفها بالحروف اللاتينية.
- ١٣- الدعوة لإحياء الثقافات القديمة كالفرعونية في مصر، والفينيقية في سورية ولبنان، والبابلية والآشورية في العراق.. وغير ذلك في مواقع مختلفة من العالم الإسلامي؛ لإضعاف ارتباط الشعوب بالثقافة والتراث الإسلامي.
- ١٤- النظر إلى الفتوحات الإسلامية على أنها حروب لقهـر الشعوب ونهب ثرواتها، فالجهاد الإسلامي -بزعمهم- ما هو إلا حرب للقهـر والغلبة وتثبيت الملك.
- ١٥- القرآن خاطب العرب فقط، وفيه صناعة بشرية، والإسلام دين محلي وليس للناس كافة.
- ١٦- إضفاء صورة حضارية في المجالات السياسية والاقتصادية والدينية على عرب الجاهلية، وأن الإسلام لم يصنع لهم الحضارة بل كانوا يملكونها.
- ١٧- الإسلام دين لا سياسة فيه، وليس له دور سياسي في قيادة المجتمع.
- ١٨- الجهاد والسلطان خاص بالنبي ﷺ وحده، وليس لأحد بعده، والدعوة لتعطيل حكم الجهاد.
- ١٩- الدين لا يُصلح الحياة، وهو سبب تخلف الأمة وهزائمها، والنصر والتقدم مرتبط بالعلمانية على النمط الغربي.

- ٢٠- تشويه صورة الإسلام، والنبى ﷺ، والحضارة الإسلامية، ونزع كل فضيلة عنها، وتسويق الإسلام على أنه دين تطرف وإرهاب وعنف، وأن النبي ﷺ زعيم مجموعة من الإرهابيين. وأن الإسلام يحرم المرأة من حقوقها.
- ٢١- الدين والعلم لا يجتمعان أبداً.

### المطلب الثالث: أزمة فكر مع الإسلاميين المتطرفين في التعامل مع الثقافة الغربية.

هذا الفريق - كما ذكرنا - يريد أن يقطع أية صلة بيننا وبين الثقافة الغربية نهائياً، ويعدّها شراً مطلقاً.

وهذا موقف غريب عن الإسلام؛ لأن الإسلام يربي المسلم على احترام الحقائق الثابتة أياً كان مصدرها، وتحصيل الحكمة والمعرفة الصحيحة التي تنفع المسلمين ولو كان مصدرها غير المسلمين، والتعاون مع غير المسلمين في كل ما ينفع الناس ويقدم الخير للبشرية.

ألم يحضر النبي ﷺ حلف الفضول، وقال: «لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حَلْفًا مَا أَحَبُّ أَنْ لِي بِهِ حُمْرَ النَّعَمِ، وَلَوْ أُدْعِيَ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في "سننه الكبرى" برقم [١٣٠٨٠] (٥٩٦/٦)

#### فائدة

إن قواعد الإسلام الفقهية تدعو إلى درء المفسد عن الأمة الإسلامية وجلب المصالح لها، وهذا يقتضي أن نتعامل مع الثقافة الغربية وحضارتها وغيرها من الحضارات حسب هذه القواعد.

فعلى الأمة الإسلامية الاستفادة من علوم الطب والهندسة والفلك والتكنولوجيا وعلوم الإدارة الحديثة وعلوم الفضاء والبحار والزراعة والصناعة... وكل علم مفيد موجود لدى الشعوب الأخرى مما تحتاجه الأمة الإسلامية، ثم تطوير ما حصلنا عليه وتوسيعه ونشره في العالم. وعلى الأمة الإسلامية تجنب كل مفسدة موجودة لدى الشعوب الأخرى..

وهذان الأمران من الواجبات اللازمة على الأمة، فإذا قصرت في تحصيل المصلحة وفي درء المفسدة تحمّلت وزر هذا التقصير.

#### إضاءة

إن تحصيل ما يُصلح أمور الأمة، وتدبير شؤونها، وتوفير احتياجاتها، في جميع مفاصل حياتها الكريمة، هو من السياسة الشرعية المطالبين بتنفيذها.

وعلينا أن نقتدي بالعلماء المسلمين السابقين الذين استفادوا من علوم الحضارات السابقة، ثم أضافوا عليها، وتوسّعوا بها، ثم نشروها، حتى أصبحوا أساتذة متفوقين في اختصاصاتهم، وقادوا الحضارة الإسلامية التي أشرقت على العالم.

\* هذه لمحة مقتضبه عن أزمة التفكير بين الإفراط والتفريط ...

## واجب

على الدعاة أن يتجنبوا السقوط في مستنقع الشواذ في التفكير بالاتجاهين، وأن يلتزموا الاعتدال والوسطية والموضوعية في التفكير.

### المطلب الرابع: أهم سمات الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل.

- ١- أن يكون التفكير منطلقاً من الإخلاص الكامل لله تعالى بقصد رضاه، وأن يكون بعيداً عن الأهوائية والأنانية.
- ٢- أن ينطلق الداعي من الإنصاف في أحكامه على أفكار الناس، فلا يبخس الناس أشياءهم، لأنه لا يوجد أناس معصومون كلهم صواب لا خطأ عندهم، ولا يوجد أشخاص كلهم خطأ لا صواب عندهم.
- ٣- أن يتصف تفكير الداعي بالمرونة، والتيسير، ورفع الحرج عن المسلمين.
- ٤- أن يبيّن الداعي أفكاره على الحقائق لا على الأوهام، فيستند إلى الدراسات والبحوث المعمقة والشاملة والدقيقة.
- ٥- ألا يتعصب الداعي لأفكاره، ولا يضيفي عليها صفة القداسة والعصمة، فلا عصمة إلا للأنبياء.
- ٦- أن يمتلك الداعي الجرأة على إصلاح أفكاره الخاطئة، وأن يتبع الفكر الأصوب حيثما تبين له.
- ٧- أن يتعد الداعي عن تقديس الأفراد والجماعات وأفكارهم، وأن يخضع كل الأفكار للتمحيص والتحليل.
- ٨- أن يتعد الداعي في تفكيره عن التشدد والتعصب والتزمت والتطرف والتضخيم والمبالغات، وعليه أن يكون وسطياً معتدلاً موضوعياً.

- ٩- أن يضع الداعي الأمور في مواضعها، فيأخذ بالأولويات، ويهتم بالكليات، ولا يضع الجزء مكان الكل، ولا يصغر الكبير ولا يكبر الصغير.
- ١٠- ألا يخضع الداعي في تفكيره للعواطف والتحريض والتجيش، وعليه ألا يغادر الموضوعية في التفكير تحت تأثير ضغط الجماهير.
- ١١- على الداعي ألا ينغلق على أفكاره وحدها، بل عليه الاطلاع على مجمل الأفكار في أي موضوع يبحث فيه، وأن يحترم الأفكار الأخرى بقدر قربها من الصواب.
- ١٢- أن يبحث الداعي عن الحقيقة، ويأخذ بها بغض النظر عن مصدرها، فالحقائق لا جنسية لها..
- ١٣- الأخذ بمبدأ المراجعة والتقييم والبحث عن أسباب الفشل ثم التصحيح والتصويب، والاستفادة من التجارب السابقة والبناء عليها.
- ١٤- الانتقال من التفكير الدفاعي، إلى التفكير المبادر والاستباقي في التعامل مع خصوم الدعوة، ونقل المعارك الفكرية إلى ساحاتهم وإلى داخل حصونهم.
- ١٥- الأخذ بالفكر الاستراتيجي الذي يستشرف المستقبل، ويضع له الخطط المناسبة، وعلى الدعوة أن يذهبوا إلى المستقبل بأفكارهم واستشرافهم قبل أن يأتي المستقبل إليهم فيصبح حاضراً لم يستعدوا له.
- ١٦- عدم إلغاء التفكير والإبداع في تطوير وسائل الدعوة والعمل الإسلامي، أو الإبداع في المجالات الحياتية التي تحتاجها الأمة الإسلامية، تحت ذريعة البدعة، وتشخيصها على نحو خاطئ. فكون الإسلام صالحاً لكل زمان ومكان، يقتضي قدرته على تلبية المتطلبات المتغيرة .
- ١٧- عدم الذهاب في التفكير إلى الماضي والإقامة فيه، والاعتراب عن

الحاضر، وإهمال المستقبل.

١٨- الأخذ بالتفكير المتوازن المستند إلى دراسة الأسباب والمسببات، والنتائج المترتبة عليها، وعدم إلغاء التفكير بها بذريعة التوكل، الذي يتحول في هذا الوضع إلى توكل وتقصير.

١٩- التفكير والتمحيص والتدقيق بكل الاجتهادات البشرية المتعلقة بترائنا؛ لأنها غير معصومة، ولأن الاجتهاد البشري هو فهم الإسلام وليس هو الإسلام الذي لا يجوز نقده أو نقضه، ولذلك نأخذ ما يصح ونترك ما لا يصح، أو نأخذ بالأحسن ونترك ما دونه.

٢٠- الأخذ بالتفكير الشمولي، الذي يبحث في الأمور والقضايا من كل الزوايا، ويلحظ جميع العوامل المؤثرة في القضايا، والتطورات الطارئة عليها.



## المبحث التاسع الضعف في التخصص

### المطلب الأول: معاناة بسبب ندرة الاختصاصات الضرورية.

إن عمل الدعوة إلى الله تعالى يُعاني من ندرة الاختصاصات الضرورية لنجاح مشروع الدعوة.. فالدعوة إلى الله تعالى لا تحتاج إلى الخطباء والأئمة والوعّاظ فقط، بل هي بحاجة ماسة إلى تخصصات عديدة، وبخاصة في مجالات:

- ١- الإدارة وفن القيادة الفعالة.
- ٢- الإعلام والإعلان.
- ٣- فن التأثير بالجماهير.
- ٤- فن الحوار والإقناع.
- ٥- فن تطوير القدرات والإبداع.
- ٦- فن مهارات التواصل.
- ٧- العلوم الاجتماعية.
- ٨- العلوم السياسية.
- ٩- العلوم الاقتصادية.
- ١٠- العلوم التربوية.

١١- علوم الصحة النفسية والإرشاد النفسي.

١٢- الإدارة المالية.

وغيرها من التخصصات.

### المطلب الثاني: فوائد التخصص.

\* إن توافر الاختصاصات العالية المطلوبة والضرورية يؤدي إلى فوائد ونتائج مهمة في العمل الدعوي، ومنها:

١- عدم حصر جميع المسؤوليات بيد القائد الملهم الذي يُتقن كل شيء، ويفهم كل شيء، ويتكلم ويُحاضر في كل شيء، وهذا وهم وخيال لا ينتج عنه إلا التخلف في الإنتاج، والتردي في الفهم، والذهاب إلى المجهول.

٢- يخفف ذلك المسؤوليات عن المسؤول الأول فيتفرغ لمهامه ويساعده هذا على النجاح.

٣- يؤدي إلى إنتاجية كبيرة في محصلة العمل الدعوي.

٤- يحقق الإبداع والإتقان والدقة في تنفيذ المهام المطلوبة.

٥- يحصد نتائج خبرات عالية ومتعددة، وجهود عقول متميزة، وساعات عمل ذات مردود عالٍ، تزداد بازدياد عدد المتخصصين الذين يعملون في مشروع الدعوة.

٦- يوفر الخبراء الذين تحتاجهم المؤسسات الدعوية باختصاصاتها كافة، الإعلامية أو الاقتصادية أو التربوية...

٧- يُخرج مشروع الدعوة من إطار العمل التقليدي إلى العمل المؤسساتي الإبداعي، ويفتح أمامه آفاقاً واسعة في مجالات عمل متعددة.

\* لذلك يجب على الدعاة توجيه أبناء الدعوة للتخصص في المجالات المذكورة أو أي اختصاص آخر تحتاجه الدعوة، وبأعداد كافية، حتى نستطيع التحول من مشروع وعظي، إلى مشروع دعوي يقود المجتمع إلى الإسلام ويمتلك العناصر اللازمة كافة لتحويل المجتمع نحو تبنى الإسلام فكراً وعقيدة وسلوكاً...

\* والداعي الناجح هو الذي يحمّل إخوانه مسؤوليات محددة متخصصة ولا يدهم سامعين متفرجين..

#### إضاءة

إن فاعلية الدعوة وإنتاجها وانسجام أفرادها تزداد بازدياد الأفراد الفاعلين والمتخصصين في الجماعة، حيث يشعر كل فرد من أفرادها بأن له دوراً إيجابياً في العمل، وليس عالة عليه، أو لا قيمة لوجوده.. وكثيراً ما كنت أكرر على إخواني قولي:

كم تغمرني السعادة عندما أراكم مرهقين من كثرة العمل والواجبات؛ لأن هذا يعني أن آليات الإنتاج تعمل بطاقة العظمى..





## المبحث العاشر الضعف في الإعلام

### المطلب الأول: تقصير الدعاة في استخدام الإعلام.

لقد قصرَّ الدعاة على مدى عقود في مجال استثمار الإعلام لصالح نشر الدعوة الإسلامية، فلم يستخدموا وسائل الإعلام على نطاق واسع ولم يوجهوا أبناء الدعوة للتخصص في المجالات الإعلامية المختلفة، ومن ثم لم ينافسوا في مجال الإنتاج الإعلامي، مما أدى إلى سيطرة المنافسين على أجهزة الإعلام المختلفة، ونشر أفكارهم على نحوٍ مؤثر في المجتمع..

فأين الفضائيات الإسلامية المؤثرة بقوة وباللغات العالمية؟!..!!

أين شركات الإنتاج التلفزيوني والسينمائي ذات التوجه الإسلامي؟!..!!

أين الصحافة التي تخدم التوجه الإسلامي في بناء المجتمع؟!..!!

أين وكالات الأنباء الإسلامية التي تسيطر على الأخبار، وتوجهها وجهتها الصحيحة، بما تقتضيه مصلحة العالم الإسلامي؟!..!!

أين مراكز البحوث التي تخدم الإعلام الإسلامي؟!..!!

أين الاستخدام الأمثل للشبكة العنكبوتية في مجال التعريف بالإسلام

والدفاع عن قيمه ومبادئه؟!..!!

## المطلب الثاني: الإعلام من أعظم القوى المؤثرة في تغيير المجتمعات..

- فهو يتدفق في المجتمع كتدفق الدم في الشرايين...
- ويملك من وسائل التأثير والتغيير ما لا تملكه الوسائل الأخرى، فهو جذاب، ويؤثر في الوجدان عميقاً، وذو قدرة كبيرة على الإقناع...
- ويملك أيضاً من قوة التأثير واتساع مساحته زماناً ومكاناً ما لا تملكه الوسائل الأخرى، فمن حيث الزمان يستطيع أن يرافقك على مدار ٢٤ ساعة/ ليلاً ونهاراً، ومن حيث المكان يستطيع أن يصاحبك في أي موقع كنت على سطح الكرة الأرضية، في برّها وسمائها وبحارها...
- وسلطان الإعلام يسيطر على كافة الشرائح الثقافية والاجتماعية، وعلى كل الناس رجالاً ونساءً، كباراً وصغاراً، ويجعلهم متابعين له بشغف، ترتشف وتمتص عقولهم وعواطفهم، الأفكار والعواطف التي يضخها كالإسفننج.
- ويستطيع الإعلام أن يتحكم بنقل الأفكار والأحداث وتسويقها..

## المطلب الثالث: إيجابيات الإعلام الإسلامي المتوافر.

- ١- كسر احتكار المحطات غير الملتزمة للفضاء الإعلامي.
- ٢- قيمي وأخلاقي، يعمل على بناء القيم الروحية والتربوية والاجتماعية والأخلاقية.
- ٣- يسعى للحفاظ على كيان الأسرة، وحماتها من الضياع، ومن تسرب العادات والأفكار المؤذية إلى خرابها.
- ٤- ينشر ثقافة الحلال ويعمقها ويرغب فيها، ويجارب ثقافة الحرام ويقف في وجهها.

- ٥- يُقدم تعليمًا وتوعيةً لبعض الأحكام الشرعية الإسلامية.
- ٦- يقدم توعية حول الاقتصاد الإسلامي.
- ٧- يقدم توعية نسبية حول مشاكل الشباب والمراهقة ومعالجتها.
- ٨- يقدم توعية نسبية حول موضوع التنمية البشرية والعلمية والتكنولوجية.

## المطلب الرابع: مظاهر ضعف الإعلام الإسلامي المتوافر<sup>(١)</sup>.

ومن مظاهر ضعف هذا الإعلام أنه:

- ١- لا يمتلك التخطيط الشامل الاستراتيجي.
- ٢- يفتقر إلى خبرات فكرية وطاقات مالية على المستوى المطلوب.
- ٣- قائم على جهود فردية، ويعبر عن وجهة نظرها، ولا يعبر عن وجهة نظر إسلامية شاملة.
- ٤- أوقع الجمهور الإسلامي بالحيرة والتناقض في التصور والمواقف؛ بسبب تعدد اتجاهاته وولاءاته.
- ٥- بعيد نسبيًا عن الجماهير، لا يعيش مشاكلها، ولا يتحسس معاناتها، على نحو عميق.
- ٦- ينشغل بأمور شكلية تقليدية بسيطة، ويتعد عن قضايا الأمة المصيرية.
- ٧- لا يحرك مكامن القوة في الأمة، ولا يستثير حماسها ونشاطها للوقوف في وجه أعدائها ومخططاتهم.

(١) انظر: كتاب مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، للمؤلف.

- ٨- وقع في فخّ الطائفية والمذهبية والعنصرية، فأصبح كل إعلام يروج لأفكاره الطائفية والمذهبية ويتحزب لها.
- ٩- يغلب على بعضه الطابع الفردي الشخصي، حيث يُركز على شخص بشكل مباشر أو غير مباشر، وينطبع بأفكاره وتوجهاته.
- ونقاط الضعف هذه تزداد وتنقص نسبياً من إعلام إلى إعلام آخر..

### المطلب الخامس: الإعلام الإسلامي المطلوب.

المطلوب إعلام تتوافر فيه الشروط التالية:

- ١- إعلام مربّ، يمتلك الوسائل والخطط والأساليب التربوية المؤثرة والفاعلة.
- ٢- إعلام عقلاني، يعمل على تنمية العقل وتحكيمه، ورفض التقليد، ويدعو لدراسة الأمور والتأمل فيها، واستقراء ما يدور حولها ومعها ثم الحكم عليها.
- ٣- باحث عن الحقيقة، يدعو للبحث والتدقيق في حقائق الأشياء، على بصيرة وتبصر.
- ٤- صادق، يتعامل بشفافية وصدق، ويحترم عقول الناس، ويتعد عن الإرهاب الفكري والروحي والاعتقادي.
- ٥- قيمي، يبني القيم الروحية والتربوية والاجتماعية والوطنية، وقيم الحرية والعدالة والمساواة وجميع القيم الفاضلة.
- ٦- حكيم، يتعامل مع الآخر بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ووضع الأشياء في مواضعها، بما يناسب الزمان والمكان والإمكان.

- ٧- مستقيم، يستقيم على الحق ولا يتبع الأهواء مهما كان مصدرها غرباً أو شرقاً.
- ٨- عقائدي ومبدئي، يُعرّف بحقائق الإسلام ومنهجه القائم على الرحمة والحرية والإخاء والمساواة والعدل، ويلتزم بالمبادئ قبل كل شيء، وفوق كل شيء.
- ٩- علمي، يمتلك القدرات الثقافية والعلمية، ويستعين بمراكز الدراسات والبحوث، ويوجه الأجيال نحو التحصيل العلمي، ويدفع الأمة باتجاه التطور علمياً وتكنولوجياً واقتصادياً..
- ١٠- اجتماعي، يمتلك الفهم الصحيح للواقع الاجتماعي والنهوض به.
- ١١- فني، يمتلك القدرات الفنية المتقدمة لتقديم خطاب جذاب ومؤثر.
- ١٢- مقنع، يمتلك القدرة على حسن توصيل المعلومة، والإقناع بها، وتوظيفها.
- ١٣- موضوعي، يلتزم بالموضوعية والإنصاف والالتزام بالحقيقة، بعيداً عن التأثير بالمصالح السلطوية أو الفئوية.
- ١٤- واقعي، يلتزم بالواقعية بمعنى التفاعل مع الواقع وإصلاحه، وليس الرضا بالواقع على علّاته، أو التعامل مع المجتمع من برج عاجي لا يتحسس واقع الناس ومشكلاتهم ومعاناتهم.
- ١٥- منطقي، يلتزم بالمنطق الصحيح في عرض المعلومات والأفكار.
- ١٦- مرن، يلتزم بالمرونة وتنويع الأساليب الإعلامية وتطويرها وتحديثها، وعدم الجمود على أنماط تقليدية غير مؤثرة.
- ١٧- ذو رسالة، ملتزم، يتقيد بالمبادئ والأخلاق الإسلامية في كل ما

يُطرح، ويتعد عن المبادئ الواهية التي تخبط خبط عشواء ولا تستند إلى دليل.  
١٨- وحدوي، يزرع قيم الوحدة ويحارب التفرقة والتشردم تحت أية ذريعة كانت.

١٩- وطني، يزرع القيم الوطنية، وينمي الإحساس بشرف الدفاع عن أرض الوطن، وحماية كرامته وأهله وثوراته.

٢٠- فعّال، يمتلك تصوراً تغييرياً شاملاً بما يتناسب مع المبادئ الإسلامية.

٢١- مؤثر، يحرك الأحاسيس الإسلامية الحماسية في الأجيال، لتتخطى بحركة النهضة الشاملة للأمة، والدفاع عن قضاياها.

٢٢- مستقل، لا يعمل للمصالح الضيقة أو الفتوية أو السلطوية.

٢٣- متزن، يعطي كافة القضايا استحقاقها من العناية والتوجيه، ولا يفرط بشيء على حساب شيء آخر.

٢٤- إنساني، يستهدف خدمة الإنسان، منطلقاً من مبادئه الإسلامية القائمة على الرحمة بكل الناس، وتكريم الإنسان، والتزامه بمنحه حقوقه الكاملة.

### المطلب السادس: من أهداف الإعلام الإسلامي.

١- قيادة الإنسان إلى فطرته السليمة، المنسجمة مع الإيمان بالله تعالى، والالتزام بالإسلام شريعة وحياة.

٢- توعية الأجيال بما يدور حولها من أحداث ومخططات.

٣- توعية الأجيال بقيمة الوقت واستثماره وعدم ضياعه.

٤- توعية الأجيال بقيمة التحصيل العلمي، والتأهيل والتدريب العملي.

٥- تربية الأجيال على تحكيم العقل، ودراسة الأمور والتأمل فيها

- واستقراء ما يدور حولها ومعها ثم الحكم عليها.
- ٦- تربية الأجيال على التألم لقضايا الأمة والحماسة لأهدافها وقيمها.
- ٧- انتزاع الميول والدوافع السلبية المحبطة من نفوس الأجيال.
- ٨- رصد الغزو الثقافي والأفكار المشبوهة والمضللة ومعالجتها والرد عليها على نحو فعال، وتمكين الأجيال من الإمساك بزمام المبادرة والرد بغزو ثقافي معاكس.
- ٩- حماية الأجيال من الأفكار المتطرفة، والتركيز على الاعتدال بعيداً عن الإفراط والتفريط.
- ١٠- مخاطبة الأجيال بالأساليب المناسبة لها.
- ١١- دفع الأجيال للنهوض بالأمة في كافة المناحي لتحتل المكانة اللائقة بها حضارياً.
- ١٢- توعية الأجيال لمعرفة أعداء الأمة وأهدافهم ومخططاتهم ووسائلهم الظاهرة والخفية، وكيفية التصدي لها، والانتصار عليها.

#### حقيقة

مَنْ يَمْتَلِكُ الإِعْلَامَ المُؤَثِّرَ فِي المَجْتَمَعَاتِ الإِنْسَانِيَةِ..  
يَمْتَلِكُ القُدْرَةَ عَلَى تَغْيِيرِهَا إِلَى الوَجْهَةِ الَّتِي يَرِيدُ..





## المبحث الحادي عشر إهمال مهارات التواصل

### المطلب الأول: أهمية مهارات التواصل.

إن مهارات التواصل تعني قوة التأثير في المجتمعات البشرية.. لذلك على الدعاة أن يرفعوا مستوى قدراتهم في التأثير بالناس عامة، وعلى أبناء الدعوة خاصة. وحتى يتحقق ذلك لابدَّ من زيادة فاعليتهم، وتوسيع خبراتهم، وتنمية مهاراتهم في التواصل مع مكونات المجتمع، وبخاصة المؤثرة منها، مثل الإعلاميين والسياسيين والمعلمين ورجال المال والأعمال وغيرهم..

#### وتتعلق مهارات التواصل بما يلي:

- ١- القدرة على توصيل المعلومات والخبرات والأفكار والآراء والمشاعر والرغبات للناس.
- ٢- القدرة على إقناعهم بها.
- ٣- القدرة على دفعهم لتنفيذها.
- ٤- القدرة على توظيفهم بنشرها والدعوة إليها.

والملاحظ عموماً ضعف انتشار هذا العلم على المستوى المطلوب بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، وهذا الأمر يجب استدراكه، وعدم إهماله، وإعطائه حقه من الاهتمام، وتخصيص الأوقات الكافية في برامج الدعوة لتحصيله بكفاءة جيدة.

## المطلب الثاني: متطلبات مهارات التواصل.

أولاً: من متطلبات مهارات التواصل في الإلقاء:

أ- من المتطلبات قبل الإلقاء:

- ١- دراسة الشريحة التي سيتم مخاطبتها، من حيث (المستوى الثقافي، العادات، الأفكار، الولاءات، الاتجاهات، الاحتياجات، الاهتمامات...).

### واجب

يجب أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، واحتياجاتهم، واهتماماتهم.

- ٢- تحديد الأهداف من اللقاء.
- ٣- تحديد الأفكار المراد توصيلها.
- ٤- وضع مخطط البحث (العنوان، فقرات البحث، الخاتمة...).
- ٥- القراءة الواعية والتحضير الجيد.
- ٦- كتابة البحث أو الموضوع.

### رؤية

إن الدعاة الذين لا يُحَضِّرون، ويرتجلون ما يخطر على أذهانهم، يزدرون عقول الناس وأوقاتهم، ويفشلون في التأثير عليهم، ويفقدون احترامهم وثقتهم.

## ب- من المتطلبات حين الإلقاء:

**حكمة** كيف تقول أكثر تأثيراً مما تقول.

- ١- الاستهلال الجيد الجذاب والملفت للانتباه.
- ٢- عدم إهمال التعبيرات الجسدية المنسجمة مع الأفكار..(التعبير عن الحماسة، القوة، الانفعال الإيجابي المتزن، الغضب المتزن، الفرح، النشوة، الحزن، الألم...)

### إضاءة

إن حركات الخطيب والمدرس هي كلمات تُسمع بوساطة الأعين..

- ٣- ضرورة التوافق بين مشاعرك الحقيقية وكلماتك، أي أن تكون صادقاً مع نفسك ومع الناس..

### رؤية

إن قوة تأثيرك في الآخرين تأتي من خلال التوافق بين كلماتك ومشاعرك الحقيقية وبين تعبيرات وجهك وجسمك.. عندما تعبر كلماتك عن مشاعرك الحقيقية، فسيصدقك الناس ويثقون بك، ويفهمونك بسهولة، وبذلك تجعلهم على استعداد تام لسماعك وتلقّي ما تقوله لهم بأذان صاغية، وقلوب واعية..

- ٤- رفع الصوت وخفضه واستخدام الوقفات.
- ٥- تجنب السرعة والبطء وعدم التركيز.
- ٦- إشعار المستمعين باهتمامك بهم وبمشاعرهم وبعقولهم وأفكارهم.

٧- ضرورة ضبط الوقت وعدم الإطالة. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَحَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ كَرَاهَةً السَّامَةِ عَلَيْنَا))<sup>(١)</sup>.

إن إتقانك فن التوقف عن الكلام، لا يقل أهمية عن إتقانك  
لفن الكلام..

فائدة

إن التواصل السيئ يحصل عندما يتوقف انتقال المعلومات وسريانها من الطرف المرسل "الداعي" إلى الطرف المستقبل "المدعو" بسبب انسداد طريق القلب وانغلاق العقل.

٨- إياك من استخدام أسلوب الأمر والنهي بطريقة استعلائية، فذلك مما يجرح مشاعر الناس.

حقيقة

احذر من جرح مشاعر الناس، ولا تستعل عليهم، ولا تقتحم خصوصياتهم، ولا تعتد على حرياتهم الشخصية؛ لأن ذلك سيؤدي إلى نفورهم، وانقطاع التواصل بينك وبينهم..

٩- لا تركز على النقد على نحو عشوائي ومكثف.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٨] (ص/٣٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٨٢١] (ص/١١٣٤)، واللفظ للبخاري .

### رؤية

لا تُضيق الخناق على مستمعك، وإذا افتقدت الحجج والأدلة المقتنعة، فلا تستبدلها بكثرة الصياح والنقد الشديد لإقناع الناس بآرائك، إن هذا لا يُعدُّ مكسباً؛ لأنك تكسب سيطرة الصياح والنقد لا سيطرة الاقتناع بالأفكار، وتكسب الحوار ظاهراً، وتخسر المستمعين حقيقة.

١٠- إتقان طريقة طرح الأفكار، وتكوين القناعات عن طريق طرح التساؤلات (التساؤل الذكي).

### رؤية

إن إتقان "فن التساؤل الذكي" يساعد الداعي على أمور عدة، ومنها: غرس التوجهات، الإقناع، توليد الأفكار، تنشيط المناقشات، استطلاع الآراء، تبادل المعلومات، المشاركة في صياغة النتائج، جذب الانتباه، التعرف على الولاءات والميول، اكتشاف الموهوبين أو القاصرين، تلطيف الأجواء..

١١- ضرورة الاستفادة من الوسائل السمعية والبصرية الحديثة، والتي تعزز مهارات التواصل، وتُشرك أكبر قدر من الحواس.

١٢- إتقان الختام الجيد، بتقديم ملخص مختصر جداً يتضمن تعداد فقرات البحث، وجعلها وظيفة عملية للتطبيق، جواباً على التساؤل: كيف سنطبق ما سمعناه!!!.

### ج- محاذير ونقاط ضعف:

- ١- ضعف الدقة والتأصيل للأفكار المطروحة.
- ٢- غلبة العواطف والمبالغات وضعف الموضوعية.

- ٣- ضعف تنظيم المعلومات والأفكار.
- ٤- ضعف الوضوح في طرح الأفكار.
- ٥- طرح أفكار غير مقنعة، أو خيالية، أو غير عقلانية.
- ٦- الاستطراد وتضييع الموضوع الأساسي.
- ٧- عدم امتلاك ثروة لفظية تمكن من وصول المعلومات على نحو متقن.
- ٨- ضعف القدرة على الابتكار والإبداع.
- ٩- عدم تقبل النقد، ورفض الإقرار بالخطأ.
- ١٠- ضعف القدرة على الانسجام مع المستمعين وجذبهم.
- ١١- ضعف القدرة على التذكر والتخيل واستحضار الصور الذهنية.
- ١٢- ضعف القدرة على تحليل وضع المستمعين.
- ١٣- التسرع في تقويم وتصنيف المستمعين.
- ١٤- التسرع في الاستنتاج وقراءة الأفكار.
- ١٥- عدم الصبر على حُسن الاستماع لتساؤلات وآراء المستمعين.

### ثانياً: من متطلبات مهارات التواصل في الكتابة:

على الداعي أن يتقن كتابة الخطبة أو المحاضرة أو البحث<sup>(١)</sup> كي ينجح في التواصل مع الآخرين، وتتجلى مهارات التواصل من خلال الكتابة، بضرورة توافر عناصر عدة، ومن ذلك أن تكون:

(١) انظر: فصل وسائل الدعوة، في كتاب مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.

- ١- دقيقة: وتعني اختيار الكلمات بعناية فائقة للتعبير على نحو دقيق عن الأفكار.
- ٢- موجزة: وتعني اختيار أقل ما يمكن من الكلمات والتعابير لتوصيل المعاني بوضوح إلى المتلقي.
- ٣- مستوفية: ويعني احتواء الموضوع على جميع المعلومات اللازمة.
- ٤- موضوعية: وتعني طرح جميع وجهات النظر في الموضوع بدون تحيز إلا للحقيقة.
- ٥- سهلة: وتعني عدم استخدام الكلمات والتعابير الغريبة، والمعقدة، والصعبة، والشاذة، التي تنفر المتلقي.
- ٦- سلسلة: وتعني الانسيابية في الأفكار، وجعلها متدرجة ومترابطة ومتتابعة، فلا يشعر المتلقي بالملل.
- ٧- لازمة: وتعني أنها تُلزَم المتلقين، وتقع ضمن دائرة اهتمامهم.
- ٨- مبهوبة: وتعني أنها مؤلفة من فقرات واضحة ومحددة ومعنونة، يتناسب عددها مع حجم الموضوع المكتوب.

#### رؤية

إذا استطعت أن تكتب كتاباً، لا ينفكُ عنه قارئه حتى يستكمّله،  
فأنت كاتب بارع، وأنت تتقن مهارات التواصل عبر الكتابة.

ثالثاً: من متطلبات مهارات التواصل في إقامة علاقات دعوية متينة وواسعة:

إذا كنت تمتلك الموهبة على إرسال أفكارك وآرائك للآخر بنجاح، فإن هذا لا يكفي، بل لابد من وجود رغبة لدى الآخر في استقبال الأفكار والآراء. فمهارات التواصل تحتاج لمسل قوي وناجح، وتحتاج لمُستقبلٍ مُقبلٍ وراغبٍ فيها.

ولكي تمتلك القدرة على إقامة علاقات اجتماعية متينة وواسعة لابد من توافر هذين الشرطين.. فإذا كان الطرف الآخر مُعرضاً وغير راغب في التواصل معك، فما عليك إلا تركه وعدم إضاعة الوقت معه، والدعاء له بالهداية، فالقلوب بيد الله تعالى يقبلها كيف يشاء، فما عليك إلا البلاغ وبذل الجهد، والهداية على الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتَ بِهَدِي الْعَمِي عَنْ ضَلَاتِهِمْ إِنْ تَسْمَعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [سورة النمل].

والأهم هو أنت.. واجبك في امتلاك مهارات التواصل من أجل إقامة علاقات دعوية متينة وواسعة.. فهناك محاذير يجب أن تبتعد عنها، وهناك مطالب يجب أن تأخذ بها، ومنها:

أولاً: القواعد العشرين من قواعد الحكمة في الدعوة.

ثانياً: قواعد الحوار والمناظرة والكتابة وأنواعها.

ثالثاً: قواعد الموعظة الحسنة.

رابعاً: الوسائل السبع في الدعوة إلى الله تعالى.

خامساً: الأساليب الاثنا عشر في الدعوة إلى الله تعالى<sup>(١)</sup>.

سادساً: الوصايا للدعاة<sup>(٢)</sup>.

وهكذا يظهر مدى أهمية إتقان الدعاة لمهارات التواصل، حتى يستطيعوا تحقيق النجاح المطلوب بنشر مبادئ وأفكار الإسلام، وتوظيفها في المجتمع، ثم تبنيه للإسلام فكراً و عقيدةً وأسلوب حياة.

#### إضاءة

إن إتقان فن مهارات التواصل، يساعد على زرع الأفكار، وتكوين الآراء، وتنشيط الأذهان، ولفت الانتباه، وجذب المستمعين إلى المتكلم، وزيادة التفاعل، وتحريك الناس، وتفعيل النقاش، والتأثير بالمجتمعات، وتحقيق الإقناع.



(١) انظر: التفاصيل الواسعة حول هذه الموضوعات، في كتاب مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، للمؤلف.

(٢) انظر: كتاب الوصايا للدعاة، ففيه أمور مهمة جداً تتعلق بفن مهارات التواصل.



## المبحث الثاني عشر الضعف في إنتاج قيادات مؤهلة

### المطلب الأول: ضعف آليات التجدد والنمو.

- هل نُنتج القيادات الدعوية المؤهلة بالعدد الكافي والمستوى المطلوب؟!..!!
- لقد شاع على مدى عقود طويلة زعامة الخطباء والمتكلمين للعمل الإسلامي، القادرين على مخاطبة عواطف الجماهير وإثارتهم، وكان يُنظر على أنها نموذج القيادة المطلوب لعمل الدعوة الإسلامية.
- بينما تم إهمال توفير الخبراء في فن القيادة والإدارة والتكوين والتربية والتنظيم والتأهيل والتخطيط الاستراتيجي..
- كما تم إهمال توفير قيادات من المفكرين المبدعين...
- واكتفينا بقيادات تقليدية، لا تقوم -على الأغلب- بأية مراجعات أو تصويبات أو تقويم، ولا تسعى إلى تطوير يتناسب مع الواقع، ومع ما يستجد من متغيرات أو تطورات في عالمنا المعاصر.
- إن ضعف العمل الإسلامي عن استنبات وتوليد قيادات مؤهلة بالأعداد المطلوبة، مؤشر واضح على مدى ضعف العمل الدعوي.

#### رؤية

لقد أصاب العمل الدعوي في العديد من مفاصله الشيخوخة والهرم بسبب فقد آليات التجدد والنمو، على مستوى القيادات والمؤسسات..

## المطلب الثاني: الحاجة إلى مؤسسات متخصصة.

● إن إنتاج قيادات مؤهلة يحتاج إلى مؤسسات متخصصة في تأهيل وتخرج القيادات ذات الكفاءة العالية وهو ما يفتقده العمل الإسلامي على مدى عقود، ويبقى العمل الإسلامي يعتمد على طفرات في المواهب التي تظهر هنا وهناك، ثم لا يلبث العمل الذي انطلق بانطلاقها أن ينتهي بانتهاء نشاطها وأيامها في الحياة.

● ومع غياب المؤسسات المتخصصة المذكورة، نشاهد أحياناً ظهور أشخاص يملكون كفاءة عالية في الدعوة، ناتجة عن جهد ذاتي، ويفتقد هؤلاء الجهة الراعية والحاضنة التي توظف مواهبهم وتوفر لهم احتياجاتهم.

## المطلب الثالث: بعض الخبرات القيادية التي يحتاجها الدعاة:

● إن الداعي هو أمير الدعوة؛ لأن وجود الأمير للجماعة واجب في الإسلام. يقول النبي ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»<sup>(١)</sup>. ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((إذا كان نفر ثلاثة، فليؤمروا أحدهم، ذاك أمير أمره رسول الله ﷺ))<sup>(٢)</sup>.

والأمر هنا يفيد الوجوب..

وكل من يتولّى أمراً من أمور المسلمين سواء أكان أمراً عاماً أم خاصاً

(١) أخرجه أبو داود في "سننه" برقم [٢٦٠٨] (ص ٢٩٥)، وهو حسن صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم في "مستدرکه" برقم [١٦٣٥] (١/٦١٢)، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

هو في موضع قيادة، وهو راع ومسؤول عن رعيته، يقول النبي ﷺ: «لا يَسْتَرْعِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا رَعِيَّةً قَلَّتْ أَوْ كَثُرَتْ إِلَّا سَأَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَقَامَ فِيهِمْ أَمْرَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَمْ أَضَاعَهُ حَتَّى يَسْأَلَهُ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً»<sup>(١)</sup>.

وواجب الأمير أن يكون مؤهلاً ربانياً قوياً ورِعاً مستقيماً صادقاً ناصحاً أميناً، يقوم بحق الأمانة التي ائتمنه الله تعالى عليها، قال أبو ذر رضي الله عنه: ((قلت: يا رسول الله ألا تستعلمني؟ قال: فضرب بيده على منكبي، ثم قال: «يا أبا ذر، إنك ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ، وإنها يوم القيامة خزيٌ وندامةٌ إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها»))<sup>(٢)</sup>.

ويقول النبي ﷺ: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَعْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بَرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِيَّاهُ»<sup>(٣)</sup> أَوْلَهَا مَلَامَةٌ، وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ، وَآخِرُهَا حَزْنٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٤)</sup>.

ففي كلا الحدين اشتراط الأهلية، ومنها القدرة والأمانة والقوة وغيرها...

#### ● وموهبة القيادة قسمان: غريزية ومكتسبة.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٤٦٧٣] (٢٦٠/٨)، وهو صحيح.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٨٢٥] (ص/٧٦٢).

(٣) فَكَّهُ بَرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِيَّاهُ : أَي خَلَّصَهُ عَدْلُهُ وَإِحْسَانُهُ أَوْ أَهْلَكَهُ ظَلْمُهُ وَعَصِيَانُهُ.

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [٢٢٣٠] (٢٣٥/٣٦)، وهو حسن.

فالقسم الغريزي يولد مع الإنسان، وليس لأحد من البشر يدٌ فيه، وهو هبة من الخالق **عَلَّامٌ**.

وأما القسم المكتسب فيحصل بالتعلم، وكثرة التجارب، وتحصيل الخبرات العلمية، ومصاحبة المهويين والمجربين.. والاكتساب لا حدَّ له، ويتحقق بالعمل الدؤوب، والإصرار على تنمية المهبة بمهمة عالية وإرادة صلبة.

القمم لأهل الهمم..

فائدة

- إن الداعي القائد هو كالرأس من الجسد، فهو الذي ينظر ويسمع ويفكر ويحلل ويخطط ويقرر ويقود التنفيذ ويقوم به بالتعاون مع فريقه..
- وهو الذي يعلم ما يريد، ويعرف كيف يوظف الجهود لبلوغ أهدافه..

رؤية

يتحقق النجاح بقوة الإرادة والثابرة والصلابة والتشبث بالمبادئ بأكثر قوة ممكنة، مع قلب جريء ومتيقظ لكل طارئ، وبذل الجهد المضني مع حُسن التدبير.

- وهو المثل الأعلى بين إخوانه، ويرون فيه الأهلية لإيصالهم إلى الهدف المشترك.
- وهو الذي يحظى بالاحترام والمحبة والطاعة، وليس الذي يفرض ذلك.
- وهو الذي تشعر وأنت بقربه بأمارات مواهبه، وبالميل الطوعي لاتباعه.
- وهو الذي يتواضع عن موهبة، ويحلُم ويصفح ويعفو عن مقدرة..
- وهو الأكثر حذراً ودقة في وضع الأمور في نصابها. والأكثر قدرة

على اتخاذ القرارات في سبيل دفع العمل الدعوي إلى المستوى المطلوب، والأكثر حدة في الذهن ليتمكن من اكتشاف المعطيات اللازمة للعمل، والأكثر جرأة في تبني المخاطر لتحقيق الأهداف، والأكثر شجاعة للسيطرة على أجواء الخوف والوجل، والأكثر مثابرة للتغلب على المصاعب التي تعترض العمل والأشد اتصافاً بالنظر الثاقب لاستشفافه أحداث المستقبل، والأشد حماسة وإيماناً برسالته وعمله وأهدافه، والأكثر متعة في ممارسة عمله ومهامه مهما كانت صعبة.

● وهو المؤهل لمواجهة الظروف الصعبة والقاسية، سواء أكانت من الناحية المادية أم المعنوية، فقد يجد نكران الجميل أكثر من التشجيع، وتحيط به أجواء الإحباط أكثر من أجواء النجاحات، ويرى من الصعوبات والعوائق أكثر مما يرى من تحقيق الإنجازات، ومع ذلك، فإنه بصبره وحلمه وثباته الذي لا يتزعزع يستطيع أن يحقق أهدافه.

#### فائدة

إن أي جهد مبذول بالكيفية المناسبة، وفي الزمان والمكان المناسبين، ثمرته لا تضيع.

● وهو الذي لا يُضخم الأمور الصغيرة، ولا يُصغر الأمور الضخمة، بل يعطي كلَّ أمر ما يستحقه من الاهتمام والجهد.

● وهو الذي يواجه المواقف الصعبة بالهدوء، والاتزان، والشجاعة، والثقة بالنفس، والإرادة الصلبة، ولا يبدو عليه أي مظهر من مظاهر الضعف والوهن أمام إخوانه؛ لأن مظاهر الضعف وسرعة الانفعال والتهور، لا تمكّن الداعي من إنجاز مهامه بنجاح.

- وهو الذي لا يضيِّع أوقاته بالكلام غير المفيد، ولا باللقاءات غير اللازمة؛ لأن ذلك يضيع الإنجازات، وكثرة الثرثرة تقلل من هيئته والثقة فيه.
- وهو الذي ينظم الأعمال الأهم فالمهم، ويرصد لكل عمل ما يحتاجه من الوقت.
- وهو الذي لا يتصف باليأس والقنوط؛ بل يشعُّ بالأمل والتفاؤل على من حوله.
- وهو الذي يتحرك ضمن دائرة سياسة الممكن، ولا يعيش في الأوهام والخيالات.
- وهو الذي لا يعيش في نشوة وذكريات نجاحاته السابقة، بل يُعيد لكل أمر عدته، وكأنه بدأ الآن بمهامه، وسجله الحافل بالنشاط والحيوية والإنجازات، هو خير محفِّز ومحرض لإخوانه على اتباعه وطاعته.
- وهو الذي يتمتع بالقوة والحزم والمرونة معاً، وقوته ليست نابعة من نظراته القوية، وصوته الجهور، ونبراته الحادة، بل بقلبه الذي يطمئن إليه الناس، ورسالته، وهدوئه، والثقة بقدراته.
- وهو الذي يحول المحن إلى منحٍ ونجاحات متتالية، باستخلاصه للعبء، ووضعه للحلول المناسبة، والتوقّي من الأخطاء في المستقبل.

## إضاءة

لا قيادة بدون عوائق أو صعوبات، وميزة الداعي الناجح هي قدرته على وضع الحلول المناسبة وتجاوز الصعوبات والعوائق.

- وهو الذي يوضِّح الأهداف لإخوانه؛ ليعملوا ويسيروا في طريقهم على بصيرة من أمرهم، فيحاورون ويفهمون ويشاركون، ولا يتعامل معهم وفق مبدأ (ألغ عقلك، ونفِّذ، ولا تناقش ولا تعترض).

- وهو الذي يعرف كيف يختار ومن يختار من إخوانه؛ لئسند إليه بعض المهام، ويحمله مسؤوليات محددة وواضحة.
- وهو المرابي والخبير بمعرفة الطباع والقابليات وخصائص الناس، وقيم علاقات قوية وودية مع إخوانه، ويتفقد أحوالهم، ويتحسس آلامهم وأحزانهم، ويساعدهم على حل الصعوبات التي يتعرضون لها.

#### حقيقة

أن تقود... معناه:

أن تخدم الآخرين وتضحى من أجلهم..

- وهو الذي يعرف تماماً خصائص كل فرد من إخوانه، ويفهم طبائعهم.

#### إضاءة

لعلك تجد أشخاصاً ناجحين ومتميزين مع داعٍ حاذق خبير بالرجال..بينما هم أنفسهم يصفهم داعٍ غير حاذق بالسيئيين.

- وهو الذي لا يحكم بعدم أهلية شخص إلا بعد مروره باختبارات متنوعة..

#### رؤية

لعل مسؤولية ما يظهر من عدم أهلية شخص ما تقع على عاتق قائده الذي وضعه في مكان غير مناسب، وكلفه بعمل لا يناسب، أو بسبب عدم منح هذا الشخص ما يستحقه من ثقة واحترام واهتمام..

- وهو الذي لا يمكن أن تجد في فريقه عضواً بلا عمل يستغرق كامل وقته، بل هو الذي يمتلك "بنكاً" من المهام المطلوبة والجاهزة لكل من لديه فراغ.

- وهو الذي يصنع وحدة العمل الدعوي، ويحقق الاستقرار فيه، ويحميه من الضعف والاسترخاء والخلاف والفوضى والانقسام.

## إضاءة

إن في كل مجتمع أو تجمُّع مقدارا نسبياً من بذور الاختلافات بقدر عدد أفرادها، وبراعة القائد تكمن في تذويب هذه الخلافات، وتنمية نقاط التلاقي والتعاون.

- وهو الذي يعمل بالتشاور مع فريق عمل منسجم وصادق، يزرع فيه الحماسة وقوة الإرادة.

## رؤية

ينجح فريق متوسط الإمكانيات على رأسه داعٍ قوي، ويفشل فريق عالي الإمكانيات على رأسه داعٍ متوسط الإمكانيات تقليدي؛ لأنه يطفئ جذوة الحماسة، ويضعف الإرادات الجيدة، بعدم تطوير نفسه..

## حقيقة

يشيخ الداعي عندما يرفض تجديد وتطوير وتوسيع قواه وأفكاره، ويصرُّ على عمله التقليدي.

- وهو الذي يكتشف المواهب، ويصنع الدعاة القادة، ويؤلف فيما بينهم.
- وهو الذي يتبصر بقراراته ونتائجها، ويتدبر عواقبها، ويكون متيقظاً للصعاب، يستشعر بها قبل وقوعها، ويتحضر لها، وينظر باستمرار إلى المستقبل.

## حقيقة

تظهر حقيقة الداعي وإمكاناته عندما تحين ساعة اتخاذ القرارات الصعبة التي تستوجب تحمل المسؤولية والتضحية بشجاعة..

### إضاءة

لا تكفي شجاعة الداعي وحدها لإنجاز ما هو مطلوب، بل لابداً من الدراسة المعمّقة والصحيحة للأمور، ثم التخطيط واتخاذ القرارات السليمة، ثم متابعة التنفيذ بإرادة صلبة..

- وهو الذي لا يتردد باتخاذ القرارات الصعبة المدروسة؛ لأن المتردد لا ينجح، بل إن الترددَ أخطرُ من الإقدام؛ فالرأي المتقلب والمتردد ينفر الأتباع ويُضعف الثقة..

### رؤية

إن اتخاذ القرار السليم متبوعاً بالتنفيذ الحازم، أفضل من التردد والانتظار الطويل للوصول إلى حل خيالي غير موضوعي بعيد المنال.

- وهو الذي يسيطر على الصعوبات المتلاحقة، ويُبادر باتخاذ قرارات حازمة، قبل أن تسيطرَ عليه الأحداث، وتشلّ قدرته على مواجهتها.

### إضاءة

الداعي الناجح هو الذي يعالج الأمور قبل استفحالها..  
والداعي الأنجح من يتّقيها قبل وقوعها..

- وهو الذي تتجلى براعته ليس في اتخاذ القرارات المهمة فحسب، بل بحسُن اختياره للأشخاص المنفّذين، ووضع الشخص المناسب في المكان المناسب، ثم إدارة فريق العمل، واستثمار طاقة كل منهم على النحو الأمثل، مع إضفاء أجواء الحماسة والثقة والمودة والتعاون فيما بينهم، ولا تتوقف براعته عند هذا الحدّ، ولكنها تظهر في متابعته لتنفيذ القرارات على أكمل وجه..

## إضاءة

إن المعلومات الصحيحة والواسعة تشكل القاعدة الضرورية لبناء قرار صحيح، وإن الداعي الذي لا يملك القوة والقدرة على تنفيذ قراراته، ليس بداعٍ..

- والداعي واثق بنفسه يتحدث عن المستقبل أكثر مما يتحدث عن الماضي، ويركز قوته الذهنية في المخططات التي ينوي القيام بها، ولا يمدح نفسه، ولا يتحدث عن أمجاده، ويجتهد في أعماله، ويثابر على برامجه، ويتألق في حياته، ويبحث عن خبرات جديدة يضيفها إلى رصيده من الخبرات..
- وهو غير أناني يفرح لنجاح الآخرين..
- وهو ذو شخصية قوية؛ لأن شخصيته تنمو وتتطور باستمرار في الاتجاه السليم، فهو ليس بصاحب عقلية متحجرة، ويستفيد من وقته وصحته وطاقاته، ويملك القدرة على تعديل سلوكه، ويملك الشجاعة على الاعتراف بأخطائه وتصحيحها.
- وهو الذي لا يغلق أمامه أبواب الخبرات، بل يستكشفها، ويقرر أبوابها، وبعد اكتسابها يوظفها، ويستخدمها في تنفيذ مهاراته، فمن المهم تجميع الخبرات وتحصيلها لكن الأهم هو توظيفها.. فالداعي يكتشف الخبرات، ويحصلها، ويوظفها، حتى تصبح جزءاً من كيانه.
- وهو الذي يوظف بنجاح ثلاثية الماضي والحاضر والمستقبل، فهو يترجم الحاضر في ضوء خبرات الماضي، ويقرأ المستقبل في ضوء قراءة الماضي والحاضر، فالماضي عنده يصبُّ في الحاضر، والحاضر يصبُّ في المستقبل.. فلا يهاجر إلى الماضي ويتغرب عن حاضره، ولا يعيش في أوهام وأحلام المستقبل، ولا يتوقف في حاضره عند قدميه، بل يسير سير الواثق نحو أهدافه.

### إضاءة

إن الأعمال العظيمة تحتاج إلى همم أعظم، والعظماء هم الذين خُلدوا بأعمالهم، فلم يطوهم النسيان؛ لأنهم آمنوا بالكفاح مبدأً لهم في الحياة.

- وهو الذي يتحسّس ظروف الناس، ويقرأ أفكارهم، كما يفكرون لا كما يفكر، وكما ينظرون لا كما ينظر، ثم يعالج أحوالهم بما يناسب، ويترك أثراً واضحاً على حياتهم وسلوكهم.
- وهو الذي لا يستسلم للفشل، ويحاول بلوغ الأهداف دون كلل، ولا يجعل حياته خاضعة للروتين، بل يتمرد على نُظم الحياة التقليدية، ويجعل حياته إبداعية، وأعماله ذات قيمة عالية..
- وهو الذي يركّز جهوده، ولا يشتتها، ولا يكون من المصابين بالتذبذب، وهم الذين لا يكملون عملاً بدؤوا به، فهم يتحمسون جداً لعمل ما، ويسارعون في البدء به، ثم لا يلبثون أن يتبرموا منه، ثم يسأموه، ثم يتركوه وينتقلوا إلى غيره، ثم يكرروا.. وهكذا تضيع الأعمال جميعاً سدى ويضيع الوقت هدراً..
- وهو الذي يحذر من معاملة إخوانه بغير مبالاة، فإن هذا يورث الضغينة في قلوبهم اتجاهه، وإذا أخطأ في هذا عن قصد أو عن غير قصد، فعليه الإسراع إلى معاملتهم بلفتة مُحبة ودود، فإنها تشفي الجراحات النفسية لدى المحيين.
- وهو الذي يعدل في تعامله مع إخوانه، وإن لم يفعل فقد ثقتهم وانفضوا من حوله.

- وهو الذي يتفائل وعنده أمل، فهو يقرع أكثر من باب، ويسعى إلى الفرص ولا ينتظرها، ولا يقبل بواقع محدود مفروض عليه، فإن أُصِدَّ في وجهه بابٌ، فتح لنفسه أبواباً أخرى..

## حقيقة

الأمل بلا عمل، كشجرة بلا ثمر



## المبحث الثالث عشر التعصب للجماعة

### المطلب الأول: بلاء التعصب.

● ومما ابتلي به العمل الإسلامي مرض التعصب والولاء للجماعة بدل الولاء للإسلام، والانعزال ضمن أسوار الجماعة.

فهنالك من يتعصب لطائفته!!..

وهناك من يتعصب لمذهبه!!..

وهناك من يتعصب لحزبه!!..

وهناك من يتعصب لشيخه!!..

وهناك من يتعصب لجماعته!!..

ثم يدعي الجميع باللسان أو الأعمال بأنهم يمثلون جماعة المسلمين، وأنهم الفرقة الناجية، وأنهم الناطقون باسم الإسلام، وأنهم الممثلون الشرعيون والوحيدون للإسلام، وأنهم الأكثر فهماً وتميزاً وعلماً، وأنهم وحدهم على الحق، وما سواهم أقل منهم أو أنهم ليسوا على شيء، وينظرون للآخر نظرة الاتهام وفي أحسن الحالات الريبة..

مما يحولهم من دائرة: الدعوة إلى الله تعالى، وهداية الخلق، والرحمة بالناس، ودلالتهم على الله تعالى، وتعريفهم بمبادئ الإسلام وقيمه، وتغيير المجتمعات لتبني الإسلام منهج حياة.

إلى دائرة: الصراع والتأثير، وأحياناً يستسهلون التكفير!!..

وعوضاً عن أن ندخل الناس في دين الله أفواجاً، أصبحنا نخرجهم من دين الله أفواجاً، بسبب اختلاف في رأي أو اجتهاد أو خطأ في الفهم..

### المطلب الثاني: سياسة الدكاكين والأسوار.

#### حقيقة

إن التعصب للجماعة والانعزال ضمن أسوارها، يُفقد القدرة على الاستفادة من الكفاءات المتنوعة المتوافرة خارج أسوارها، ويجعلها تعيش على إنتاجها الخاص القاصر، مما يؤدي إلى نتائج قاصرة وهزيلة.. وهذا يزيد في ضعفها وعزلتها.

والأخطر من ذلك أن يتصدى بعض أفرادها المعزولين في فكر الجماعة، إلى موضوعات فكرية وفقهية حساسة وخطيرة، وهم قاصرون فكرياً وفقهياً وثقافياً، مما يؤدي إلى ظهور الأفكار المنحرفة، والفتاوى التكفيرية الباطلة، والتصرفات المتطرفة، وهم بذلك يتطاولون ويتجرؤون على أهل العلم والخبرة والاختصاص، ويفتقدون لأدب المعرفة، مما يحول العمل الإسلامي إلى خليط متناقض من الأفكار والسلوكيات الشاذة.

### حقيقة

إن الوهم الذي تقع به الجماعة، بأنها كلما رفعت أسوارها استطاعت أن تحافظ على إقطاعيتها البشرية والمالية وحصانتها وقوتها الداخلية، وهم يعيش في داخلها فقط.

والحقيقة أن سياسة الدكاكين هذه تزيدها عزلة وضعفاً، ثم انحرافاً وانغماساً في أخطائها، ثم عجزاً وتفككاً وانهيأراً..  
أليس هذا مصير الكثير من الجماعات الإسلامية؟!..

## المطلب الثالث: تحوّل الجماعة من وسيلة إلى غاية.

- ومن العلل الكبيرة في العمل الإسلامي تحوّل الجماعة من وسيلة للدعوة إلى الإسلام ونصرته، إلى غاية بحد ذاتها!!..

((وتبرير كل شيء من الكسب والخطأ في سبيل حمايتها، وهذا جعلها أجساماً منفصلة عن الأمة، وجعل لها أهدافاً خاصة بها، وأدّى إلى الانغلاق، والتحزب، والافتتان بالنفس، والإعجاب بالرأي والفكر الذاتي، والانكفاء على قراءة الذات، وتاريخ الذات، وعدم الرغبة ابتداءً، والقدرة انتهاءً، على الإفادة مما عند الآخرين، وإشاعة أجواء الإرهاب الفكري، حتى على مستوى التنظيم نفسه، بحيث لم يبق مكاناً للحوار والمناقشة والمفاكرة والشورى إلى درجة لم تسمح معها بعض هذه التنظيمات بأي فكر معارض أو ناقد أو مقوم، الأمر الذي أدى إلى نرف العقول المستمر، وابتعاد الكثير من الإمكانيات الفكرية عن التنظيمات الإسلامية، واستمرار مراوحتها في مواقعها، وتكريس الخطأ، والعجز عن التعامل مع العصر، مما

أدى لأن يكون الكثير من الأتباع نسخة مكررة عن القائد أو الزعيم أو الشيخ، وإحكام الأسوار الحزبية التي تحمي الضعف، وتُكرس الخطأ، وتُغيب الحقيقة، وكأن الإسلام بدأ بمثل هذه التنظيمات، وسوف ينتهي بها، وكأنها هي الإسلام، والإسلام هي.. وفي ذلك نقض للمنطق والتاريخ والواقع والمستقبل، وطبيعة الخلود في هذا الدين، وتنكر لمفهوم الأخوة الإيمانية الشاملة.

ويمكن أن نقول أيضاً: إن بعض المؤسسات الإسلامية التي نذرت نفسها لتقويم المعوج، ومعالجة التأزم في الواقع الإسلامي، على مستوى الأمة لم تكن أحسن حالاً بكثير، فسرعان ما تسربت إليها العلل، فحاصرت نفسها، واصطحبت العقلية الحزبية، التي تربت عليها من المناخ الذي تعمل فيه.

وبذلك لم تستطع الحركات الإسلامية من خلال أزمته الفكرية، أو إن شئت فقل: من خلال فكر الأزمة الذي لحق بها، أن تقيم حواراً داخلياً، فضلاً عن قدرتها على الامتداد بالحوار إلى فصائل العمل الإسلامي الأخرى، على التربة نفسها، أو الخروج بطروحاتها وخطابها ومشروعها النهضوي إلى مستوى الأمة المسلمة أو المستوى العالمي<sup>(١)</sup>.

((وما لم تدرك الجماعات، والحركات الإسلامية، هذه الإصابة، وتسعى لتمزيق الأسوار التي تُضرب حولها، بين حين وآخر، وتحسن العودة

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، (ص/١١٢ وما بعدها)

إلى الأمة، والاندماج فيها، وتوسيع دائرة المشاركة، وفتح القنوات جميعاً، وتشكيل جبهات عريضة، للتواصل والاتصال، وتبرهن على أن مهمتها - كمراكز متقدمة- أن تحمل هموم الأمة، وتعمل في سبيل تحقيق أهدافها، والأخذ بيدها إلى الخير، وأنها جزء من الأمة، متصل وملتصق بها، فسوف تُحاصر نفسها، قبل أن يُحاصرها أعداؤها، وتعيش كطائفة منفصلة خارج مجرى الحياة الفاعلة<sup>(١)</sup>.

### المطلب الرابع: الحل يكون بالتحول إلى التعاون والتفاعل الجماعي.

● ألا فليعمل الدعاة على تحويل مفهوم الجماعة إلى مفهوم مؤسسة دعوية، تمثل حلقة من حلقات متسلسلة في جبهة العمل الإسلامي، وليخرجوا من دائرة التعصب للجماعة، إلى دائرة الوفاء للجماعة، والولاء للإسلام أولاً وأخيراً، ولينظر كل منا إلى أحسن ما يتميز به الآخر، ولنحسن الظن بمن يجتهد في خدمة الإسلام، ولنحب للآخر ما نحبه لأنفسنا، ولنتناصح، فالدين النصيحة. وعلينا جميعاً مراجعة وتصويب أفكارنا ومواقفنا وخطابنا وبرامجنا وتجاربنا، والخروج من أسوار الجماعة إلى فضاء الإسلام الرحب والمرن، وتوسيع دائرة المشاركة والتفاعل في جبهة العمل الإسلامي.

(١) المصدر السابق، (ص/١٢٦).

## واجب

يجب على الجماعات أن تربي أفرادها على النظر إلى العمل الإسلامي على أنه كيان عالمي واحد، وأن كل جماعة تمثل لبنة من بنائه الشامل، وأن جميع الجهود يجب أن تتضافر وتتكامل لتحقيق أهداف الدعوة، وإذا قصرت الجماعات بهذا الأمر، وانطوت كل جماعة على نفسها فسيبقى العمل الإسلامي ممزقاً مشتتاً، تضع جهودها في دهاليز الأنانيات والخصوصيات، فلا ثمرة تُرجى، ولا هدف يتحقق، ويبقى العمل الإسلامي يدور في حلقة مفرغة.

## المطلب الخامس: الجماعية مرحلة باتجاه الجماعة الشرعية.

## واجب

إذا عجزنا في عصرنا الحاضر عن إقامة الجماعة التي أمرنا الله ورسوله ﷺ أن نلتزم بها ولا نفترق عنها، فيجب علينا أن نعمل على توحيد جماعات العمل الإسلامي في مجلس أعلى ينسق فيما بينها، بحيث تؤدي كل جماعة عملها ضمن اختصاصها، وتكون جميع هذه الاختصاصات مؤطرة في هيكلية عامة متفق عليها، تصب فيها جميع الجهود وتتكامل..

وتكون هذه الجماعية مرحلة تنمو وتزداد وتكبر حتى نصل إلى تشكيل جماعة المسلمين الواحدة على نحو متدرج..

وما لا يدرك كله لا يُترك جُلُه.

ويمثل المجلس الأعلى للعمل الإسلامي في هذه الحالة "الجماعة

الإسلامية" لأنه يمثل في هذه الحالة "أهل الحل والعقد" وهم نخبة الأمة من العلماء والفقهاء وقادة الدعوة ..

إن هذا مخرج مرحلي من التفرق والتشتت وضياع الأمة الإسلامية بين جماعات متنافسة أو متصارعة..

#### حقيقة

إن الجماعة الإسلامية المخلصة هي التي لا تعمل لمصالحها الذاتية المحدودة، بل تعمل للمصلحة العامة المتعلقة بالعمل الإسلامي الشامل لكل احتياجات الأمة الإسلامية ونهضتها، بل تعمل لمصلحة الإنسان لأن الإنسان هو هدف الرسالة الإسلامية.

#### حقيقة

إن الجماعة الإسلامية التي تحصر نشاطها لخدمة نفسها، والتعصب لتوجهاتها، وترفض التعاون والتفاعل مع المجموعات الأخرى لخدمة الصالح الإسلامي العام، تفقد مسوغ وجودها، وتكون جزءاً من المشكلة لا جزءاً من الحل..





## المبحث الرابع عشر افتقاد التعاون والتنسيق والتكامل

### المطلب الأول: آمال وآلام.

أسئلةٌ كانت تشغل بالي باستمرار، بل كانت تورقني وتُحزني، لأكثر من خمس وأربعين سنة قضيتها في حقل الدعوة الإسلامية..

#### أسئلة

لماذا لا يأتلف العمل الإسلامي؟!..  
لماذا نرى العاملين في الحقل الإسلامي متفرقين، وأحياناً متخاصمين، وأحياناً متصارعين، وأحياناً متعادين؟!..  
لماذا لا يتعاونون ولا ينسقون ولا يتكاملون فيما بينهم؟!..  
لماذا لا يجمعهم مجلس أعلى يضعون فيه استراتيجيات العمل الدعوي وسياساته، ويعملون جميعاً وفقاً للرؤية والقواسم المشتركة التي تجمعهم، والتي تمثل أكثر من ٩٠% من أهدافهم؟!..

إنها قضيتي التي طالما حلمت بها، وتحدثت بها، وسعيت من أجلها..

وأنا أعلم علم اليقين أن هناك الكثير من أبناء الدعوة يلمنون كما أحلم، ويسعون كما أسعى، سمعت من بعضهم وسمعوا مني..

فهل ننجح؟!..!!

لن نياس إن شاء الله تعالى..

## المطلب الثاني: وجوب التعاون.

يقول تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة: ٢].

ويقول تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: ١٠٣].

ويقول النبي ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضُهُ بعضاً»<sup>(١)</sup>.

ولا يخفى على عاقل وجوب التعاون والتنسيق والتكامل بين مكونات العمل الإسلامي، ويقع ذلك في مرتبة الضرورات التي ترتبط بها مصلحة الأمة الإسلامية، ومستقبل العمل الإسلامي.

### تنبيه

إن تفويت هذا الواجب الشرعي وعدم العمل بهذه الضرورة، يؤدي إلى مفسدة كبيرة تنعكس آثارها على العمل الإسلامي، ويضيع مقصداً عظيماً من مقاصد الإسلام، وهو تمكين هذه الأمة في الأرض، لتكون شاهدة على الناس، ورائدة لهم نحو سعادتهم في الدنيا والآخرة.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٨١] (ص/١١٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٨٥] (ص/١٠٤١)، واللفظ لمسلم.

## المطلب الثالث: أسباب علة التفرق.

يُعاني العمل الإسلامي من فقد التعاون والتنسيق والتكامل بين مكوناته، سواء على المستوى المحلي أم على المستوى العالمي.

ونجمت هذه العلة عن أسباب متعددة لا تخرج عن دائرة الأمراض الفردية للمنتسبين إلى الدعوة التي ذكرناها، أو الأمراض في العمل الإسلامي ذاته التي ذكرناها أو التي ستأتي لاحقاً في هذا الكتاب. وأهمها الأنانيات، والمصالح الضيقة، والرغبة في الاستئثار بالساحات الدعوية والسيطرة على أسواق المدعويين، وإقصاء الآخر والاستعلاء عليه، والرغبة في الحفاظ على الإقطاعات البشرية والمالية، أو الزعامة الشخصية.

وفي أحسن الحالات يمكن أن يكون سبب ذلك ناتج عن الجهل، أو الشك في الآخر، أو النظر إليه نظرة نقص في العلم أو العمل أو الإمكانيات..

وإذا أردنا أن نحسن الظن أكثر، وننظر إلى الأمر من زاوية موضوعية، فيمكن أن نحصر الأسباب فيما يلي:

- ١- وجود حواجز نفسية بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية.
- ٢- الاختلاف في الفهم والاجتهاد في العمل الإسلامي.
- ٣- تنوع الأهداف، وجزئيتها.
- ٤- الاختلاف بطرائق تحقيق الأهداف.

## المطلب الرابع: من وسائل العلاج.

\* وإذا كان سبب عدم التعاون والتنسيق والتكامل الأمراض التي ذكرناها، فلا بدّ من معالجة هذه الأمراض، وإن الذين يقصرون في معالجة هذه الأمراض والسلبيات، يتحمّلون مسؤولية كبيرة بين يدي الله تعالى، كما يتحمّلون مسؤولية ضعف الأمة وقدرتها على مواجهة التحديات التي تحيط بها، ويتحمّلون مسؤولية ضياع واجب البلاغ المبين ونتائجه، ومسؤولية صد الناس عن سبيل الله تعالى بسبب ما يرونه من قدوة سيئة، وسلوكيات متناقضة مع حقائق الإسلام.

\* وإذا كان سبب عدم التعاون والتنسيق والتكامل، هو بعض الأسباب الموضوعية التي ذكرناها أو كلها، فإن العلاج يكون عبر إصلاح الخلل المتفق عليه بالوسائل الناجعة، أو يكون عبر مناقشة موضوعية وتأصيلية لنقاط الخلاف.

أولاً: معالجة علة الحواجز النفسية بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية:

### أسئلة

إن انشغال الدعاة بكثرة الأعمال، واستغراق أوقاتهم ببرامجهم الخاصة، يؤدي إلى انعزال بعضهم عن بعض، ثم إن طول وعمق هذا الانعزال يؤدي إلى عدم معرفة حقيقة نشاطاتهم وأعمالهم وإنجازاتهم والجوانب الإيجابية الكثيرة لهذه النشاطات، ويظغى على ذلك النظر للأخر عن بُعد، وضعف معرفته، وأحياناً الشك والريبة، بسبب الإنصات للمشككين والمفسدين، وعدم التحقق والتبني، واللقاء والمصارحة عن قرب..

كل هذا يخلق حواجز نفسية بين العاملين في حقل الدعوة، يجب العمل على هدمها وإزالتها، وذلك عن طريق معالجة أسبابها المذكورة، إضافة لما يلي:

١- تخصيص أوقات دورية للقاء الدعاة من مكونات عدة، وفق برامج محددة يتفقون عليها.

٢- تبادل الخبرات والاطلاع على نشاطات مكونات العمل الإسلامي لتعميم الفائدة.

٣- القيام بزيارات شخصية متبادلة في المناسبات الخاصة وغيرها، وتبادل الهدايا ولو كانت رمزية، عملاً بقول النبي ﷺ: «تهادوا تحابوا»<sup>(١)</sup>.

٤- تنفيذ نشاطات مشتركة لها مقاصد عدة، أهمها نشر أجواء التآلف بين قيادات وأتباع مكونات العمل الإسلامي.

٥- التعاون والتنسيق على أوسع نطاق وفق قاعدة "نتعاون فيما اتفقنا عليه، ونتناصح فيما اختلفنا فيه".

٦- إقامة لجان مشتركة متخصصة، لوضع خطط العمل والبرامج المناسبة مع الأهداف العامة المشتركة.

٧- يجب أن تقف مكونات وفصائل الدعوة والدعاة بعضهم إلى جانب بعض دعماً ومؤازرة عند الصعوبات والملمات، عملاً بقول النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ

(١) صحيح الأدب المفرد للبخاري، برقم [٤٦٢/٥٩٤] (ص/٢٢١).

عُضُو تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»<sup>(١)</sup>.

٨- الاهتمام بإجبايات كل مكون من المكونات الدعوية، والثناء بكلمة طيبة مشجعة تقرب بين القلوب.

٩- التناصح والمصارحة بروح المحبة والأخوة، لما يراه أي طرف من ملاحظات تحتاج للإصلاح لدى أي طرف آخر، وسماع وجهة نظر الطرف الآخر، وعدم خلق مشكلة على قضية تقع بين مرتبة الحسن والأحسن، يمكن أن ينتج عنها شقاق، وأحسن الحسن هو الائتلاف والألفة بين مكونات العمل الإسلامي.

١٠- العمل بوصية النبي ﷺ: « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلِقٍ »<sup>(٢)</sup>، وقوله ﷺ: « تبسمك في وجه أخيك صدقة »<sup>(٣)</sup>. إن إقبال الدعاة بعضهم على بعض بجرارة الحب في الله تعالى والمودة يوثق الرباط بين مكونات العمل الإسلامي.

١١- التواصي بالحق من غير حرج، والتواصي بالصبر، عملاً بقول الله

تعالى: ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العنكبوت].

١٢- التبيين والتحقيق، فلا يصح أن نصدق ما يُقال بحق أحد من مكونات العمل الإسلامي بدون تحقق، ثم نبني مواقف تستند إلى أوهام أو

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٠١١] (ص/١١٦٤)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٨٦] (ص/١٠٤١)، واللفظ لمسلم.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٢٦] (ص/١٠٥٤).

(٣) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" برقم [٤٧٤] (٢/٢٢١)، وهو صحيح.

أكاذيب أو إشاعات، فلا بد من التبين أولاً عملاً بقول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَدْمِينَ ﴿٦﴾ [سورة الحجرات].

١٣- يجب تجنب الوقوع بعلة سوء الظن والشك والتشكيك بين مكونات العمل الإسلامي، والذي يسبب الشقاق والتباعد، عملاً بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَجْتَبَوْا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّك بِعَصِ الظَّنِّ إِنَّمَا﴾ [سورة الحجرات: ١٢].

١٤- يجب تجنب الوقوع بعلة الغيبة والنميمة بين مكونات العمل الإسلامي، والتي تسبب الشحناء والبغضاء بينهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَّ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [سورة الحجرات].

١٥- التماس العذر للآخرين لأسباب قاهرة.

١٦- الابتعاد عن التنقيص أو الاستعلاء على الآخر. فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: « مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ »<sup>(١)</sup>.

١٧- التعامل بالعدل والإنصاف من النفس مع الآخر، عملاً بقول الله تعالى: ﴿... وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ...﴾ [سورة الأنعام: ١٥٢]

وقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٨٨] (ص/ ١٠٤٢).

أَنْفُسِكُمْ أَوْ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ... ﴿ [سورة النساء: ١٣٥] وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [سورة المائدة].

١٨- أن يجب كل مكون إسلامي للآخرين ما يجبه لنفسه، ويكره لهم ما يكرهه لنفسه.. عملاً بقول النبي ﷺ: « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ »<sup>(١)</sup>.

١٩- إذا أُسيء لأحد من مكونات العمل الإسلامي من مكون آخر، فعليه الصبر على الأذى وعدم مقابلة السيئة بالسيئة، بل الدفع بالتي هي أحسن. عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ [سورة فصلت]، وقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَبِيرِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَظِيمِ وَالْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ [سورة آل عمران].

٢٠- يجب ترك الأنانيات والعصبيات، وإيثار المصلحة العامة للدعوة على المصالح الضيقة، وتقبل الآخر والانفتاح على الجميع، حتى تسقط الحواجز النفسية بين مكونات العمل الإسلامي.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٣] (ص/٢٦)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٠٠٨] (ص/٣٨٩)، واللفظ للبخاري.

ولعل البعض يقول: إن هذه أطروحات مثالية غير قابلة للتطبيق على أرض الواقع.. وإني أسأل:

هل ترك الأنانيات مثالية، والإبقاء على العصبيات وعدم الإيثار واقعية؟!..

هل التعاون والتنسيق والمحبة في الله تعالى مثالية، والإبقاء على التشرذم والعداوة والحسد والبغضاء واقعية؟!..

لاشك أن هذا البرنامج صعب جداً، لكنه غير مستحيل إذا توافرت له الإرادات المخلصة لله تعالى، والحريصة على تمكين الإسلام في الأرض.. إنهم يرونه بعيداً مستحيلاً، ونراه قريباً ممكناً..

#### تنبيه

يجب أن يعلم العاملون في حقل الدعوة الإسلامية أن الحفاظ على العزلة والتفوق والخصوصية لم يعد ممكناً، فلقد ظهر جيل جديد من أبناء الدعوة لا يؤمنون بهذه الخصوصيات، جيل انفتح فيه الجميع على الجميع، وقد ضعفت الأسوار وتخرمت، وفتحت الحصون من داخلها، وتراجعت الخصوصية عبر الوسائل المعرفية الحديثة التي هيمنت على كل شيء، ولم يعد هناك أسرار، فالجميع يعلم ما عند الجميع، وأصبح الفكر الإسلامي معولماً وعالمياً، ولم يعد يستطيع أحد من المكونات الإسلامية تحصين أبنائه من الاطلاع على الأفكار الجديدة والتي يتم تداولها بسهولة وانسياب خارج الحصون وداخلها.. ولن يستطيع أحد أن يكون المصدر الوحيد للمعرفة بين أبنائه.. وإذا أصر رأي مكون إسلامي الحفاظ على خصوصيته وانعزاله عن باقي المكونات، فسيخسر "كوادره" وأبناءه الفعالين، ويتحول إلى مجموعة متماوتة لا يبقى فيها إلا العاجزون الذين لا يقدرّون على شيء.. وسينتهي التجمع إلى لاشيء..

فلتقى الله تعالى في أبناء الدعوة، فلا نضيعهم ونضيع الدعوة، ونضيع الجهود الكبيرة التي تبذل، ولنحسب حساباً لوقفة بين يدي الله تعالى نُسأل فيها عما ضيعنا..

يقول الله تعالى: ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [سورة الصافات].

ويقول الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة الأعراف].

﴿ ٦ ﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿ ٧ ﴾ وَالْوِزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿ ٨ ﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿ ٩ ﴾ [سورة الأعراف].

ثانياً: معالجة علّة الاختلاف في الفهم والاجتهاد في العمل الإسلامي.

\* إن من أسباب عدم التعاون والتنسيق والتكامل بين مكونات العمل الإسلامي، هو علّة الاختلاف في الفهم والاجتهاد في العمل الإسلامي..

فمن المعلوم أن إمكانيات الناس في الفهم، وسعة العلم، ووضوح الرؤية ودقتها، تختلف من إنسان لآخر، وهذا مما فطر الله تعالى الناس عليه، فكما أن بصمات الناس لا تتطابق فكذلك عقولهم، وإن إكراه الناس على فهم واحد لا انزياح فيه أمر يتعارض مع فطرتهم..

#### تنبيه

إن عدم التعاون والتنسيق بسبب الاختلاف في الفهم والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى والعمل الإسلامي خطأ فادح، وأشد منه فداحة أن يكون ذلك سبباً للشقاق والعداوة بين مكونات العمل الإسلامي..

إن الاختلاف في الفهم لا يمكن أن ينفصل عن الاجتهاد، فما دام هناك اجتهاد فهناك اختلاف في الفهم، وهذا أمر طبيعي..

والمهم أن نلتزم بما يلي:

- ١- ألا تختلف قلوبنا إذا اختلف فهمنا في الفروع في مجال العمل الإسلامي.
- ٢- أن نلتزم بالأصول والكليات والمبادئ والقواعد الإسلامية الأساسية.
- ٣- أن يعذر بعضنا بعضاً إذا اختلفنا في فهم الفروع وطريقة تطبيقها.
- ٤- أن نحذر من تحول الاختلاف في الفهم والاجتهاد إلى خلاف وتناحر وتباغض وعداوات.
- ٥- أن نحذر من تفسيق وتكفير مخالفينا، لمجرد أنهم مخالفون.
- ٦- أن نلتزم بالصواب في رأي الآخرين.
- ٧- ألا نتحرج من ترك رأينا وفهمنا إذا تبين لنا أنه خاطئ.
- ٨- أن نلجأ للحوار والمناظرة في الخلافات، بقصد البحث عن الرأي الأصلح والأرجح للأخذ به.
- ٩- أن نتعامل مع الآخرين بعدل وإنصاف، فننظر إلى حسناتهم فننشرها، وإلى آرائهم التي نعتقد بخطئها فنتناصح فيها، ولا نشهر بهم.
- ١٠- أن نعتقد أن للمجتهد المخلص أجراً وثواباً ولو أخطأ.

ثالثاً: معالجة علة تنوع الأهداف وجزئيتها.

\* هل يُقبل من العمل الإسلامي أن تكون أهدافه محلية جزئية محدودة، أم يجب أن تكون الأهداف كلية شاملة؟!..

\* وهل أهداف الجماعات - كل على حدة - ترتقي لمستوى التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وتملك القدرة على تمكينها ونهضتها، وحل مشاكلها على كافة المستويات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية والسياسية وغيرها؟!!!.

أم مازالت الجماعات تدور في حلقة مفرغة ضمن أهدافها الجزئية، فلا تبلغ آخرها حتى تجد نفسها أنها مازالت محاصرة فيها لا تخرج عنها، وتمضي عشرات السنوات وما تزال تراوح مكانها.

\* إن الأهداف الجزأة لمكونات العمل الإسلامي، أدت إلى تشتيت الجهود وعدم ضخها في الجهد الرئيس للأهداف الكبرى للعمل الإسلامي، ثم إن هذه الأهداف الجزأة اهتمت ببعض الجوانب وأهملت غيرها، مما جعلها قاصرة عن تحمّل المسؤولية العامة الشاملة التي يحتاجها العمل الإسلامي.

### رؤية

لم يعد جيل الصحوه يقبل أهدافاً جزئية صغيرة يدور فيها، ولم تعد هذه الأهداف على مستوى تطلعاته، ولم يعد يملأ طموحه إلا الأهداف الكبرى والشاملة للإسلام، وفي مقدمتها قيادة الأمة نحو حريتها وكرامتها ونهضتها. إن هذه الأهداف الكبرى لا يمكن تحقيقها إلا عبر خطط وبرامج استراتيجية شاملة ومتدرجة، تدرس الواقع، وتضع الحلول، وترسم المراحل.

وهذا الأمر يوجب على العاملين في حقل الدعوة الإسلامية الاتفاق على أهداف عامة للعمل الإسلامي، ثم فتح باب الإبداع والابتكار في أساليب العمل والاجتهاد بأوسع طاقة ممكنة لجعل الأهداف الجزئية في كل

مكون من مكونات العمل الإسلامي لبناتٍ في هيكلية العمل العام وأهدافه الكبرى، تصب فيه، وتتكامل، وتتآزر.

وبهذه الطريقة نحصل على فوائد متعددة:

أولها: عدم إلغاء الجهود الخاصة في مكونات العمل الإسلامي، والاستفادة منها بالطاقة العظمى، حيث تمتد وتنتشر وتتسع أفقياً لأعداد كبيرة جداً من العاملين، وتستطيع استثمار طاقات المبدعين والموهوبين واجتذابهم واستخلاصهم للعمل الإسلامي على أوسع نطاق.

وأما التفكير بإلغاء الجماعات الإسلامية وتحويلها إلى جماعة واحدة، فهو عمل يتناقض مع العقل، وفطرة الإنسان، والمصلحة العامة للعمل الإسلامي.

إن الذين يفكرون بهذه الطريقة السطحية والسادجة يُشبهون في تفكيرهم أصحاب الفكر الماركسي الشمولي، الذين عملوا على قتل المبادرات الخاصة والإبداع في المجتمعات، وحولوها إلى آلة صماء تتحرك حسب البرامج المفروضة عليها، فتخلّفت تلك المجتمعات ثم انهارت؛ لأنها خالفت فطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها.

وثاني تلك الفوائد: توافر الرؤية الواضحة والأهداف الكبرى للعمل الإسلامي التي تلبّي طموحات أجيال الصحوّة، وتستقطبهم، وتوظف طاقاتهم في الحراك العام للعمل الإسلامي، وتستثير مكامن طاقاتهم وإبداعاتهم وتشكل منهم قاعدة الصحوّة الصلبة التي يتم الارتكاز عليها في تحقيق الأهداف.

## رابعاً: معالجة علة الاختلاف حول طرائق تحقيق الأهداف.

رأينا في بداية البحث أن هناك محاور عدة للعمل الإسلامي بعضها مفرطٌ وبعضها متطرف، وبين ذلك محاور قريبة من الاعتدال، وتعتمد هذه المحاور أساليب عدة في تحقيق أهدافها المختلفة.

- فبعضهم يعتمد الأسلوب الدعوي والتربوي (روحياً، وقيماً، وأخلاقياً...) هادفين إلى بناء نواة صلبة وقاعدة أساس يستندون إليها من أجل تغيير المجتمعات نحو تبني القيم الإسلامية.

- وبعضهم يعتمد الأسلوب السياسي والعمل الجماهيري، واكتساب الرأي العام، وصولاً إلى قيادة المجتمع، ثم تغييره نحو تبني القيم الإسلامية.

- وبعضهم يعتمد الأسلوب العسكري الانقلابي، وصولاً إلى قيادة المجتمع ثم تغييره نحو تبني القيم الإسلامية.

- وبعضهم يعتمد أسلوب إعلان الحرب على المجتمع؛ لأنه أصبح مجتمعاً جاهلياً، ومن ثم لا بد من القضاء على هذه الجاهلية، بأصولها وفروعها ومظاهرها كافة، ثم البدء بتكوين المجتمع الإسلامي على أسس جديدة.

\* ومن الواضح أن الأساليب المتطرفة لا تجلب نفعاً ولا مصلحة، وأن مفسادها تشوه العمل الإسلامي، بل تدمره فلا يرى النور ولا الحياة.

\* ومن الواضح أيضاً أنه يجب استخدام الوسائل الإيجابية المعتدلة كافة دعويّاً وروحياً وتربويّاً وفكريّاً وعلميّاً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً. والتي بمجموعها وتناغمها وتكاملها، وبإعطاء كل أسلوب ما يحتاجه من اهتمام وجهد، يمكن أن يُحقق الإسلام أهدافه الكبرى في حياة الناس.



## المبحث الخامس عشر الاختلاف والصراع بين الجماعات الإسلامية

**المطلب الأول: بعض زعامات العمل الإسلامي تؤسس لصراعات بين مكوناته.**

إذا كان ائتلاف مكونات العمل الإسلامي، لقيام تيار موحد ضرورة شرعية تفرضها مصلحة نهوض الأمة، كما يفرضها واقع المواجهة مع تحالف القوى المعادية للإسلام على المستويات كافة..

فما رأي أبناء الدعوة وشباها إذا كان بعض زعامات العمل الإسلامي، تؤسس لصراعات وخلافات بين مكونات أو شبه مكونات العمل الإسلامي، لأتفه الأسباب، أو للعلل المصلحية التي سبق وأشرنا إليها؟!..!..  
بِمَ وكيف سيحكم التاريخ على هؤلاء الذين يضحون بمصالح الدعوة حفاظاً على مصالحهم أو أنانياتهم؟!..!

### حقيقة

إن خسائر العمل الإسلامي بسبب خلافات وصراعات مكوناته المختلفة، أكبر بكثير من خسائر العمل الإسلامي بسبب أعدائه!!..!

إن هذه الحقيقة المستمرة منذ عشرات بل مئات السنين، تقتضي أن ينتفض عليها شباب الدعوة ويُخَلِّصُوا العمل الإسلامي من أسبابها؛ لأنها

من أهم أسباب تخلف الدعوة وعجزها عن القيام بواجباتها نحو نهوض الأمة الإسلامية...

فعلى أبناء الدعوة واجب تحمل مسؤولياتهم كاملة، وعليهم تجاوز كل من يرفض قيام تيار عمل إسلامي موحد، يكون كل مكون فيه لبنة من لبنات البنيان المرصوص الذي يحبه الله تعالى..

كما يقول النبي ﷺ: « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً »<sup>(١)</sup>.

إنها دعوة للشباب لإنجاز ما عجز عنه الكبار.

دعوة

**المطلب الثاني: كيف يملك بعض الإسلاميين القدرة على الحوار مع غير الإسلاميين. ولا يجدون سبيلاً للحوار فيما بينهم!!!؟...**

● فمن غير المقبول شرعاً وعقلاً أن يمتلك بعض الإسلاميين القدرة على الحوار مع الاتجاهات السياسية غير الإسلامية، والتحالف معهم في جبهات عمل سياسي مختلفة، ومن غير المعقول أن يحاوروا غير المسلمين ويجادلوهم بالتي هي أحسن ويدعوهم إلى كلمة سواء، وعلى الوجه الآخر يتصارعون مع المكونات الإسلامية الأخرى ويتخاصمون معها، مجرد

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٨١] (ص/١١٣)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٨٥] (ص/١٠٤١)، واللفظ لمسلم.

الخلاف في آراء اجتهادية دعوية، ولا يجدون سبيلاً لإقامة جبهة عمل إسلامي يكون لكل مكون فيها خصائصه ومميزاته!!.

#### تنبيه

إن ازدراء أي مكون إسلامي بعمل المكونات الأخرى، أو التعامل معها باستعلاء ومطالبتها بالتبعية، بادعاء أصالته ومحوريته، وفهمه وعلمه، ورسوخ قدمه، وادعاء أن المكونات الأخرى دونه في ذلك. إن هذا التصرف سيؤدي إلى ترسيخ الصراعات بين مكونات العمل الإسلامي فلا تقوم له قائمة ولا تنتصر له راية.

• ويجب أن يحمل كل مكون من مكونات العمل الإسلامي، ما أشكلَ عليه من مواقف المكونات الأخرى على أحسن المحامل، وأن يُحسن الظن بإخوانه، وأن يلتمس الأعذار لهم، حرصاً على عدم الشقاق والصراع فيما بينهم.

#### واجب

إن ضرورات النهوض بالأمة ومواجهة أعدائها تقتضي في مرحلة الضعف وعدم التمكّن، الإغضاء عن الأخطاء الاجتهادية أو الشكلية الموجودة لدى بعض مكونات العمل الإسلامي، ومواجهتها بالنصح والحوار ما أمكن، وعدم جعلها سبباً في عدم تألف الجميع في جبهة موحدة.

• إن مكونات العمل الإسلامي المعاصر، واقع موجود على الأرض لا يمكن تجاوزه، إذا أردنا جمع العاملين على كلمة سواء، والابتعاد عن الصراعات فيما بينهم..

وإذا كان يجوز من أجل درء الفتنة ووحدة الأمة، القبول بالأمراء الفجرة الفاسقين، أفلا يجوز من باب أولى اشتراك كل مكونات العمل

الإسلامي مع ما يشوب بعضها من إشكاليات، في قيادة جبهة موحدة درءاً لمفسدة الصراعات فيما بينهم، والتي ستؤدي إلى ضعف أو انهيار العمل الإسلامي، وفقدان القدرة على تحقيق الأهداف؟!..

### المطلب الثالث: مبادئ يجب أن يتألف عليها جميع الدعاة.

● وحتى لا نقع في الصراع والتفرق يجب أن يتألف الجميع على المبادئ التالية:

- ١- الاتفاق على الأهداف الكبرى للعمل الإسلامي.
  - ٢- القبول بالاختلاف في الفروع والمسائل الاجتهادية.
  - ٣- الحرص على التآلف والتآخي بين الجميع.
  - ٤- التماس العذر والتسامح مع الآخر.
  - ٥- رؤية المحاسن في الآخر.
  - ٦- استفادة الكل من الكل، وترسيخ التكامل بدلاً من التناذر.
- إن أغلب الصراعات بين الجماعات الإسلامية لا تقوم على أساس فكري حقيقي، ولكنها تتولد من نقائص سلوكية ونفسية وتربوية موجودة لدى بعض زعامات هذه الجماعات.

إن سلبيات الصراعات الناشئة عن أنانياتهم وحبهم للزعامة والتعصب والحفاظ على مصالحهم، أكبر بكثير من السلبيات الناشئة عن الاختلافات الفكرية!!.. وكثيراً ما ينشأ الشقاق النفسي بينهم لأسباب تافهة، كالتصرف على نحو غير لائق فيه شيء من الاستعلاء أو الاستخفاف، أو الإساءة بغيبة أو نميمة أو ما يشبه ذلك!!..

وأحياناً يكون السبب الاهتمام الشديد بالأتباع والجماعة، وإهمال الأنداد والأمثال، وعدم الاكتراث بهم.

#### تنبيه

إن الصراعات بين الجماعات الإسلامية تمثل أكبر خطر على مستقبل العمل الإسلامي ونهوض الأمة، وهي علة العلل ومن أعظم المفسد التي يجب أن تتحد جهود المخلصين لدفعها والتخلص منها..

#### واجب

إن الخلافات بين الجماعات الإسلامية الناشئة عن أساس فكري يجب ألا تتحول إلى صراعات، ويجب معالجتها في إطار فكري، وإخضاعها لقواعد الاجتهاد في الفروع، والمقاصد الكبرى للإسلام، وفقه التعامل مع المخالف، والتمسك بالائتلاف ووحدة العمل الإسلامي..

● وينتج الخلاف أيضاً بين مكونات العمل الإسلامي بسبب اختلاف الرؤية والقراءة للأمر، فكثيراً ما تكون هذه الأمور مشتملة على مصالح ومفاسد بآن معاً، ولعل البعض ينظر إلى هذه الأمور من زاوية المصالح فيرجح استحسان العمل بهذه الأمور، ولعل فريقاً آخر ينظر إلى هذه الأمور من زاوية المفسد فيرجح كراهية أو تحريم العمل بهذه الأمور.

وأهل الحكمة والنظر يبحثون في المآلات، ويختارون تحقيق أكمل المصلحتين بتفويت أدناهما، ودفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما.

وقد ورد في الأثر: ((إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْبَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ نَزْوِلِ الشُّبُهَاتِ))<sup>(١)</sup>.

(١) مسند الشهاب القضاعي، برقم [١٠٨٠] [١٥٢/٢].

## رؤية

إن تعدد الاجتهادات في الفروع، ومنها الاجتهادات الدعوية ناشئ عن تفاوت الناس بالمواهب، والمدارك، والأفهام، ويُعد النظر، والقدرة على الإحاطة بالتفاصيل، والتعمق في المضمون. هكذا فطر الله تعالى الناس، ولو شاء أن يجعلهم في صف واحد لفعل، ولكن مشيئته تعالى أرادت هذا التفاوت فيما بينهم، لتتسع دائرة الأفكار، ويتسع التنوع، وتتوسع الأساليب والمخارج والحلول لمشكلات الناس المختلفة، وبهذا يصبح تعدد الاجتهادات المقبولة رحمة للناس.

يقول الشاطبي: ((فإن الله تعالى حكم بحكمته أن تكون فروع هذه الملة قابلة للأنظار ومجالاً للظنون. وقد ثبت عند النُّظار أن النظريات لا يمكن الاتفاق فيها عادة، فالظنيات عريقة في إمكان الاختلاف، لكن في الفروع دون الأصول وفي الجزئيات دون الكليات فلذلك لا يضر هذا الاختلاف))<sup>(١)</sup>.

ويقول أيضاً: ((وروى ابن وهب عن القاسم أيضاً قال: لقد أعجبني قول عمر بن عبد العزيز: " ما أحب أن أصحاب محمد ﷺ لا يختلفون، لأنه لو كان قولاً واحداً لكان الناس في ضيق، وإهم أئمة يُقتدى بهم فلو أخذ رجل بقول أحدهم كان سنة."))

ومعنى هذا أنهم فتحوا للناس باب الاجتهاد وجواز الاختلاف فيه لأنهم لو لم يفتحوه لكان المجتهدون في ضيق، لأن مجال الاجتهاد ومجالات الظنون

(١) الاعتصام للشاطبي، (١٦٨/٢).

لا تتفق عادة - كما تقدم - فيصير أهل الاجتهاد مع تكليفهم باتباع ما غلب على ظنونهم مكلفين باتباع خلافهم وهو نوع من تكليف مالا يطاق وذلك من أعظم الضيق، فوسع الله على الأمة بوجود الخلاف الفروعى فيهم فكان فتحُ بابٍ للأمة للدخول في هذه الرحمة))<sup>(١)</sup>.

ولهذا فإنه لا يُنكر على أحد في المختلف فيه، ما لم يرد فيه دليل يوجب العمل به، فقد قال النبي ﷺ لأصحابه يوم الأحزاب فيما رواه ابن عمر قال: ((قال النبي ﷺ لَنَا لَمَّا رَجَعَ مِنَ الْأَحْزَابِ « لا يُصَلِّينَ أَحَدٌ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ » فَأَدْرَكَ بَعْضُهُمُ الْعَصْرَ فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُصَلِّي حَتَّى نَأْتِيَهَا. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ نُصَلِّي، لَمْ يُرَدِّ مِنَّا ذَلِكَ. فَذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يُعْنَفْ وَاحِدًا مِنْهُمْ.))<sup>(٢)</sup>.

قال ابن حجر: ((وقد استدل به الجمهور على عدم تأييم من اجتهد لأنه ﷺ لم يعنف أحداً من الطائفتين فلو كان هناك إثم لعنف من أثم))<sup>(٣)</sup>.

#### ● ويجوز العمل بالدليل المرجوح رعاية لمصلحة شرعية معتبرة...

((إذا تعارضت مصلحة الائتلاف والاعتصام بالجماعة مع بعض هذه الفروع، واقتضت ترك مستحب أو مسنون، وفعل مرجوح أو مفضول كانت مصلحة التأليف والاجتماع أولى بالاعتبار وقد استفاضت مقالات أهل العلم

(١) المصدر السابق، (١٧١/٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٩٤٦] (ص/٩٤٧).

(٣) فتح الباري، لابن حجر، (٤١٠/٧).

في التأكيد على هذا المعنى ومارسوه عملياً فيما لا يُحصى من الوقائع...

يقول ابن تيمية -رحمه الله-: "ولذلك استحب الأئمة أحمد وغيره أن يدع الإمام ما هو عنده أفضل، إذا كان فيه تأليف المأمومين، مثل أن يكون عنده فصل الوتر أفضل، بأن يسلم في الشفع، ثم يصلي ركعة الوتر، وهو يؤمّ قوماً لا يرون إلا وصل الوتر، فإذا لم يمكنه أن يتقدم إلى الأفضل، كانت المصلحة الحاصلة بموافقة لهم بوصل الوتر أرجح من مصلحة فصله مع كراهتهم للصلاة خلفه، وكذلك لو كان ممن يرى المخافتة بالبسملة أفضل، أو الجهر بها، وكان المأمومون على خلاف رأيه، ففعل المفضول عنده لمصلحة الموافقة والتأليف التي هي راجحة على مصلحة تلك الفضيلة كان جائزاً حسناً"<sup>(١)</sup>.

ويقول -رحمه الله- في موضع آخر: "ويستحب للرجل أن يقصد إلى تأليف القلوب بترك هذه المستحبات؛ لأن مصلحة التأليف في الدين أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما في إبقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود على عثمان إتمام الصلاة في السفر ثم صلى خلفه متمماً. وقال: الخلاف شر"<sup>(٢)</sup>.

ويقول في موضع ثالث عن صلاة السنة قبل الجمعة رغم عدم مجيء سنة بها: "إن كان الرجل مع قوم يصلونها، فإن كان مطاعاً إذا تركها -

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية، (١٠٦/٢٤).

(٢) المصدر السابق، (٢٣٩/٢٢).

وبين لهم السنة- لم ينكروا عليه، بل عرفوا السنة فتركها حسن، وإن لم يكن مطاعاً ورأى أن في صلاحها تأليفاً لقلوبهم إلى ما هو أنفع، أو دفعاً للخصام والشر لعدم التمكن من بيان الحق لهم، وقبولهم له، ونحو ذلك، فهذا أيضاً حسن" (١).

ويقول في موضع رابع: "لو كان الإمام يرى استحباب شيء، والمؤمنون لا يستحبونه، فتركه لأجل الاتفاق والاتلاف، كان قد أحسن." (٢) (٣).

#### إضاءة

إن الائتلاف وعدم التفرق أصلٌ وواجبٌ في الإسلام، والخلاف في الفروع لا إثم فيه، وبعض الناس يتركون الواجب الذي تتعلق به مصلحة كبرى للأمة، ويعملون على تفريق كلمة المسلمين، للتمسك بأمر يحتمل وجوهاً من الاجتهادات...

### المطلب الرابع: نموذج من الصراعات بين الجماعات الإسلامية "الصراع المقيت بين السلفيين والصوفيين".

هناك من يرتكب الحرام بتفريق كلمة المسلمين، وتكفير جماعات منهم، وإثارة العداوات والبغضاء والأحقاد فيما بينهم، بل شن الحروب على بعض الجماعات الإسلامية تحت ذريعة محاربة البدع، فُتسفك الدماء،

(١) المصدر السابق، (١٠٦/٢٤).

(٢) المصدر السابق، (١٦٢/٢٢).

(٣) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، د.صلاح الصاوي، (ص/٢٨ وما بعدها).

وتُزهق الأرواح، وتُحرق البيوت، وتُهدم المساجد!!..

وهكذا نرتكب جرائم القتل، وسفك الدماء، وهتك الحرمات، من أجل إزالة بدعة، مثل وجود قبر ضمن سور مسجد، أو نفجر مسجداً بما فيه من المصلين أثناء صلاة الجمعة بحجة أنهم شيعة ونحن سنة، أو أنهم سنة ونحن شيعة!!..

أليس هذا ما يحصل في مناطق مختلفة من العالم؟!..

هل من المسلمين من يقتل المسلمين؟!..

● إنصاف واعتدال أئمة السلفية في مقابل المتطرفين التكفيريين من أدياء السلفية.

وتُشن المعارك الفكرية، والصراعات العنيفة، ونرمي بعضنا بالكفر، ونُخرج الناس من دين الله أفواجاً من أجل مسألة لا تتوقف عليها لا نهضة أمة ولا سقوط أمة، مثل: مسألة التوسل.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جوابه على حكم التوسل: ((فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين، وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ، وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه؛ فهذه المسألة من مسائل الفقه، ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور إنه مكروه؛ فلا ننكر على من فعله، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد))<sup>(١)</sup>.

(١) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، د. صالح بن عبد الله العبود، (٣/٧٤).

وهكذا يسوق بعض الجماعات مقولاتهم ((على أنها الحق الذي ليس بعده إلا الضلال، ويخلعون عليها من الأسماء ما تروج به على العامة، ويجلبون على مخالفهم بكل ما أتوا من خصومة وفحش، وينسبونه إلى الكفر والفسق والبدعة في جرأة فجحة، وصلافة منكرة، لأنهم دائماً يقرنون بين الخطأ وبين الإثم ويجعلونهما متلازمين، فيجعلون موارد الاجتهاد بل الحسنات ذنوباً، وقد يجعلون الذنوب كفراً، مع ما يتولد عن ذلك من بغض للمسلمين، واستحلال دمائهم وأموالهم، والوقوع في أعراضهم بغير الحق.

وبعض الجماعات يوالون ويعادون حسب الولاء للأشخاص !!..

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "فمن جعل شخصاً من الأشخاص غير رسول الله ﷺ من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة - كما يوجد ذلك في الطوائف من أتباع أئمة في الكلام في الدين وغير ذلك - كان من أهل البدع والضلال والتفرق." (١).

ويقول في موضع آخر: "من والى موافقه وعادى مخالفه وفرق بين جماعة المسلمين، وكفر وفسق مخالفه دون موافقه في مسائل الآراء والاجتهادات، واستحل قتال مخالفه دون موافقه فهؤلاء من أهل التفرق والاختلافات" (٢) (٣).

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٣/٢١٦).

(٢) المصدر السابق، (٣/٢١٧).

(٣) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، د.صلاح الصاوي، (ص/٤٨ وما بعدها).

ومن خلال خبرتي وجدت أن المتصوفين الذين يتهمهم السلفيون المتطرفون بالكفر، ويقدمون كفرهم على كل كفر، وييحون قتلهم، واستباحة حرماهم، ويصطنعون معهم حروباً وعداوات تؤثر تأثيراً بالغاً على مسيرة العمل الإسلامي العالمية.

وجدت هؤلاء على الوصف الذي وصفهم به "ابن تيمية" حيث قال:  
 ((تنازع الناس في طريقهم...))

و"الصواب" أنهم مجتهدون في طاعة الله، كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله، ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده، وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين، وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ، وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب. ومن المنتسبين إليهم من هو ظالم لنفسه، عاص لربه. وقد انتسب إليهم طوائف من أهل البدع والزندقة؛ ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم<sup>(١)</sup>.

ووجدت أن أغلب المخطئين منهم بسطاء، يرتكبون الخطأ عن جهل وتقليد، ولو تهيأ لأحدهم من ينصحه ويعلمه بلطف ولين لوجدته يتقبل النصيحة، وأنا متأكد وموقن أنه لا يقع في خاطر أحدهم أو إرادته لحظة واحدة أن يخالف الله ورسوله أو أن يعبد مع الله تعالى أحداً غيره أو أن يُشرك به شيئاً، فإذا كانت هذه إرادته وهذه محبته لله ورسوله ﷺ وللصالحين، فكيف نتجرأ على رميه بالكفر؟!..

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١١/١٣ وما بعدها)، وانظر: الموضوع كاملاً في بحث أزمة فكر بين التفتل والجمود من هذا الكتاب.

وكيف نتجرأ على استباحة دمه وعرضه وماله؟!...، ومعالجة خطأ المخطئين منهم لا يحتاج إلا للنصيحة والصبر عليها..

والعجيب أن في المسلمين من ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج.. واتخذ لنفسه مذهباً فكرياً أو سياسياً لا يمتُّ إلى الإسلام بصلة، بل فكراً معادياً بشدة للإسلام، ويقع في مخالفات اعتقادية خطيرة، ومع هذا لا نجد الفريق المكفر للصوفية (خلافاً لرأي شيخهم "ابن تيمية") يبذلون من العداوة والبغضاء والاحتراب الفكري والقتالي مع هذه الفئة، ما يبذلونه مع المتصوفين!..

#### ● مدى خطورة الصراع بين السلفيين والصوفيين.

##### تنبيه

إن الصراع بين السلفيين والصوفيين خطيرٌ جداً، ويترك آثاراً مدمرة على مسيرة العمل الإسلامي في كل أنحاء العالم، وفيه فتنة للمسلمين، وفيه صدٌّ عن سبيل الله تعالى، وخاصة عند إقحام المهتدين الجدد إلى الإسلام في هذا الصراع الخطير.

لذا فإنه يجب وجوباً ملزماً، أن يتوقف هذا الصراع بين الصوفيين والسلفيين، والتحول إلى المعالجة بطريقة الدفع بالتي هي أحسن مع المخطئين من الطرفين، والتعامل معهم بالحكمة والموعظة الحسنة، بالرفق وبالقول اللين، كما أمر الله تعالى سيدنا موسى عليه السلام وسيدنا هارون عليه السلام بلين التعامل مع فرعون مدعي الربوبية، حيث قال: ﴿فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [سورة طه].

ومن أجود ما قرأت في هذا الموضوع، برنامجاً لإصلاح العمل الصوفي، وتصحيح العلاقة بين الصوفيين والسلفيين، قدمه سماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو في اجتماع لجنة التنسيق والمتابعة للطرق والحركات الصوفية، المنعقد في "باكو-أذربيجان" عام ١٩٩٥م<sup>(١)</sup>.

\* ومن جهة أخرى علينا أن نُنصف إخواننا السلفيين المعتدلين، فقد ساهموا في إيقاظ الأمة الإسلامية، وعملوا على حماية الإسلام من أن يدخل فيه ما ليس منه، وحافظوا على نقائه.

فلا يُقبل من الصوفيين وغيرهم وصفهم بأوصاف لا تليق بأهل العلم، حتى وإن ظهر فيهم بعض المتطرفين، فلا يصحّ أن نُسيء للصالحين بجريرة المخطئين، وعلينا أن نتجنب التعميم في الحكم على أي جماعة إسلامية سلباً أو إيجاباً، وأن نعتدل في التعامل مع الجميع وأن نضع الأشياء في مواضعها.

\* وعلى إخواننا السلفيين أن يتجنبوا التطرف في التعامل مع المسلمين، فلا يصحّ أن نشقّ صفوف المسلمين ونفرّق كلمتهم من أجل الخلاف على ترك سنة...، فنرتكب الحرام من أجل تحصيل سنة.

أليس فيهم من يفسق الذي شدّب لحيته ولم يُطلقها؟!..

أليس فيهم من يفجّر صراعات بين المسلمين تضجّ بها المساجد، لاختلافهم على جهر الإمام بالدعاء أو بالأذكار بعد انتهاء صلاة الفريضة،

(١) انظر: الملحقات في نهاية هذا الكتاب.

أو على دعاء القنوت في صلاة الفجر، أو على عدد ركعات صلاة التراويح؟!..

لماذا لا يأخذ المعترضون برأي شيخهم "ابن تيمية" بجواز ترك بعض السنن حفاظاً على الاتفاق والائتلاف بين المسلمين؟!..

يقول شيخ الإسلام: ((وَكَذَلِكَ إِذَا افْتَدَى الْمَأْمُومُ بِمَنْ يَقْتُ فِي الْفَجْرِ أَوْ الْوُتْرِ فَنَتَ مَعَهُ سَوَاءٌ فَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ أَوْ بَعْدَهُ. وَإِنْ كَانَ لَا يَقْتُ لَمْ يَقْتُ مَعَهُ. وَلَوْ كَانَ الْإِمَامُ يَرَى اسْتِحْبَابَ شَيْءٍ وَالْمَأْمُومُونَ لَا يَسْتَحِبُّونَهُ فَتَرَكُهُ لِأَجْلِ الْاِتِّفَاقِ وَالِائْتِلافِ: كَانَ قَدْ أَحْسَنَ))<sup>(١)</sup>.

ولماذا لا يأخذ هؤلاء برأي شيخهم في عدد ركعات قيام رمضان التراويح؟!..

يقول "ابن تيمية" في فتاويه: ((كَمَا أَنَّ نَفْسَ قِيَامِ رَمَضَانَ لَمْ يُوقَّتْ النَّبِيُّ ﷺ فِيهِ عَدَدًا مُعَيَّنًا؛ بَلْ كَانَ هُوَ ﷺ لَا يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلَا غَيْرِهِ عَلَى ثَلَاثِ عَشْرَةَ رَكْعَةً لَكِنْ كَانَ يُطِيلُ الرُّكْعَاتِ فَلَمَّا جَمَعَهُمْ عُمَرُ عَلَى أَبِي بِنِ كَعْبٍ كَانَ يُصَلِّي بِهِمْ عَشْرِينَ رَكْعَةً ثُمَّ يُوتِرُ بِثَلَاثٍ وَكَانَ يُخَفُّ الْقِرَاءَةَ بِقَدْرٍ مَا زَادَ مِنَ الرُّكْعَاتِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ أَحْفُ عَلَى الْمَأْمُومِينَ مَنْ تَطْوِيلِ الرُّكْعَةَ الْوَاحِدَةَ ثُمَّ كَانَ طَائِفَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَقُومُونَ بِأَرْبَعِينَ رَكْعَةً وَيُوتِرُونَ بِثَلَاثٍ وَآخَرُونَ قَامُوا بِسِتِّ وَثَلَاثِينَ وَأُوتِرُوا بِثَلَاثٍ وَهَذَا كُلُّهُ سَائِعٌ فَكَيْفَمَا

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٢٢/وما بعدها ١٦١).

قَامَ فِي رَمَضَانَ مِنْ هَذِهِ الْوُجُوهِ فَقَدْ أَحْسَنَ. وَالْأَفْضَلُ يَخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ  
 أَحْوَالِ الْمُصَلِّينَ فَإِنْ كَانَ فِيهِمْ أَحْتِمَالٌ لَطُولِ الْقِيَامِ فَالْقِيَامُ بَعَشْرَ رَكَعَاتٍ  
 وَثَلَاثَ بَعْدَهَا. كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي لِنَفْسِهِ فِي رَمَضَانَ وَغَيْرِهِ هُوَ  
 الْأَفْضَلُ وَإِنْ كَانُوا لَا يَحْتَمِلُونَهُ فَالْقِيَامُ بَعَشْرِينَ هُوَ الْأَفْضَلُ وَهُوَ الَّذِي يَعْمَلُ  
 بِهِ أَكْثَرُ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّهُ وَسَطٌ بَيْنَ الْعَشْرِ وَبَيْنَ الْأَرْبَعِينَ وَإِنْ قَامَ بِأَرْبَعِينَ  
 وَغَيْرِهَا جَازَ ذَلِكَ وَلَا يُكْرَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ. وَقَدْ نَصَّ عَلَى ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ  
 مِنَ الْأَثَمَةِ كَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ . وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ قِيَامَ رَمَضَانَ فِيهِ عَدَدٌ مُوقَّتٌ عَنِ  
 النَّبِيِّ ﷺ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ فَقَدْ أَخْطَأَ (١).

إن توحد المسلمون وعدم تفرقتهم، فريضة إسلامية، وإن صلاة التراويح سنة،  
 فكيف نهدم الفريضة المتعلقة بمستقبل الأمة ونجالتها من أجل الخلاف في سنة؟!؟

#### نداء

أيها المسلمون.. أيها الدعاة.. لو تركتم صلاة التراويح بمجمليها، لكان  
 خيراً لكم من الاختلاف والتناحر!!..  
 لا تختلفوا ولا تتناحروا وصلوا العدد الذي تشاؤون، (ثمانى ركعات، أو  
 عشرين، أو أربعين...) فصلاكم صحيحة، والعبرة بالخشوع والقبول...  
 إن صلاة التراويح سنة، وإن تفريق كلمة المسلمين حرام!!..  
 إن الإسلام والعالم الإسلامي يتعرضان لأخطر المؤامرات العالمية والمحلية،  
 مما يهدد الحاضر والمستقبل، وبعض المسلمين في سكرات صراعاتهم  
 يعمهون، يغرقون في الجزئيات، ويغفلون عن الكليات، فمتى  
 يستيقظون!!؟..

(١) المصدر السابق، (٢٢/١٦٤).

إن ظاهرة تكفير السلفيين المتطرفين لجماعات من المسلمين أعدادها بمئات الملايين كالأشاعرة والصوفيين، ظاهرة خطيرة جداً يجب التوقف عندها، ودعوة إخواننا السلفيين المعتدلين لمعالجتها بحزم وعزيمة لا تفتقر حتى يتم القضاء عليها.

إن شيخ الإسلام ابن تيمية أنكر بشدة تكفير المسلمين ممن اشتبه عليهم الحق، وإن كان فيهم بدعة محققة!!..

يقول في مجموع فتاويه: ((ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة فإن الله تعالى قال: ﴿ءَأَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [سورة البقرة]. وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء وغفر للمؤمنين خطأهم .

والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم، قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخليفة الراشد، واتفق على قتلهم أئمة الدين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، ولم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة بل جعلوهم مسلمين مع قتلهم، ولم يقاتلهم علي حتى سفكوا الدم الحرام وأغاروا على أموال المسلمين. فقاتلهم لدفع ظلمهم وبعيهم لا لأنهم كفار، ولهذا لم يسب حريمهم؛ ولم يغنم أموالهم.

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر

الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم؟ فلا يحل لأحد من هذه الطوائف أن تكفر الأخرى، ولا تستحل دمها ومالها وإن كانت فيها بدعة محققة، فكيف إذا كانت المكفرة لها مبتدعة أيضاً؟ والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض، لا تحل إلا بإذن الله ورسوله.

قال النبي ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»<sup>(٢)</sup>.

وقال ﷺ: «من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم الذي له ذمة الله ورسوله، فلا تحفروا الله في ذمته»<sup>(٣)</sup>.

وقال ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار. « قالوا: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «إنه أراد قتل صاحبه»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [١٧٣٩] (ص/٣٣١).

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [٢٥٦٤] (ص/١٠٣٥).

(٣) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٣٩١] (ص/٩٨).

(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" برقم [٣٩٦٤] (ص/٤٢٦)، وهو صحيح.

وقال ﷺ: « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»<sup>(١)</sup>.

وقال ﷺ: «إذا قال الرجل لأخيه "يا كافر" فقد باء به أحدهما»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأحاديث كلها في الصحاح...»<sup>(٣)</sup>.

فلماذا نكفر جميع الصوفيين وابن تيمية لم يكفر إلا من يقول بالاتحاد والحلول، وأثنى على أصناف منهم..

كيف نكفرهم بالعموم وفيهم الصالحون؟!..

وأريد أن أسأل: كم عدد الذين يعتقدون من المسلمين الصوفيين في عصرنا الحاضر بعقيدة الاتحاد والحلول؟!..

إنني أجزم أن الغالبية الساحقة من الصوفيين لم يسمعوا بهذا فضلاً عن أن يعتقدوا به..

إنهم عبّاد بسطاء لا يشتغلون بالفكر والفلسفة التي تبحث في الاتحاد والحلول..

وإنني أجزم عن خبرة لصيقة بالتصوف والمتصوفين أن في عصرنا الحاضر ومن جملة عشرات الملايين منهم يصعب عليك أن تجد فيهم من يفهم عقيدة الاتحاد والحلول.. فضلاً عن أن يعتقد بها..

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٧٠٧٧] (ص/١٣٥٢).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١٠٣] (ص/١١٧٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، (٣/٢٨٢ وما بعدها).

فكيف نكفرهم بالعموم وفيهم الصالحون؟!..!!

يقول ابن تيمية: ((وليس في الكتاب والسنة المظهرون للإسلام إلا قسمان : مؤمن أو منافق، فالمنافق في الدرك الأسفل من النار، والآخر مؤمن، ثم قد يكون ناقص الإيمان فلا يتناوله الاسم المطلق، وقد يكون تام الإيمان، وهذا يأتي الكلام عليه إن شاء الله في مسألة الإسلام والإيمان، وأسماء الفساق من أهل الملة، لكن المقصود هنا أنه لا يجعل أحد بمجرد ذنب يذنبه ولا ببدعة ابتدئها ولو دعا الناس إليها كافراً في الباطن، إلا إذا كان منافقاً. فأما من كان في قلبه الإيمان بالرسول وما جاء به وقد غلط في بعض ما تأوله من البدع، فهذا ليس بكافر أصلاً، والخوارج كانوا من أظهر الناس بدعة وقتالاً للأمة وتكفيراً لها، ولم يكن في الصحابة من يكفرهم لا علي بن أبي طالب ولا غيره، بل حكموا فيهم بحكمهم في المسلمين الظالمين المعتدين كما ذكرت الآثار عنهم بذلك في غير هذا الموضع))<sup>(١)</sup> فأين موقف السلفيين المكفرين من موقف شيخ السلفية ابن تيمية؟!..!!

#### حقيقة

لم يعد بالإمكان الاستمرار بهذا الصراع بين السلفيين والصوفيين، وهو صراع محرّم؛ لأن المنكرات والبدع الناتجة عنه من تمزيق وحدة المجتمع الإسلامي وصولاً إلى التكفير، وسفك الدماء، واستباحة الحرمات، أكبر بما لا يُقاس من المنكرات الموجودة لدى الفريقين..

(١) المصدر السابق، (٧/١٣٨ وما بعدها).

لابد من الإصلاح والتي هي أحسن، ولا بد من التعاون الذي يتفق الجميع فيه على الكليات والأصول والحد الأدنى من الفروع..

ويردُّ الدكتور الصاوي على الذين يرفضون التعاون مع أصحاب الاجتهادات المخالفة تحت ذريعة الورع ومحاربة البدع، فيقول: ((وهذه سمة توشك أن تكون عامة في كثير ممن انتسب إلى السنة في هذا العصر، ولو سعى جاداً في إحيائها والعمل بها، وهي رفض التعاون مع أصحاب الاجتهادات المخالفة في الصف الإسلامي والتنسيق معهم فيما يمثل قناعة مشتركة، مع ما يؤدي إليه ذلك المنهج من تكريس الفرقة والحيلولة دون قيام الجماعة بمفهومها العام والشامل.

ومن حجتهم على ذلك ما يلي:

- ما ورد من الآثار ومقالات أهل العلم في هجر أهل البدع، والإنكار عليهم، وتحذير الأمة من فتنهم.
- أن التعاون معهم قد يملي لهم ويضفي الشرعية على ما يرونه من ضلالاتهم، مع ما يتضمنه ذلك من التغيرير بالعامّة والتلبيس عليهم.

وقد يكون لموقف هؤلاء وجاهة تبدو لأول وهلة، وقد تتكون به قناعة بادي الرأي، ولكن مزيداً من التحقيق والرأي والتأمل يقودنا إلى عكس هذه النتيجة، ويبين أنه قد يكون نوعاً من الورع المغلوط الذي يُفوت كثيراً من المصالح الشرعية، بل ويترتب عليه من المفاسد ما قد يصل بعضه إلى درجة المحرمات القطعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: ((من لم يوازن ما في الفعل والتترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات . ويرى ذلك من الورع كمن يدع الجهاد مع الأمراء الظلمة ويرى ذلك ورعا ويدع الجمعة والجماعة خلف الأئمة الذين فيهم بدعة أو فجور ويرى ذلك من الورع))<sup>(١)</sup>.

وخطورة هذا الموقف أنه يُكرس الخصومة بين فصائل العمل الإسلامي، ويجعل ما يقع بينهم من التدابير والتهاجج قرابة من القربات، فكل منهم يتقرب إلى الله بهجر الآخر، ويتعبد الله بقطع ما بينه وبين أخيه، بل إن أخذ بالعزائم تقياً لحربه وأعدّ لقتاله...، وإن قعدت به همته اكتفى بالكراهية بالقلب وتحذير الناس من فتنته والتجافي عنه بكل وجه!!..

وتزداد الفتنة عندما تنتقل هذه الخصومة إلى دائرة المنابر العامة، ويندلع لهيبها في أوساط الأمة، وأدنى ما يمكن أن يترتب على ذلك هو الزهادة في العمل الإسلامي كله، الذي يفقد احترامه بسبب هذه المهاترات، ويبدو في صورة الفرق المتناحرة والشيع المتلاعنة... وإن مثل هذه الخصومة لا تعالج بالعواطف المجردة عن البراهين والأدلة، ولكن بمواجهة جذورها ومرتكزاتها الفكرية، وإشاعة العلم بمنهج أهل السنة في الإنكار على المخالف، ودرجات هذا الإنكار، وتفاوته زماناً ومكاناً تبعاً للنظر في المآلات، واعتباراً بالموازنة بين المصالح والمفاسد، وتطبيق ذلك على الواقع ونحوه،

(١) جامع الرسائل، لابن تيمية، (٢/٤١١).

وبدون هذا الطرح العلمي الجاد ستبقى أغلب محاولات الإصلاح صحيحة في واد أو نفخة في رماد!

ولعل موقف هؤلاء كان بمثابة رد فعل للدعوة إلى التجميع التي انطلقت مؤخراً تحض على جمع الكلمة ووحدة الصف والتجاوز مرحلي للخلافات، وعدم إثارة القضايا التي تحيي الفتن وتفجر الخصومات، من غير أن تضع حدوداً فاصلة بين ما تتعين إثارته باعتباره من قضايا أصول الدين التي لا يصح إسلام إلا بالتزامها، وبين ما يحسن تجاوزه من مسائل الاجتهاد التي لا ينكر فيها على المخالف، ودون أن تقرر موازنة دقيقة بين ما يفرضه الاتباع من الاستقامة على السنة وإشاعة العلم بها، وما يقتضيه واقع الفتنة من ضرورة اجتماع الكلمة ووحدة الصف والرفق بالمخالف تهيئاً لمعركة قد استنفرت فيها على هذا الدين من كل حذب وصبوب، وألقى فيها بكل ما يملك الكفر من عتاد وعدة<sup>(١)</sup>.

ويقول الصاوي: ((قال شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن معاملة من يقولون ببدعة خلق القرآن: "... فإذا لم يكن في هجرانه انزجار أحد ولا انتهاء أحد، بل بطلان كثير من الحسنات المأمور بها لم تكن هجرة مأمورا بها، كما ذكره أحمد عن أهل خراسان إذ ذاك: أنهم لم يكونوا يقوون بالجهمية. فإذا عجزوا عن إظهار العداوة لهم، سقط الأمر بفعل هذه الحسنة. وكان مداراتهم فيه دفع الضرر عن المؤمن الضعيف،

(١) جماعة المسلمين، د.صلاح الصاوي، (ص/٩٢ وما بعدها).

ولعله أن يكون فيه تأليف الفاجر القوى. وكذلك لما كثر القدر في أهل البصرة، فلو ترك رواية الحديث عنهم، لا ندرس العلم والسنن والآثار المحفوظة فيهم" (١).

**قلت:** إذا كان هذا فيمن يقولون ببدعة خلق القرآن مع ما استفاض عن أئمة السلف من القول بتكفير صاحبها، فكيف بما هو دون ذلك من البدع التي يصر كثير من الناس على جعلها سداً منيعاً يحول دون التفكير في جمع كلمة الدعاة على موقف واحد من مواجهة أعداء الله وهم يظنون أنهم بذلك يبالغون في الورع والتحوط، ويجتهدون في تتبع آثار السلف الصالح؟.

وإذا كان هذا المنهج الذي يذكره شيخ الإسلام هو المنهج المتبع في ظل دولة الإسلام التي تقوم على حراسة الدين ونصرة شرائعه، فكيف يعدل عنه في زمن غربة الإسلام وفتور الشرائع وتداعي الأمم كلها على أمة الإسلام؟!...

إننا لا ندعو قط إلى إقرار بدعة - معاذ الله - ولكننا ندعو ألا نجعل من تلبس بعض العاملين للإسلام في هذا العصر بشيء من البدع حائلاً يحول دون نصرتهم على ما عندهم من الحق، والتنسيق معهم لجمع الأمة على كلمة سواء من ناحية، كما ندعو إلى بذل النصيحة لهم والإنكار عليهم بما لا يؤدي إلى مفسدة أعظم من ناحية أخرى، فنعطي الاتباع حقه، ونعطي الاجتماع حقه، ونوازن بين كلا الأمرين توازناً ينصر السنة من ناحية

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية، (١٢٠/٢٨).

ويجمع كلمة الأمة من ناحية أخرى" (١).

ولذلك يجب أن نوازن بين التمسك بالسنة وهجر المتمسكين بالبدعة "المتفق على بدعتها" وبين المحافظة على الجماعة، وكلا الأمرين من مقاصد الشريعة.. فإذا كان إنكار المنكر يؤدي إلى تعطيله أو تقليله، فقد أمرت به الشريعة وأوجبته، وإذا أدى ذلك إلى منكر أعظم كتفرق كلمة المسلمين والصراع العنيف فيما بينهم فنهت عنه وحرمته، والقاعدة في ذلك ((درء المفسدة مقدّم على جلب المصلحة)) وقاعدة: ((العمل على تحقيق خير الخيرين، ودفع شر الشرين)).

• على السلفيين المتطرفين ترك الصراع والتحول إلى التهاور والتناصح والإنصاف.

واجب

على السلفيين المتطرفين المكفرين أن يعتدلوا، وأن يعدلوا عن الصراع مع الصوفيين إلى التهاور والتناصح والإنصاف، وليقتدوا بأئمتهم في هذه المسألة..

ولينظروا إلى إنصافهم، فقد تحدثت آنفاً عن رأي ابن تيمية في التصوف، وسأضيف إلى ذلك آراء أخرى لكبار أئمتهم.

٢- رأي الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤكداً أن الصوفية تعتنى بالعبادة

(١) جماعة المسلمين، د. صلاح الصاوي، (ص/١٠٥ وما بعدها).

وطلب الآخرة وأنها بهذا تمثل شرطاً من الإسلام: ((اعلم - أرشدك الله - : أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى الذي هو: العلم النافع، ودين الحق الذي هو: العمل الصالح؛ إذا كان من ينتسب إلى الدين: منهم من يتعاني بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعاني العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين))<sup>(١)</sup>.

وعن رأي دعوة وحركة الشيخ محمد عبد الوهاب في التصوف، يقول الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته التي تشرح دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومبادئها: ((ولا ننكر الطريقة الصوفية، وتنزيهه الباطن من رذائل المعاصي المتعلقة بالقلب والجوارح مهما استقام صاحبها على القانون الشرعي والمنهج القويم المرعي، إلا أننا لا نتكلف له تأويلاً في كلامه ولا في أفعاله، ولا نعول ونستعين ونستنصر ونتوكل في جميع أمورنا إلا على الله تعالى، وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير))<sup>(٢)</sup>.

### ٣- رأي الإمام ابن قيم الجوزية:

هو حسب رأينا من أئمة السلفية والتصوف النقي، البعيد عن البدع والشطحات، الملتزم بالكتاب والسنة، بل إذا أردنا أن نتعرف على التصوف الإسلامي الحقيقي فهو التصوف الذي شرحه ابن القيم في كتابه النافع {مدارج السالكين}، وكتابه {عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين}،

(١) مؤلفات الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فتاوى ومساائل، (ص/٣١).

(٢) الهدية السننية، تعليق الشيخ محمد رشيد رضا، (ص/٥٠).

وكتابه {حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح}، وكتابه {روضه المحبين ونزهة المشتاقين}..

يقول في مدارج السالكين: ((والتصوف: زاوية من زوايا السلوك الحقيقي، وتزكية النفس وتهذيبها، لتستعد لسيرها إلى صحبة الرفيق الأعلى، ومعية من تحبه. فإن المرء مع من أحب. كما قال سمنون: "ذهب المحبون بشرف الدنيا والآخرة فإن المرء مع من أحب."))<sup>(١)</sup>

ويقول عن منزلة العلم عند أهل التصوف:

((وهذه المنزلة إن لم تصحب السالك من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه: فسلوكه على غير طريق. وهو مقطوع عليه طريق الوصول، مسدود عليه سبل الهدى والفلاح، مغلقة عنه أبوابها. وهذا إجماع من الشيوخ العارفين. ولم ينه عن العلم إلا قطاع الطريق منهم، ونواب إبليس وشُرطه.

قال سيد الطائفة وشيخهم الجنيد بن محمد -رحمه الله-: "الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى آثار الرسول ﷺ."

وقال: "من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث، لا يقتدى به في هذا الأمر؛ لأن علمنا مقيد بالكتاب والسنة."

وقال: "مذهبنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة."

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (٢/٣١٧).

وقال أبو حفص -رحمه الله- : "من لم يزن أفعاله وأحواله في كل وقت بالكتاب والسنة، ولم يتهم خواطره، فلا يُعد في ديوان الرجال."

وقال أبو سليمان الداراني -رحمه الله- : "ربما يقع في قلبي النكتة من نكت القوم أياماً. فلا أقبل منه إلا بشاهدين عدلين: الكتاب والسنة." ...

وقال السري: "التصوف اسم لثلاثة معان: لا يطفى نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن في علم ينقضه عليه ظاهر الكتاب، ولا تحمله الكرامات على هتك أستار محارم الله." ... وقال أبو يزيد : "لو نظرتم إلى رجل أعطي من الكرامات إلى أن يرتفع في الهواء، فلا تغتروا به، حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة."

وقال أحمد بن أبي الحواري -رحمه الله- : "من عمل عملاً بلا اتباع سنة، فباطل عمله."

وقال أبو عثمان النيسابوري -رحمه الله- : "الصحبة مع الله: بحسن الأدب، ودوام الهيبة، والمراقبة. والصحبة مع الرسول: باتباع سنته، ولزوم ظاهر العلم. ومع أولياء الله: بالاحترام والخدمة. ومع الأهل: بحسن الخلق. ومع الإخوان: بدوام البشر ما لم يكن إثماً. ومع الجهال: بالدعاء لهم والرحمة." زاد غيره: "ومع الحافظين: بإكرامهما واحترامهما وإملائتهما ما يحمدانك عليه. ومع النفس: بالمخالفة. ومع الشيطان: بالعداوة."

وقال أبو عثمان أيضاً : "من أمر السنة على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالحكمة. ومن أمر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً، نطق بالبدعة. قال الله

تعالى: ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ [سورة النور: ٥٤]

وقال أبو الحسين النووي: " من رأيتموه يدّعي مع الله عَجَلًا حاله تخرجه عن حد العلم الشرعي فلا تقربوا منه. "... وقال ابن عطاء: "من أَلزم نفسه آداب السنة نور الله قلبه بنور المعرفة. ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه." (١)

ويقول عن المعرفة بالله تعالى ومحبته في كتابه {روضة المحبين ونزهة المشتاقين}:

((ومن عرف الله لم يكن شيء أحب إليه منه، ولم تبق له رغبة فيما سواه إلا فيما يقربه إليه، ويعينه على سفره إليه.

ومن علامات المعرفة: "الهيبة" فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازدادت هيئته له وخشيته إياه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [سورة فاطر: ٢٨] أي: العلماء به. وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أَنَا» (٢). ومن عرف الله صفا له العيش، وطابت له الحياة، وهابه كل شيء، وذهب عنه خوف المخلوقين، وأنس بالله، واستوحش من الناس، وأورثته المعرفة: الحياء من الله، والتعظيم له، والإجلال، والمراقبة، والمحبة، والتوكل عليه، والإنابة إليه، والرضا به، والتسليم لأمره... وقال يحيى بن معاذ: " يخرج العارف من الدنيا، ولا يقضي وطره من شيئين: بكأؤه على نفسه، وشوقه إلى ربه."

(١) المصدر السابق، (٢/ ٤٦٤ وما بعدها).

(٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٠] (ص/٢٧).

وقال بعضهم: " لا يكون العارف عارفاً حتى لو أعطي ملك سليمان لم يشغله عن الله طرفة عين."

وقيل: " العارف أنسَ بالله فاستوحش من غيره، وافتقر إلى الله فأغناه عن خلقه، وذَلَّ لله فأعزَّه في خلقه." (١) ...

ويتحدث ابن قيم الجوزية عن محبة الله تعالى، فيقول:

((وبالجملة: فحياة القلب مع الله لا حياة له بدون ذلك أبداً، ومتى واطأ اللسان القلب في ذكره، وواطأ القلب مراد حبيبه منه، واستقل له الكثير من قوله وعمله، واستكثر له القليل من بره ولطفه، وعانق الطاعة، وفارق المخالفة، وخرج عن كله لمحوبه، فلم يبقَ منه شيء، وامتلاً قلبه بتعظيمه وإجلاله وإيثار رضاه، وعزَّ عليه الصبر عنه، وعدم القرار دون ذكره، والرغبة إليه والاشتياق إلى لقائه، ولم يجد الأنس إلا بذكره وحفظ حدوده، وآثره على غيره، فهو المحب حقاً.

وقال الجنيد: " سمعت الحارث المحاسبي يقول: المحبة ميلك إلى الشيء بكُلِّيتك، ثم إيثارك له على نفسك وروحك ومالك، ثم موافقتك له سراً وجهراً، ثم علمك بتقصيرك في حبه."

وقيل: " المحبة نار في القلب تحرق ما سوى مراد الحبيب من محبه."

وقيل: " بل هي بذل المجهود في رضا الحبيب، ولا تصح إلا بالخروج عن رؤية المحبة إلى رؤية المحبوب." ... وقال عبد الله بن المبارك: " من أعطي شيئاً من المحبة ولم يعط مثله من الخشية فهو مخدوع."

(١) روضة المحبين، لابن قيم الجوزية، (ص/٤٠٦ وما بعدها).

وقال يحيى بن معاذ: " مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب. "

وقال أبو بكر الكتاني: " جرت مسألة في المحبة بمكة أيام الموسم، فتكلم الشيوخ فيها، وكان الجنيد أصغرهم سناً، فقالوا: "هات ما عندك يا عراقي. فأطرق رأسه، ودمعت عيناه، ثم قال: عبدٌ ذاهبٌ عن نفسه، متصلٌ بذكر ربه، قائمٌ بأداء حقوقه، ناظرٌ إليه بقلبه، أحرق قلبه أنوار هويته، وصفا شربه من كأس وده، فإن تكلمَ فبالله، وإن نطقَ فمن الله، وإن تحركَ فبأمر الله، وإن سكتَ فمع الله، فهو بالله ولله ومع الله. " فبكى الشيوخ وقالوا: " ما على هذا مزيد جبرك الله يا تاج العارفين. " ... فأجمع العارفون كلهم أن المحبة لا تصح إلا بالموافقة، حتى قال بعضهم: "حقيقة الحب موافقة المحبوب في مرضيه ومساخطه. "

واتفق القوم أن المحبة لا تصح إلا بتوحيد المحبوب...

وقال سمون: " ذهب المحبون لله بشرف الدنيا والآخرة. إن النبي ﷺ قال: « المرء مع من أحب »<sup>(١)</sup> فهم مع الله في الدنيا والآخرة. "

وقال يحيى بن معاذ: " ليس بصادق من ادعى محبته ثم لم يحفظ حدوده. " فاحبة شجرة في القلب عروقها الذل للمحبوب، وساقها معرفته، وأغصانها خشيته، وورقها الحياء منه، وثمرتها طاعته، ومادتها التي تسقيها

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦١٦٩] (ص/١١٨٩)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٦٤٠] (ص/١٠٥٩)، واللفظ للبخاري.

ذكره، فمتى خلا الحب عن شيء من ذلك كان ناقصاً))<sup>(١)</sup>.

ويتحدث ابن القيم عن مشهد العبودية، فيقول:

((وهو الغاية التي شمر إليها السالكون، وأمها القاصدون، ولحظ إليها العاملون. وهو مشهد العبودية والمحبة، والشوق إلى لقاءه، والابتهاج به، والفرح والسرور به، فتقرُّ به عينه، ويسكن إليه قلبه، وتطمئن إليه جوارحه، ويستولى ذكره على لسان محبه وقلبه. فتصير خطرات المحبة مكان خطرات المعصية. وإرادات التقرب إليه وإلى مرضاته. مكان إرادة معاصيه ومساخطه، وحركات اللسان والجوارح بالطاعات مكان حركاتها بالمعاصي. قد امتلأ قلبه من محبته، ولهج لسانه بذكره، وانقادت الجوارح لطاعته. فإن هذه الكسرة الخاصة لها تأثير عجيب في المحبة لا يُعبر عنه...))

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية -رضي الله عنه- يقول: "من أراد السعادة الأبدية فليزِم عتبة العبودية." ((<sup>(٢)</sup>.

وتحدث ابن قيم الجوزية عن بعض أحوال شيخه ابن تيمية فقال:

((وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس الله روحه- يقول: "إن في الدنيا جنةً مَنْ لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة."

وقال لي مرة: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنيتي وبستاني في صدري، إن

(١) روضة المحبين، لابن قيم الجوزية، (ص/٤٠٧ وما بعدها).

(٢) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (١/٤٣٠ وما بعدها).

رحت فهي معي لا تفارقتي. إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة."

وكان يقول في محبسه في القلعة: "لو بذلت ملء هذه القاعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة. أو قال: ما جزيتهم على ما تسبوا لي فيه من الخير. ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ما شاء الله."

وقال لي مرة: "المحبوس من حُبِسَ قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه." ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضْرِبْ بَيْنَهُمْ سُورًا لَّهُ بِابْءٍ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِ الْعَذَابِ﴾ [سورة الحديد] وعلم الله ما رأيت أحداً أطيب عيشاً منه قط مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلباً، وأسرههم نفساً، تلوح نضرة النعيم على وجهه. وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت منا الظنون، وضائق بنا الأرض، أتيناها فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحاً وقوةً و يقيناً وطمأنينةً فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها."

وكان بعض العارفين يقول: "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه

لجالدونا عليه بالسيوف."

وقال آخر: "مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟  
قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالى ومعرفته وذكره." (١).

وإني أسأل: إذا لم يكن هذا هو التصوف بعينه، فماذا يكون؟؟!!..

إذا لم يكن هذا الذوق الرفيع لحقائق المعرفة بالله، وصدق عبوديته، ومحبته  
ومراقبته، والتلذذ بالخضوع لمراده، هو التصوف بعينه، فماذا يكون؟؟!!..

أيها السلفيون المتطرفون: أليس هذا حال الصادقين من أهل  
التصوف؟؟!!..

فكيف تتجرؤون على تكفيرهم جميعاً بلا استثناء؟؟!!..

إن ابن تيمية كان منصفاً فلم يقبل كل التصوف مع ما نسب إليه من  
علات، ولم يرفض التصوف جملةً مع حسناته، ولكنه أثنى على الحسينين  
وبيّن خطأ المخطئين، وانتقد المغالين الذين يرفضون التصوف جملةً وتفصيلاً  
ولا يرون فيه حقاً ولا صواباً، وكذلك الذين يناصرون التصوف كما هو،  
ويغالون فيه، ولا يرون فيه أموراً خاطئة يجب تصحيحها وتجنبها.

وفي ذلك يقول:

((وما وقع في هؤلاء من فساد الاعتقاد، والأعمال أوجب إنكار طوائف

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن قيم الجوزية، (ص/٦٧).

لأصل طريقة المتصوفة بالكلية، حتى صار المنحرفون صنفين: صنف يقر بحقها وباطلها. وصنف ينكر حقها وباطلها، كما عليه طوائف من أهل الكلام والفقهاء. والصواب إنما هو الإقرار بما فيها، وفي غيرها من موافقة الكتاب، والسنة، والإنكار لما فيها وفي غيرها من مخالفة الكتاب والسنة<sup>(١)</sup>.

والمدقق يرى أن موقف ابن تيمية هذا هو موقف عام من كل طوائف العلماء، سواء أكانوا فقهاء أم مفسرين أم محدثين أم علماء الكلام أم متصوفين...

#### ٤- رأي إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني:

ورد في مقدمة الشيخ أبي محمد تميم الحنبلي، ما يتعلق بعقيدة الإمام أحمد بن حنبل وأصول مذهبه ومشربه، وفيها: (( وكان -الإمام أحمد- يعظّم الصوفية ويكرمهم، وقال: وقد سئل عنهم، وقيل له: يجلسون في المساجد؟، فقال: " العلم أجلسهم" ))<sup>(٢)</sup>.

وكان الإمام أحمد يتكلم على طريقة أهل المعرفة.. يقول ابن قيم الجوزية: ((قال الإمام أحمد بن حنبل: الزهد على ثلاثة أوجه:

الأول: ترك الحرام، وهو زهد العوام.

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٨٢/١٠).

(٢) انظر: موقف أئمة الحركة السلفية من التصوف والصوفية، عبد الحفيظ بن مالك عبد الحق المكي، (ص/٢٥٥).

والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص.

والثالث: ترك ما يشغل عن الله، وهو زهد العارفين<sup>(١)</sup>.

وكان يُعرِّفُ الرضا، فيقول: ((إن لكل شيءٍ كرمًا، وكرم القلوب الرضا عن الله ﷻ))<sup>(٢)</sup>.

وكان يُعرِّفُ المرید، فيقول: ((علامةُ المریدِ قطيعةُ كلِّ خليطٍ لا يريد ما تريد))<sup>(٣)</sup>.

وفي موضوع التبرك بآثار النبي ﷺ، يقول ولده عبد الله: ((رَأَيْتُ أَبِي يَأْخُذُ شَعْرَةً مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَيَضَعُهَا عَلَى فِيهِ يُقْبَلُهَا. وَأَحْسِبُ أَنِّي رَأَيْتُهُ يَضَعُهَا عَلَى عَيْنِهِ، وَيَعْمِسُهَا فِي الْمَاءِ وَيَشْرِبُهُ يَسْتَشْفِي بِهِ))<sup>(٤)</sup>.

وناقِل الرواية هو الإمام الذهبي وهو من أئمة السلفية.

ويتحدث الإمام أحمد عن الخلوة فيقول: ((رَأَيْتُ الْخُلُوةَ أَرْوَاحَ لِقَلْبِي))<sup>(٥)</sup>.

وفي موضوع الوجد: ((جاء في طبقات الحنابلة في ترجمة يحيى بن منده: حدثنا أبو حامد الخُلُقاني، قال: قلتُ لأحمد بن حنبل: "ما تقول في

(١) مدارج السالكين، لابن قيم الجوزية، (١٢/٢).

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساکر، (٣٠٨/٥).

(٣) طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، (١٧٧/١).

(٤) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٢٥٣/٢١).

(٥) المصدر السابق، (٢٦٩/٢١).

القصائد؟". فقال: "في مثل ماذا؟". قلت: مثل ما تقول:

إذا ما قال لي ربي      أما استحييتَ تعصيني  
وتُخفي الذنب من غيري      وبالعصيان تَأْتيني؟  
قال: فردَّ الباب، وجعل يقول:

إذا ما قال لي ربي      أما استحييتَ تعصيني  
وتُخفي الذنب من غيري      وبالعصيان تَأْتيني؟  
فخرَجْتُ، وتركته<sup>(١)</sup>.

وكان الإمام أحمد يعتقد بكرامات الأولياء، ويصف منكريها بالضلال.<sup>(٢)</sup>

وكان الإمام أحمد يثني ثناءً كبيراً على أئمة الصوفية..

- وأثنى على حاتم الأصم... فقد ورد في وفيات الأعيان: ((لما دخل حاتم بغداد في أيام أبي عبد الله أحمد بن حنبل اجتمع إليه أهل بغداد، فقالوا: "يا أبا عبد الرحمن، أنت رجلٌ أعجميٌّ، وليس يكلمك أحد إلا قطعته لأي معنى." فقال حاتم: "معي ثلاث خصال بها أظهر علي خصمي" قالوا: "أي شيء هي؟" قال: "أفرح إذا أصاب خصمي، وأحزن له إذا أخطأ، وأخفض نفسي لا تتجاهل عليه" فبلغ ذلك أحمد بن حنبل، فقال:

(١) ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب، (١/١٣٢).

(٢) اعتقاد الإمام المجلد ابن حنبل، لعبد الواحد التميمي، (ص/٣٠٦).

"سبحان الله، ما أعقله من رجل!". وقال أبو جعفر الهروي: "كنت مع حاتم كرة وقد أراد الحج، فلما وصل إلى بغداد قال: "يا أبا جعفر، أحبُّ أن ألقى أحمد بن حنبل" فسألنا عن منزله، ومضي بنا إليه، فطرقت عليه الباب، فلما خرج، قلت: "يا أبا عبد الله أخوك حاتم." قال: فسلم عليه ورحب به، وقال بعد بشاشته به: "أخبرني يا حاتم، فيم أخلص من الناس؟" قال: "يا أبا عبد الله في ثلاث خصال" قال: "وما هي؟" قال: "أن تعطيهم مالاً ولا تأخذ من مالهم شيئاً" قال: "وتقضي حقوقهم ولا تستقضي منهم حقاً" قال: "وتحمل مكروههم ولا تكره واحداً منهم على شيء" قال: "فأطرق أحمد ينيك بإصبعه الأرض، ثم رفع رأسه، وقال: "يا حاتم، إنهما لشديدة" فقال له حاتم: "وليتك تسلم، وليتك تسلم، وليتك تسلم" ((<sup>(١)</sup>).

- وأثنى الإمام أحمد على معروف الكرخي، فقد سأل عبد الله والده أحمد مرة: ((هل كان مع معروف الكرخي شيء من العلم؟! فقال لي: "يا بني، كان معه رأس العلم خشية الله تعالى" ((<sup>(٢)</sup>.

- وأثنى على أبي إسحاق النيسابوري حيث كان يغشاه ويحترمه ويجله، قال الإمام الذهبي: (( قال أحمد بن حنبل: إن كان ببغداد أحد من الأبدال، فأبو إسحاق النيسابوري. ))<sup>(٣)</sup>.

(١) وفيات الأعيان، لابن خلكان، (٢٧/٢).

(٢) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، (٢٦٦/١٥).

(٣) سير أعلام النبلاء، للذهبي، (١١/٢٥).

٥- رأي الإمام الذهبي، والإمام ابن كثير الدمشقي، والإمام ابن رجب الحنبلي، والإمام أبو الحسين ابن أبي يعلى: (١)

\* ذكر الإمام الحافظ ابن رجب الحنبلي في كتابه {الذيل على طبقات الحنابلة} عدداً كبيراً من العلماء الحنابلة السلفيين الصوفيين، وتحدث عن أحوالهم وعلمهم وكراماتهم وأثنى عليهم ثناءً عظماً..

\* وذكر الإمام الحافظ ابن كثير الدمشقي في كتابه {البداية والنهاية} أحوال أئمة التصوف من أهل العلم، ووصفهم بأحسن الأوصاف.. وتحدث عن عدد كبير منهم، وذكر عن كراماتهم وعلمهم وفضلهم وأثنى عليهم.

\* وذكر الإمام الذهبي في كتابه {تذكرة الحفاظ} أحوال المشايخ والعلماء من الحفاظ والمحدثين الذين اشتهروا إضافة إلى ذلك بالتصوف.. تحدث عن عدد كبير منهم وذكر أحوالهم وكراماتهم وعلمهم وفضلهم وأثنى عليهم بأحسن الأوصاف..

\* وذكر الإمام الحافظ القاضي أبو الحسين بن أبي يعلى في كتابه {طبقات الحنابلة} عدداً من أئمة التصوف الحنابلة أئمة السنة، وتحدث عن أحوالهم وكراماتهم وأثنى عليهم ثناءً عظماً..

هذه مواقف أئمة الحركة السلفية في عصور مختلفة، مواقف تتسم بالعدل والإنصاف والثناء الحسن على المحسنين من أهل التصوف والتنبيه على أخطاء المخطئين منهم، والتحذير من الغلو والتطرف بتكفيرهم وتفسيقهم.

(١) انظر: المصدر السابق ففيه تفاصيل واسعة عن هذا الموضوع.

## • دعوة إلى وقف الصراع من أجل المصلحة الكبرى للإسلام.

إنني أدعو إخواننا السلفيين والصوفيين إلى وقف الصراع الممقوت فيما بينهم، وإلى الاعتدال والإنصاف وعدم الغلو والتطرف والافتداء بأئمتهم، وعندها سنجد أنفسنا جميعاً أننا فريق واحد على خطأ أئمتنا الصوفيين والسلفيين الحقيقيين..

### دعوة

تعالوا نجتمع على صوفية وسلفية الإمام الجنيد، وأبي سليمان الداراني، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية وأمثالهم، كما مر معنا في هذا البحث. إنني لا أدعي العصمة لأحد من هؤلاء الأئمة أو لغيرهم، فكلُّ يُؤخَذُ منه ويُردُّ عليه، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم.. وأحسن الحسن أن تنتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفى... فلا صوفية ولا سلفية ولا وهابية ولا أشعرية ولا... بل سنية محمدية إسلامية، وكفى..

أيها المسلمون.. أيها الدعاة.. اتقوا الله تعالى، وارحموا هذه الأمة..

لا تتصارعوا على قشور وادخلوا إلى اللبِّ فستجدونه واحداً مترشحاً من القرآن الكريم والسنة الشريفة المطهرة، وأما القشور التي أصابتها البثور فدعوها إلى الأبد استجابة لله ورسوله ﷺ. قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [سورة الأنفال].



## المبحث السادس عشر الصراع داخل الجماعة الواحدة

### تعجب

إنك لتعجب أن يمتد الصراع إلى داخل الجماعة الواحدة!! وغالباً ما تسبب هذه الصراعات: الأهواء والمصالح، أو الحواجز النفسية بين الدعاة، أو تشكل تجمعات داخلية، أو ضعف خبرة في الإدارة والقيادة أو انحرافها .

\* فبعض القائمين على الجماعات، لا يقودون الجماعة بالمبادئ والقواعد الصحيحة في فنون الإدارة، بل يقودونها بأمزجتهم المتقلبة المتأثرة بطبائعهم الشخصية، وتراهم -سواء أعن قصد أم عن غفلة- يبنون مواقفهم وعلاقاتهم مع أفراد فريق العمل الدعوي الذي يحيط بهم، بما يتناسب مع مزاجهم وطبيعتهم..

- فبعضهم: لا يطبق أن يسمع نصيحة من ناصح.  
- وبعضهم: لا يطبق أن يسمع أن فلاناً له وجهة نظر مخالفة لوجهة نظره.. واستناداً إلى ذلك يؤسس لعلاقاته.. فيبعد هؤلاء الناصحين، ويحاربهم، ولا يطبق أن يراهم...، ويعزلهم وينعزل عنهم...  
ولذلك يتشكل ضمن الجماعة فريقان يتحول الخلاف بينهما حول الصحيح والخطأ في العمل، إلى صراع شخصي بينهما، ويسعى كل فريق منهما إلى الإساءة إلى الفريق الآخر..

\* وبعضهم يحاسب الآخرين على أبسط الأشياء، ويتخذ منهم مواقف سلبية، ويقومهم تقويماً سلبياً متطرفاً لا يتغير ولا يتبدل..  
وكما قال شكسبير: ((نحفر وننقش نقائصهم في الحجر، ولكننا على المياه نكتب فضائلهم)).

فهناك أشخاص لا يمتلكون الرغبة في الصفح، ويتركون مشاعر الكراهية والخصومة تتملكهم، ولا يهدؤون مهما حاولت مخلصاً أن تصلح ما بينك وبينهم.

إنهم غير ناضجين، ولا يمتلكون الحكمة، ولم تنزك نفوسهم، لتبلغ القدرة على الصفح.

إنهم يصرون على معاقبتك ومخاصمتك من أجل خطأ ارتكبته في أوهامهم، أو خطأ حقيقي وقعت فيه، ولو كان من غير قصد، بل يصرون على الاحتفاظ بهذه الأحاسيس المدمرة لصفائهم الداخلي ورفيهم الأخلاقي والسلوكي..

وإذا كان الوقت مناسباً دائماً للاعتذار، فإن الذي لا يقبل الاعتذار يخالف نهج القرآن الكريم حيث يقول تعالى: ﴿...وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ

وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧٤﴾ [سورة آل عمران].

\* وبعضهم لا يتخذ منهاجاً إيجابياً في معالجة بعض السلبيات - إن وجدت - وهذا من أبسط فنون الإدارة، بل تراه يتخذ أسلوب الإقصاء والإبعاد، ظناً منه أن هذا الأسلوب هو الأسهل في التخلص من هذه العوائق، وما علم أنه يؤسس بذلك إلى صراع خفي يجري تحت السطح لا يلبث أن يُضعف ويمزق الجماعة..

### تساؤلات

- أين هم قادة الدعوة الناجحون الذين يُقَوِّمون الناس حسب قدراتهم وإنجازاتهم ومواهبهم، وليس حسب وولائهم؟!..
- أين هم قادة الدعوة الناجحون، الذين يقَدِّمون أصحاب المواهب ولو كانوا مختلفين معهم في بعض الآراء، ولا يجد المداهنون حظوة لديهم..
- أين هم قادة الدعوة الناجحون، أصحاب الأبواب المفتوحة للجميع، والذين يستمعون للجميع، وليس لفئة دون أخرى حسب مزاجهم، ولا يتصرفون إلا بما تحتاجه المصلحة العامة، ولو على أنفسهم أو الأقرين؟!..
- أين هم قادة الدعوة الناجحون، الذين يستوعبون الناس، وينقلونهم درجة درجة من خصم إلى صديق إلى محب، أليس في مثل هذه الأمور تظهر مواهب القيادة الناجحة؟!..
- أين هم قادة الدعوة الذين يعتنون ويهتمون بالإنسان قبل البنيان، ويصرفون جُلَّ أوقاتهم لبناء علاقات متميزة مع العاملين معهم، ويستثمرون كل موهبة لتحقيق أكبر نجاح ممكن؟!..
- أين هم قادة الدعوة الناجحون الورعون، الذين لا يستغلون مواقعهم لمصالحهم الشخصية؟!..
- أين هم قادة الدعوة الناجحون الذين يعملون لنجاح الدعوة لا لنجاح زعامتهم، ويطحنون أوقاتهم وطاقاتهم ومصالحهم لتنجح الجماعة، ولا يطحنون الجماعة من أجل نجاح زعامتهم؟!..

\* كم يُبذل من الجهود العظيمة حتى تُبنى الجماعة، ويشتدُّ عودها،  
وتؤتي أكلها، وتظهر ثمارها؟!..!!  
ثم .. وأسفاه!!..!!  
تبدأ هذه الثمرات بالضعف والضياع؛ بسبب قيادة فاشلة، أو قيادة  
صاحبة مصالح!!..!!

ما أعظم الجريمة التي يرتكبها هؤلاء الغافلون عن الله تعالى، بتضييع جهود المجاهدين، وتضحية المضحين، وعذابات المخلصين!!..  
كيف سيواجهون الحساب بين يدي الله تعالى، عندما يُنادى:

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾ [سورة الصافات].

\* وهكذا تجد أن الصراعات داخل الجماعة، تتفاعل أحياناً لأتفه الأسباب؛ نتيجةً لمناكفات شخصية تستند إلى حماقات، أو ضعف تركية، أو طغيان النفوس بما في النفوس من عيوب..

\* وفي حالات نادرة يكون سبب الصراع داخل الجماعة وجود مخالفات شرعية كبيرة وتصرفات خطيرة تؤثر على سلامة الجماعة، وهي حالة يكون الوقوف فيها في وجه المخالفين واجباً شرعياً، بعد استنفاد محاولات الإصلاح..

وينطبق على الصراعات الداخلية ما ينطبق على الصراعات بين الجماعات، من حيث طرق المعالجة..



## المبحث السابع عشر إشكالية الفردية والجماعية

أعني بالفردية: قيادة العمل الإسلامي من خلال قيادة فردية أحادية غير شورية، هي وحدها تأمر وتنهى وتقرر كل صغيرة وكبيرة، وتحمل كامل المسؤوليات، وتتدخل في الاختصاصات كافة، ويرجع إليها الجميع في كافة شؤونهم..

وأعني بالجماعية: قيادة العمل الإسلامي من خلال قيادة جماعية تقوم على الشورى، والشورى فيها ملزمة، والقرارات تؤخذ بالأكثرية، والمسؤوليات فيها موزعة حسب الاختصاصات.

والحقيقة أن العمل الإسلامي في أغلب تجمعاته يقوم على الفردية، ويمتد هذا الموروث إلى عمق التاريخ، ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا استثناءات قليلة ظهرت في العصر الأخير.

### المطلب الأول: سلبيات القيادة الفردية.

١- يُلاحظ أن الفردية في العمل الإسلامي تأخذ صفة الأممية (مدى الحياة) بل قل إن شئت صفة الأبدية (التأبید)، فهي قيادة لها رسومها وهالاتها في الحياة وبعد الممات، ولا يوجد في القيادة الفردية مبدأ التداول،

فالزعيم يبقى زعيماً إلى الأبد..، وهذا يحرم العمل الإسلامي من التجديد والاستفادة من المواهب المختلفة.

٢- يغلب على نظام الفردية مبدأ (تقديس الأفراد)، لا تقديس المبدأ.  
٣- إن القيادة الفردية لا تقوم على أسس فكرية وإيديولوجية، والانقياد فيها ليس للأفكار بل للأفراد. وهذا يؤدي إلى أن الجماعات الإسلامية تكرر طروحاتها، وتعيد قراءة نفسها، وتستغرق في شخص القائد، بدل أن تستغرق في فكر الدعوة، والنتيجة أنها تراوح مكانها ثم تذبل وتضمّر، بذبول حياة القائد وطاقاته..

٤- إن القيادة الفردية لا تقوم على زعامة الخبراء بل تقوم على زعامة الخطباء حسب قدرتهم على الكلام في المجتمعات والأندية، وتقوم على أسلوب عاطفي مهيمن ومسيطر، وليس بالضرورة على برامج وخطط واستراتيجيات.

٥- في القيادة الفردية لا يأتي القائد عبر انتخابات تحدد مواصفات القائد المطلوبة، بل تولد الجماعة مع قائدها أياً كان وصفه ورسمه.

٦- في القيادة الفردية تتمحور الدعوة حول القائد وليس حول المبدأ، والحديث يتركز دائماً على القائد الملهم، الذي يُضفى عليه من الأوصاف ما لم يوصف به الأولياء المقربون.

٧- في القيادة الفردية يتقدم الحديث عن القائد، ويتأخر الحديث عن النبي ﷺ، فالرابطة الفكرية والروحية والشخصية مع القائد وليس مع النبي ﷺ. فدور النبي ﷺ في الجماعة ليس لصيقاً وشخصياً، بل هو في المشهد دور ثانوي، وأما دور البطولة فللقائد الملهم.

٨- في القيادة الفردية طاعة مفروضة للقائد والأمير، تُفصّل على مقاسها نصوص الكتاب والسنة، وكأنها ولاية عظمى وبيعة عامة، وعلى هذا يتم التعامل مع الأمير على أنه ولي الأمر وخليفة النبي ﷺ، وأن الجماعة هي جماعة المسلمين، ومن خرج عن طاعة الأمير وفارق جماعته، فمات، مات ميتة جاهلية!!.

٩- وفي القيادة الفردية يمكن أن يستبد القائد في قيادته، ويستخدم الإرهاب الفكري والروحي في إخضاع جماعته، بل يمكنه أن يحوّلها إلى إقطاعية خاصة به وبأهله، يستأثر بها في حياته ويورثها لمن يشاء من أهله بعد موته<sup>(١)</sup>.

١٠- وفي القيادة الفردية الإسلامية تنتشر -أحياناً- أوهام حول قدرات القائد وصلته بعالم الغيب، مما يُعطيه قداسة خاصة، وسلطاناً دائماً يعبر عن واقع لا يقبل النقاش أو النقد، أو قل إنه معصوم لا يُخطئ بسبب صلته بعالم الغيب والأرواح!!..

ولعل بعض القراء يظنون أنني أبالغ في هذا الطرح..

ولكن الواقع يقول: إن هذا موجود، ولقد كنت أسمع من أحدهم وهو يتحدث أمام جمع كبير من الناس فيؤكد أن أميره لا يُخطئ. وسمعت من أمير يُخبر أتباعه بأنه يعلم ما في صدورهم جميعاً بأن واحداً، أي أنه عليم بما في الصدور!!..

(١) يحدث أحياناً أن يكون ابن الداعي المري، هو الأكثر أخلاقاً وورعاً وكفاءة وأهلية لقيادة الجماعة من بعده، وهذه حالة استثنائية..

## المطلب الثاني: إيجابيات القيادة الفردية.

ومن جهة أخرى، فمن الإنصاف أن نقول: إن القيادة الفردية ليست تحمل بالضرورة كل هذه العلل جملة واحدة، فهناك قيادات فردية تتصف بالعلم والورع والتواضع، وتبقى العلل في العمل الفردي نسبية تزيد وتنقص من تجمع إلى تجمع آخر.

ومن الإنصاف أيضاً أن نؤكد بأن للعمل الفردي إيجابيات يمتاز بها..  
ومن ذلك:

- ١- التأثير القوي للأمر في الأتباع إذا توافرت فيه شروط القدوة الصالحة.
- ٢- وأيضاً الشعور بنوع من العاطفة الأبوية (رابطة عاطفية) إذا كان القائد لصيقاً بإخوانه متابعاً لأحوالهم.
- ٣- كما تمتاز القيادة الفردية بمتابعة العمل التربوي في أفراد الجماعة، إذا كان الأمر مؤهلاً في التربية.
- ٤- وتمتاز القيادة الفردية -إذا امتلكت المواهب- بقدرتها على جذب البسطاء والعوام، وإثارة الجماهير، وإلهاب حماسهم، وتأجيج عواطفهم، ولكنها - في المقابل - تجد صعوبة في جذب الخبراء والنخب الفكرية والعلمية والتخصصية بأعداد كبيرة.

## المطلب الثالث: لا بد من العمل المؤسسي.

إن القيادة الفردية بوصفها الإيجابي كانت مقبولة نسبياً في المجتمعات القديمة المحدودة، أما في مجتمعاتنا المعاصرة التي تسيطر عليها الثورة المعرفية الكبيرة، والإمكانات العظيمة للتواصل والاتصال وعولمة المعرفة، والاتساع

المذهل في القدرة على قيادة ملايين البشر على امتداد الكرة الأرضية... فلم يعد ممكناً قيادة العمل الإسلامي على نحو فردي تقليدي. بل لا بد من اتباع نهج العمل الجماعي المؤسسي الذي يعتمد على هيكلية تتوزع فيها الاختصاصات، ويقودها خبراء متخصصون، وتجمعهم قيادة جماعية شورية ملزمة.

### المطلب الرابع: إيجابيات العمل الجماعي.

١- في القيادة الجماعية يتم تداول القيادة، وتحديد حيويتها على مُدَدٍ محددة، وعن طريق الانتخاب بالأكثرية، وهذا الأسلوب يجنب العمل الإسلامي وصول قيادات متسلطة غير مؤهلة كما يجنبه الركود والجمود والتحنط.

٢- وفي القيادة الجماعية يتم ترسيخ مبدأ المناقشة والحوار، والمحاسبة لكل المسؤولين عن الأعمال..، فيتمحّص الخطأ من الصواب، وتتفق العقول عن أفكار خصبة مفيدة.

٣- وفي القيادة الجماعية يعتمد العمل على التخطيط والبرمجة والتنظيم والتقويم، فلا مكان للعشوائية ولا الغوغائية وردات فعل وأعمال غير محسوبة.

٤- وفي القيادة الجماعية يعتمد العمل على مبدأ المراجعة والتصويب للمواقف والأعمال كافة، وإصلاحها باستمرار، وهذا يعطي العمل صفة الحيوية والتجديد وتحقيق الإنجازات.

٥- وفي القيادة الجماعية يعتمد العمل على مناهج فكرية ومعرفية وتربوية وفق خطط مدروسة مسبقة.

٦- وفي القيادة الجماعية يتم التركيز على التدريب والإعداد والتأهيل، واستنبات قيادات مؤهلة باستمرار، وتهيئة المناخ لإنتاج قيادات فكرية

متميزة، توجه وتحرك العقول والطاقت، وتناقش المشكلات كافة، وتضع تصورات للحلول، وترد على الشبهات، وتواجه الأفكار المعادية..

٧- وفي القيادة الجماعية يقوم العمل على الشورى الملزمة، وهذا يغرس في الجماعة معاني الإحساس بالذات، والدور الفاعل، وجدوى العمل في إطار الجماعة، كما يمنح أعضاء الجماعة الشعور بالثقة والقوة والأمل بتحقيق الأهداف المنشودة، فيزيد هذا من حماسهم، وقدرتهم على التضحية، وقوة ارتباطهم بالجماعة<sup>(١)</sup>.

### المطلب الخامس: سلبيات في العمل الجماعي.

ويبقى هناك ثغرات لم يستطع العمل الإسلامي أن يجد لها حلاً مقنعاً حتى الآن، ومنها:

١- كيف نستفيد على نحو فعال من خبرة القيادات التاريخية في حال اعتماد مبدأ التداول؟!..

٢- كيف نوفق بين العمل التربوي والتزكوي الذي لا يحتاج إلى تداول إلا عند الضرورات الملزمة، (مرض، خرف، عجز...)، وبين قيادات العمل الدعوي التداولية..

علماً بأنه في الطريقة التقليدية يكون المرابي دائماً مادام على قيد الحياة... وهو القائد..



(١) انظر: موضوع الشورى في كتاب خصائص الرسالة الإسلامية، للمؤلف.

## المبحث الثامن عشر إشكالية الطاعة ومفهوم الجماعة

### المطلب الأول: المغالاة بفرض الطاعة.

يعاني العمل الإسلامي في مفهوم الطاعة من الإفراط والتفريط..

#### ● إفراط:

فبعض الدعاة يُغالون في فرض الطاعة على أتباعهم لدرجة يجعلون منها طاعة عمياء، فيعطلون عقول الناس وقدراتهم على محاكمة الأمور وتمحيصها، مما يؤدي إلى إنتاج جيل سلبى ضعيف لا يقدر على شيء.. وهذا النوع من الطاعة السلبية تدفع الناس إلى تنفيذ الأعمال دون قناعة ومن غير تفكير وفهم، مما يؤدي إلى إنتاج أعمال واهنة ناقصة.

#### حقيقة

إن فقدان الأخ لوعيه وشخصيته ومشاركته الفعالة في اتخاذ القرارات، وتحولته إلى آلة صماء (نفذ ولا تفكر ولا تعترض) يؤدي إلى توهين صلته بالجماعة، وإلى تساقط الكثير من أبنائها وبخاصة الموهوبون والناهبون.

## المطلب الثاني: التفريط بالطاعة.

### ● تفريط:

وهناك أتباع يفرطون ويستهترون بالطاعة، ويتعاملون مع الطاعة بشيء من التمرد والرفض أو بكثير منه، لدرجة أن أوقاتهم تُستهلك بالمجادلة والمناكفة، فلا ينجزون عملاً، ويجبطون من حولهم، ويكاد ينطبق عليهم قول الله تعالى في المنافقين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضْعُوا خَلْقًا لَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة التوبة].

## المطلب الثالث: الضوابط الشرعية للطاعة.

● لذلك فإن مفهوم الطاعة يجب أن ينضبط بضوابط الشرع، وأن تتجلى فيه الحكمة بوضعه في مواضعه فكراً وفهماً وعملاً..

وسنبين ذلك كما يلي:

يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة التوبة].

ويقول النبي ﷺ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات، مات ميتة جاهلية»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٨٤٨] (ص/٧٧٢).

ويقول النبي ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنْ اسْتَعْمَلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيَّةٌ»<sup>(١)</sup>.

وقد ورد في هذه النصوص عبارات (الطاعة، أولي الأمر، الجماعة) .

**فالطاعة:** هي الانقياد لما يأمر به وينهى عنه ولي الأمر، بما يوافق الشرع.

**وولي الأمر:** هو المتولي لأمر المسلمين وقائدهم (الذي يمتلك الأهلية لذلك)، في بلد إسلامي أو في مجموعة متحدة من البلدان الإسلامية، ومن له ولاية شرعية عليهم، عن طريق الانتخاب أو البيعة، فهو يملك صلاحية الأمر والنهي شرعاً وله حق الإلزام بقوة السلطان، فإذا لم يكن هناك إمام بشروطه، فأولو الأمر: هم أهل الحل والعقد، يضمهم مجلس مؤلف من العلماء والخبراء وقادة الدعوة ووجوه الناس، الملزمين بالكتاب والسنة.. وكذلك كل أمير يُكلفه ولي الأمر بعمل معين لصالح المسلمين، فهو ولي أمرهم في اختصاصه.

**الجماعة:** هي السواد الأعظم من المسلمين الذين انتخبوا وبايعوا ولي الأمر، واجتمعوا عليه.

● واستناداً على ما سبق، فلا يحق لأي "تجمع إسلامي" الادعاء أنه يمثل جماعة المسلمين، ويُطالب بتطبيق النصوص الواردة بحق الجماعة على جماعته.. ولا يحق لأي داعٍ يقود تجمعاً إسلامياً أن يدعي أنه ولي أمر المسلمين،

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٦٩٣] (ص/١٤٧).

الذي وردت به النصوص في القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويُطالب بتطبيقها عليه.

## إضاءة

إن وقوع بعض الدعاة وبعض الجماعات الإسلامية في هذا الخطأ الخطير أدى إلى نتائج كارثية في العمل الإسلامي. فمنهم من تجرأ على تكفير المسلمين، ومنهم من تجرأ على الحكم على الذي فارق جماعته بأنه مات ميتة جاهلية..

- وبالمقابل، هل يمكن لأي تجمع دعوي أو مؤسسة إسلامية أن يحقق النجاح بدون انضباط ولا طاعة؟! والجواب بدهاة: أنه كلما ازداد الانضباط، وكلما ترسخت مفاهيم الطاعة، وكلما ازداد الانسجام بين الداعي القائد وإخوانه وأتباعه، ازدادت فرص النجاح والإبداع الجماعي...

## واجب

تجب طاعة قائد الدعوة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، مع الإيثار على النفس، بما يوافق الشرع.

يقول النبي ﷺ: « عليك السمع والطاعة في عسرِكَ ويسرِكَ، ومنشطِكَ ومكرهِكَ، وأثرة عليك»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٨٣٦] (ص/٧٦٨).

- ولكن يبقى أن الطاعة يجب أن تكون بالمعروف، ومنضبطة بضوابط الشرع، فإن خرجت عن هذا الشرط فلا سمع ولا طاعة..

#### حقيقة

إن الطاعة مقيدة بطاعة الله ورسوله ﷺ وتابعة لها، كما وردت في الآية السابقة [سورة التوبة: ٥٩]، وطاعة الله ورسوله أصل، وطاعة الأمير فرع لها ومنضبطة بها وليست مطلقة. فكل ما خالف الشرع لا طاعة فيه.

يقول النبي ﷺ: «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»<sup>(١)</sup>.

ولذلك وافق النبي ﷺ أصحابه الذين تمردوا على أميرهم الذي أمره عليهم، عندما طلب منهم دخول نار أوقدها لهم.

فقد روى سيدنا علي بن أبي طالب -كرم الله وجهه-، قال: إن رسول الله ﷺ بعث جيشاً، وأمر عليهم رجلاً، فأوقد ناراً، وقال: "ادخلوها" فأراد الناس أن يدخلوها. وقال الآخرون: "إنا قد فررنا منها." فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: «لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة.» وقال للآخرين قولاً حسناً، وقال: «لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٩٥٥] (ص/٥٦٧)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٨٣٩] (ص/٧٦٨)، واللفظ لمسلم.  
 (٢) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٤٣٤٠] (ص/٨٢٠)، ومسلم في "صحيحه" برقم [١٨٤٠] (ص/٧٦٨)، واللفظ لمسلم.

● وطاعة أمر من يأمر بتحريم حلال أو تحليل حرام مع علمه بالمخالفة واعتقاده فيها هي إشراك بالله تعالى.

يقول عدي بن حاتم: أتيت النبي ﷺ وفي عنقي صليب من ذهب. فقال ﷺ: « يا عدي، اطرح هذا الوثن من عنقك » فطرحته ... فانتهيت إليه وهو يقرأ سورة براءة، فقرأ هذه الآية: ﴿ اَتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾ حتى فرغ منها... فقلت: (( إنا لسنا نعبدهم )) فقال ﷺ: « أليس يجرمون ما أحل الله؛ فتحرّمونه ويحلون ما حرّم الله؛ فتستحلّونه؟ » قلت: بلى ... قال ﷺ: « فتلك عبادتهم »<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه الطبراني في " معجمه الكبير " برقم [٢١٨] (٩٢/١٧)، وهو صحيح.

## المبحث التاسع عشر إشكالية الولاء والوفاء

### المطلب الأول: خلط بين مفهومي الولاء والوفاء.

هناك خلطٌ خطيرٌ بين مفهوم الولاء والوفاء في الجماعات الإسلامية..

#### أسئلة

- هل يكون الولاء للجماعة أو الحزب، أم الوفاء؟!!
- هل يكون الولاء للشيخ أو المري أو الداعي أم الوفاء؟!!
- هل يكون الولاء لأي جهة (جماعات أو أحزاب أو أشخاص...) لهم مواقف معادية من الله ورسوله ورسالته، أم البراءة؟!!

يقول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة المجادلة].

ويقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ

وَعَشِيرَتِكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا  
أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ  
اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ [سورة التوبة]

ويقول الله تعالى: ﴿ إِنَّا وَإِلَيْكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ  
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ  
الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا  
الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُفْرَكُمْ

[سورة المائدة]

ويقول الله تعالى: ﴿ لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ  
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاتَ وَيَحْذَرِكُمْ  
اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ [سورة آل عمران].

ويقول الله تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ  
الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا  
﴿١٣٩﴾ [سورة النساء].

ويقول الله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ  
قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُؤُكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ  
الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ  
وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ [سورة الممتحنة].

ويقول النبي ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه: «أي عرى الإيمان - أظنّه - قال أوثق؟»  
قال: "الله ورسوله أعلم". قال: «الموالاتة في الله والمعاداة في الله والحبُّ  
في الله والبغضُ في الله»<sup>(١)</sup>.

#### واجب

يجب على الجماعات الإسلامية أن تربي أتباعها على عقيدة الولاء لله  
ورسوله ورسالته ولجماعة المسلمين، والبراء من أعدائه بكل ألوانهم  
وأصنافهم وأفكارهم ومناهجهم وسلوكهم وانحرافاتهم..

### المطلب الثاني: علامات الولاء للإسلام.

- ١- أن يحب المرء الله تعالى ورسوله ورسالته وجماعة المسلمين،  
وينصرهم ويكره ويعادي من عاداهم، قلبياً وعملياً.
- ٢- أن يلتزم سلوكاً وعملاً واعتقاداً بالإسلام، ويبرأ من كل فكر أو  
منهج أو تنظيم يعاديه.
- ٣- أن يُوالي الملتزمين بالكتاب والسنة، ويبرأ من الفرق الضالة، القديمة  
مثل: (الخوارج، والقدرية، والمرجئة...) والحديثة، مثل: (القاديانية  
الأحمدية، والبهائية، وسائر التيارات الفكرية مثل: الشيوعية، والعلمانية  
والليبرالية الموالية للغرب والمعادية للإسلام...).

(١) أخرجه الطبراني في "معجمه الكبير" برقم [١١٥٣٧] (٢١٥/١١)، وهو حسن.

## المطلب الثالث: البراءة لا تعني عدم البر والقسط مع غير المسلمين.

● إن هذه البراءة براءة اعتقادية لا تمنع الدعاة من محاورة ومجادلة غير الملتزمين إسلامياً، وكذلك الكافرين، وأعداء الدين والتي هي أحسن كما أمر الله تعالى، لعلهم أن يطلعوا على حقيقة الإسلام فيهدتوا. كما لا تمنعهم أن يبروهم ويقسطوا إليهم، ويؤدوا لهم حقوقهم الإنسانية، فالإسلام دين الوسطية والرفافة والسماحة..

فلا يصح إرغامهم على الدخول في الإسلام، فلا إكراه في الدين..

ويجب أن نفي بعهودنا معهم إذا أوفوا بعهودهم..

ويجب الحفاظ على حرمة دماء وأموال وأعراض وكرامات

المواطنين، وكذلك المستأمنين الزائرين لبلاد المسلمين..

ويجب العدل مع أعدائنا<sup>(١)</sup>، مع أننا نبغض عداوتهم لنا.. يقول الله

تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَٰٓيَ ۖ أَلَّا تَعَدِلُوْا ۗ أَعَدِلُوْا هُوَ أَقْرَبُ

لِلتَّقْوَىٰ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ [سورة المائدة]

### إضاءة

لا يصح ولاء لجماعة أو لحزب أو لأفراد من قادة الدعوة، يتخذ ذريعة لقطع الولاء عن جماعة المسلمين والعمل الإسلامي العام، فالولاء للجماعة أو الحزب أو أفرادها وقادتها هو وسيلة وفرع وتابع للولاء للإسلام وللجماعة المسلمين والعمل الإسلامي العام. فإن تعارضا فالولاء للأصل.

(١) انظر: بحث رحمته ﷺ بغير المسلمين، من كتاب موسوعة فقه الدعوة والحياة في سيرة وشمائل وحقوق سيدنا محمد ﷺ، الجزء الثاني، للمؤلف.

## والوسيلة المُفضية إلى الحرام محرمة.

والوسيلة المُفضية إلى الحرام هنا: الولاء لجماعة أو لحزب أو لأفراد من قادة الدعوة، وعدم الولاء لجماعة المسلمين والعمل الإسلامي العام.

## والوسيلة المُفضية إلى الواجب واجبة.

والوسيلة المُفضية إلى الواجب هنا: الوفاء لجماعة أو لحزب أو لأفراد من قادة الدعوة مشروطاً بالولاء لجماعة المسلمين والعمل الإسلامي العام.

قاعدة الولاء للإسلام، والوفاء للجماعة.

● والانتساب إلى جماعة إسلامية، أو إلى معلم أو داعية أو شيخ مربٍّ، هو أمر جيد ومطلوب.. لأن المسلم بحاجة إلى معلم يعلمه علوم الإسلام، ومربٍّ يربيه على آداب الإسلام، ومُزكِّ يزكي باطنه وظاهره.

ولكن هذا الانتساب يجب ألا يتعارض مع عقيدة الولاء والبراء، ويجب أن يكون منضبطاً بضوابط الشرع، والافتداء برسول الله ﷺ .

يقول الشيخ أحمد الرفاعي في البرهان: ((كل الآداب منحصرة في متابعة النبي ﷺ قولاً وفعلاً وحالاً وخلُقا، فالصوفي أدبه يدل على مقامه، زِنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع، يُعلم لديكم ثقل ميزانه وخفته))<sup>(١)</sup>.

(١) البرهان المؤيد، (ص/٢١).

ويقول الإمام الجنيد: ((الطُّرُق كلها مسدودة على الخلق إلا من اقتفى أثر الرسول ﷺ، واتبع سنته ولزم طريقته، فإن طُرُقَ الخيرات كلها مفتوحة عليه))<sup>(١)</sup>.

ويقول الشيخ عبد القادر الجيلاني: ((كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة، طُرُّ إلى الحق عز وجل بجناحي الكتاب والسنة، وادخل عليه ويدك في يد الرسول ﷺ))<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن تيمية: ((وأما انتساب الطائفة إلى شيخ معين فلا ريب أن الناس يحتاجون من يتلقون عنه الإيمان والقرآن كما تلقى الصحابة ذلك عن النبي وتلقاه عنهم التابعون وبذلك يحصل اتباع السابقين الأولين بإحسان، فكما أن المرء له من يعلمه القرآن ونحوه فكذلك له من يعلمه الدين الباطن والظاهر... وليس لأحد أن ينتسب إلى شيخ يوالي على متابعتة ويعادي على ذلك، بل عليه أن يوالي كل مَنْ كان من أهل الإيمان وَمَنْ عَرِفَ منه التقوى من جميع الشيوخ وغيرهم))<sup>(٣)</sup>.



(١) طبقات الصوفية، للسلمي (ص/١٥٩).

(٢) حقائق عن التصوف، للشيخ عبد القادر عيسى (ص/٤٨٣).

(٣) مجموع الفتاوى، لابن تيمية. (١١/٥١١ وما بعدها).

## المبحث العشرون افتقاد المرجعية العامة

يقول الشاعر:

وما شكوايَ أو شكواكَ إلا لفوضى في الجامع وانقسام  
ترى كلاً له أملٌ وسعيٌ وما لاثنينِ حولك من وئامٍ  
لكلِّ جماعةٍ فينا إمامٌ ولكنَّ الجميعَ بلا إمامٍ

### المطلب الأول: المعاناة بسبب فقدان المرجعية.

تعاني الأمة الإسلامية على نحو عام، والعمل الإسلامي على نحو خاص، من افتقاد مرجعية عليا، يرجع إليها الجميع في شؤونهم الإسلامية، ويلتزمون بقراراتها، وبما تضعه من خطط وبرامج واستراتيجيات..

وينتج عن هذه العلة: التخبط في القرارات والتوجهات، والتفرق، والتشردم، بل والتصارع بين مكونات العمل الإسلامي، ومن ثمّ الفشل وتخلف وضعف الأمة الإسلامية.

#### حقيقة

إن فقدان المرجعية قد جلبَ للأمة الكوارث والويلات، فتمزَّق العمل الإسلامي وتشتت هائماً على وجهه، تتقاذفه المتناقضات بين الإفراط والتفريط، والغلو بين الولاء والجفاء، والتطرف بين العنف والتكفير وسفك الدماء، وبين التفلُّت والتنازل والذوبان!!..

ولا مخرج من أزمات العمل الإسلامي إلا بولادة مرجعية عليا ما زالت غائبة منذ قرون بعيدة...

## المطلب الثاني: هل من الممكن تكوين مرجعية عليا؟

لقد ذكرنا سابقاً أنه يمكن تكوين مرجعية عليا على مستوى كل بلد من بلدان العالم الإسلامي، إذا توافرت النيات الصالحة، والتضحية، والإخلاص، وشروط أخرى، ومنها:

١- يجب أن تتشكل هذه المرجعية العليا من قادة الدعوة المتبوعين، ونخبة العلماء العاملين، وكبار المفكرين الإسلاميين، وقادة العمل السياسي الإسلامي، والخبراء المتخصصين.

٢- يتم انتخاب مجلس أعلى فرعي للشؤون الإسلامية على مستوى الولايات والمحافظات من قبل المذكورين أعلاه، ثم تنتخب المجالس الفرعية ممثلها لمجلس أعلى مركزي على مستوى البلدان، وتقوم الأقليات الإسلامية في بلدانها بانتخاب مجالس مركزية على مستوى بلدانها.

٣- يجب أن تخضع قيادة مؤسسة المرجعية، وقيادة إدارتها المتخصصة لمبدأ التداول عبر الانتخابات لولاية محددة السنوات، ولبادئ المساءلة، والنقاش، والحوار، على أسس موضوعية وشفافة.

٤- يجب أن تكون هذه المرجعية مستقلة استقلالاً تاماً عن الحكومات ومؤسسات الدول، ولا سلطان عليها إلا سلطان الإسلام ومقاصده في تحقيق مصالح الأمة.

٥- يجب أن يكون لهذه المرجعية موارد مالية مستقلة، من مشاريع

وقفية كبرى، خاصة بها، لا تخضع إلا لسلطانها، تُجمع من أغنياء المسلمين، وتكون حرة وغير مشروطة.

٦- يجب على جميع قادة مكونات المرجعية نشر ثقافة الالتزام بقرارات المرجعية، وتدريب وتأهيل أتباعهم على السمع والطاعة، باعتبار أن المرجعية العليا تمثل "ولي الأمر" الذي يجب أن يُطاع بالمعروف، بسبب عدم وجود إمام للمسلمين بالشروط المعتبرة شرعاً.

٧- وعندما تتشكل هذه المرجعيات العليا، في عدد من بلدان العالم الإسلامي، تقوم بانتخاب مرجعية عالمية للمسلمين، تنضم إليها لاحقاً جميع المرجعيات الناشئة، ويختار لها تسمية مناسبة..

ولعلَّ البعض يقول: إنكم تحلمون..

والحقيقة: أن هذا الحلم ليس بمستحيل في حال قيام عدد من القيادات المؤثرة على الساحة الإسلامية يدعمها مجموعة مخلصه من أغنياء المسلمين بتبني هذا المشروع والبدء به، ثم استقطاب باقي المكونات إليه بالتدرج، استجابةً لله ورسوله ﷺ.

يقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٢٤].





## المبحث الحادي والعشرون علة الغلو والتطرف

### المطلب الأول: فئات متطرفة.

لقد ابتلي العمل الإسلامي بفئات متطرفة لا يرون مع وجودهم وجوداً لأحد في العمل الإسلامي، يتطرفون بأرائهم، وينكرون الآراء الأخرى مهما استندت إلى دليل، ويُعدّون اجتهادهم ديناً لازماً للجميع، ويزعمون أن اجتهاد غيرهم ضلالٌ وانحرافٌ عن الإسلام. ويرون أنهم وحدهم على الحق وأن غيرهم على الباطل، ويوزعون على مخالفينهم تُهم الزيغ والضلال والابتداع والجهل والفسوق.

ويتعاملون مع اجتهاداتهم وآرائهم كما يتعاملون مع النصوص الإلهية والنبوية وكأنها وحي يوحى، لا تقبل النقض لا من بين يديها ولا من خلفها. ويقدمون أحياناً آراء شاذة عجبية يخالفون فيها السلف والخلف، ويريدون إلزام المسلمين بما لا يُلزمهم به الله تعالى ولا رسوله..، ويفتعلون الصراعات مع المسلمين في الفروع.

#### تنبيه

كم من فتنةٍ اشتعلت في المساجد من أجل لحية الإمام وثوبه، أو الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، أو الذكر الجماعي بعد الصلاة، أو دعاء القنوت بعد صلاة الفجر، أو عدد ركعات التراويح في رمضان..

وكم من صراعٍ عنيفٍ فجروه في المساجد من أجل جلوس بعض المصلين المرضى على الكراسي بدلاً من جلوسهم على الأرض، أو إقامة احتفال في المسجد، أو عرض فيلم وثائقي أو تعليمي.. ويشنون حرباً مستعرة على التصوف وأهله وعلى الأشاعرة وفيهما كبار أئمة المسلمين!!..

ويسيطر على أساليبهم في العمل التطرف والقسوة بخلاف ما أمر الله تعالى به من الحكمة واللين والرفق ومجادلة المخالفين بالتي هي أحسن، وترك الفظاظة والغلاظة، وكان بعضهم لم يقرأ القرآن، ولم يستمع إلى توجيه الله تعالى وأمره لسيدنا موسى وسيدنا هارون -عليهما السلام- بأن يقولوا لفرعون قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى.

### المطلب الثاني: فئات تكفيرية.

وأخطر من هذا عندما تظهر جماعات تكفيرية تسمي نفسها بلا حياء جماعة التكفير أو بمسميات أخرى تقوم بتكفير المجتمعات الإسلامية بلا استثناء وتصفها بأنها مجتمعات جاهلية كافرة، فيعلنون الجهاد على كل من لم يلتحق بهم ويبيع أميرهم ويهاجر إليهم من هذه المجتمعات، ويستسهلون سفك دماء الناس، واستباحة حرماهم وأموالهم، وهم بذلك يُمارسون إرهاباً مادياً وفكرياً.

وبعضهم يُكفرون الحكام لأنهم لم يحكموا بما أنزل الله تعالى، ويكفرون الناس لأنهم يتعاملون مع الحكام أو يعملون عندهم، ولو كانوا مغلوبين على أمرهم ويبحثون عن لقمة عيشهم.

بل إنهم يكفرون العلماء الذين لا يكفرون الحكام ولا يُقاتلونهم، ولا ينضون تحت لوائهم التكفيري. مع أن تكفير المسلم يترتب عليه تحليل قتله، وأخذ أمواله، والتفريق بينه وبين زوجته وأولاده، فلا يرث ولا يورث، وعند موته لا يُغسّل ولا يُكفّن ولا يُصلّى عليه ولا يُدفن في مقابر المسلمين.

### المطلب الثالث: أهم بواعث الغلو والتطرف.

١- إن تطرف بعض الحكام في محاربتهم للقضايا الإسلامية، والاضطهاد العنيف من قبل بعض الحكومات للإسلاميين، وتعذيبهم عذاباً لا يصبر عليه حجر فضلاً عن البشر، أو وجد مسوّغاً كبيراً للشباب للاتجاه نحو العنف والتطرف، بصفته مخرجاً وحيداً رداً على الظلم الشنيع الذي لا ينقطع.

٢- ومن أسباب التطرف التضيق على العمل الإسلامي المعتدل والوسطي، ومحاربة الدعاة من قبل بعض الحكومات، مما يدفع الشباب للبحث عن مصادر أخرى للتعرف على الإسلام، وغالباً ما يقعون ضحايا الخلايا المتطرفة التي تقدم لهم فكراً متشدداً، يُلي عطش مشاعرهم الملهبة من الألم على الإسلام لبعض الأسباب المذكورة.

٣- تطرف المجتمع المحلي باستفزازة الشباب المسلم من خلال محاربة الإسلام، والاستهزاء بمشاعر المسلمين الملتزمين على كل صعيد، وبخاصة التطرف الشديد للعلمانيين دعاة التغريب في حربهم على الإسلام، الذي أنتج تطرفاً يقابله.

٤- تطرف المجتمع الدولي بتأميره على الإسلام والمسلمين، ومحاربتهم، واحتلال أراضيهم، واغتصابها، وبخاصة دعم الصهاينة المطلق في اغتصاب

فلسطين، وتهجير أهلها، وقتل أطفالها ونساءها، وتدمير مقدساتها، واضطهاد المسلمين وتشريدهم وقتلهم في مواقع متعددة من العالم، مثل كشمير وأفغانستان والعراق والسودان وجنوب الفلبين وبورما وتركستان في الصين والشيشان وداغستان وبقية دول القوقاز في روسيا الاتحادية والبوسنة والمهرسك وكوسفو في البلقان..

٥- عدم وجود قيادة مرجعية شرعية حكيمة عالية التخصص، في تجمعات هؤلاء الشباب المتطرفين، تعلمهم وتفقههم وتُرشد سيرهم وفق مقاصد الإسلام الكبرى، وتضع لهم الأمور في مواضعها بما ينسجم مع وسطية الإسلام واعتداله، وتبين لهم الأصول من الفروع، والجزئي من الكلي، وما يقدم وما يؤخر، وما يصح وما لا يصح، وكيف تُجلب المصالح، وكيف تُدفع المفاسد؟...

#### إضاءة

إن الضعف العلمي بأحكام الشريعة ومقاصدها عند المتطرفين هو أحد أسباب التطرف، وهذا يؤدي بهم إلى الاشتغال بالأمور الجزئية، فينضخون الكير فيها، ويوقدون جمرها، ويضخمون أمرها.. وبالمقابل، يغفلون عن الأمور الكلية والقضايا الكبرى التي يتعلق بها مصير الأمة الإسلامية.

إنهم يقيمون الصراعات ويفتنون الناس بنيرانها، ولا يركزون جهودهم على الحرب العالمية على الإسلام وأهله، والمسلمون يُذبحون في أنحاء مختلفة من العالم، والدعوة الإسلامية تُحارب وتُضطهد على كل صعيد..

وهؤلاء ينشرون أمراضهم حيثما حلوا وارتحلوا، ويشددون على الناس فيضيقون ما وسَّعه الله تعالى ورسوله، ويُحرِّمون أموراً مما حلَّه الله تعالى.

واختلطت عليهم الأمور فلا يفرقون بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر، ولا بين الكفر المخرج من الإسلام وكفر المعاصي، فالكفر عندهم واحد، ويستندون إلى بعض النصوص بغير علم، فيكفرون من يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويستبيحون دمه وماله، ولا يلتفتون إلى حديث النبي ﷺ: « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَاِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»<sup>(١)</sup>. وهذا الخلط عندهم ناتج عن الجهل بالأحكام، فلا يفرقون بين النص المحكم والمتشابه، ولا بين الخاص والعام، ولا بين المطلق والمقيد، ويجهلون مقاصد الشريعة وقواعدها..

٦- ومن أسباب التطرف فقدان فقه الحكمة عند هؤلاء المتطرفين، فهم بعيدون عن فهم الواقع، ولا يتخذون إلى ما يريدون الأسباب، ولا يعتبرون بالتجارب، ويكررون الأخطاء القاتلة ذاتها، ويعيشون بالأوهام والأمان، ولا يتدبرون العواقب، ولا يضعون الأشياء في مواضعها.

يرفضون سنة التدرج، ويهملون عامل الزمن، ويريدون أن يتحول العالم كله إلى الإسلام الكامل، فإن لم يفعل يقاتلونه... وهم كمن يريد من الأم أن تلد وليدها شاباً يافعاً قوياً مكتمل القوى، فإن لم تفعل يقاتلونها.

(١) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم [٢٥] (ص/٢٨)، ومسلم في "صحيحه" برقم [٢٢] (ص/٤٣)، واللفظ للبخاري.

إنهم يستهترون بقوة الخصم، ولا يدرسون توازن القوى، ويتخذون منهاجاً معارضاً لسنن الله تعالى في الكون والحياة..

٧- ومن أسباب التطرف علل الغرور بالقوة، والاستهانة بالخصوم، وضعف الإعداد:

فبعضهم يكون في بداية عمله الدعوي، فإذا رأى تجمع الناس في خطبته أو درسه انتفخ رأسه بالغرور، وظن بأنه امتلك ناصية القوة، التي يستطيع بها تغيير المجتمع، بل تغيير نظام حياة البلاد والعباد.

ولا ريب أن هذا منتهى السخف، وقلة العقل والإدراك، وضعف الفهم فيما تحتاجه المجتمعات للتغيير..

فكم جرّ أمثال هؤلاء من البلاء على الإسلام والمسلمين، وكم خسر العمل الإسلامي من الضحايا المغرّ بهم، بسبب ضعف علم هؤلاء الذين ينتسبون إلى الدعوة، وضعف حكمتهم وخبرتهم وغرورهم، وعدم أخذهم بالأسباب في إعداد ما يلزم لتغيير المجتمعات والنهضة بها..

٨- ومن أسباب التطرف سيطرة الدولة على المؤسسات الإسلامية الرسمية وإخضاعها لمشيئتها، وظهور طبقة من العلماء لا يهتمون إلا بمصالحهم ومظاهرهم، يسوغون للحكام المستبدين استبدادهم، ويفرطون بالدين وأحكامه من أجل مصالحهم، ويبحثون عن المال والشهرة، هؤلاء العلماء الذين يستخرجون الأحكام حسب الطلب، ويوجهونها لتلي رغبات أصحاب الجاه من الحكام والأغنياء والزعماء.. يتكلمون حسب

الطلب، ويصمتون عند الطلب، يتملقون العوام طلباً للشهرة، ويتملقون أصحاب المال والسلطان طلباً للمصالح..

(( فأبي دينٍ وأي خيرٍ فيمن يرى محارم الله تُنتهك، وحدوده تُضاع، ودينه يُترك، وسنة رسول الله ﷺ يُرغب عنها، وهو بارد القلب، ساكت اللسان، شيطان أحرص، كما أن المتكلم بالباطل شيطان ناطق، وهل بليّة الدّين إلا من هؤلاء الذين إذا سلّمتم لهم ما كلّمهم ورياساتهم فلا مبالاة بما جرى على الدّين))<sup>(١)</sup>.

وهذا لا يعني أن جميع العلماء في المؤسسات الإسلامية الرسمية من هذا الصنف، والحقيقة أن بعض العلماء في هذه المؤسسات هم من أكثر العلماء شجاعة وإخلاصاً في خدمة الإسلام والمسلمين، وصيانة العمل الإسلامي وحمايته، وجلب المصالح له، ودرء المفسد عنه.

وهم أتقياء ورعون، ظاهرون على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله.. يعملون بصمت وحكمة، بدون ضوضاء ولا إعلانات ولا دعايات ولا إثارات ولا تحريضات، ويحققون إنجازات للعالم الإسلامي والمسلمين ما يعجز عنه الكثير من الذين يكثرون الكلام ولا يجيدون العمل.

(١) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (٢/١٩٨).

## المطلب الرابع: أمثلة على بواعث الغلو والتطرف.

### تطرف

إن تطرف العلمانيين يعدُّ من أهم بواعث التطرف في الجانب الآخر.. فالعلمانيون المتطرفون يحاربون الإسلام بضراوة، ويريدون خلعته وخلق ثقافته وقيمه من المجتمعات الإسلامية، ويستفزون الشباب الإسلامي، باتهام الإسلام أنه يحارب العلم، وأن العلم والإيمان لا يلتقيان، وأن العقل والإيمان لا يجتمعان، وأن الدين شيء والسياسة شيء آخر، وليس للإسلام مكان في حكم المجتمعات الإسلامية، وأن على المسلمين أن يأخذوا بالقيم والثقافة والنظم الغربية كما هي بحلوها ومرها وصحيحها وسقيمها إذا أرادوا النهوض.

\* وأوضح مثال على ذلك: استفزاز العلمانيين للشباب المسلم، ودفعهم لاتخاذ ردّات فعل متطرفة بسبب تلك الأفكار التي كان يدعو إليها العلماني داعية التبريد سلامة موسى، حيث يقول: ((إذا كانت الرابطة الشرقية سخافة؛ لأنها تقوم على أصل كاذب فإن الرابطة الدينية وقاحة، فإننا أبناء القرن العشرين أكبر من أن نعتمد على الدين جامعة تربطنا.. ونحن في حاجة إلى ثقافة حرة أبعد ما تكون عن الأديان.. وحكومة ديمقراطية برلمانية، كما هي في أوروبا، وأن يعاقب كل من يحاول أن يجعلها مثل حكومة هارون الرشيد أو المأمون، أو توتوقراطية دينية.. إننا، كلما ازدادت خبرة وتجربة وثقافة توضحت أمامي أغراضني: يجب علينا أن نخرج من آسيا وأن نلتحق بأوروبا، فإني كلما زادت معرفتي بالشرق زادت كراهتي له، وشعوري بأنه غريب عني، وكلما زادت معرفتي بأوروبا زاد

حي لها وتعلقني بها، وزاد شعوري بأنها مني وأنا منها، وهذا هو مذهبي الذي أعمل له طول حياتي، سرّاً وجهراً، فأنا كافرٌ بالشرق، مؤمنٌ بالغرب))<sup>(١)</sup>.

والأسوأ من هذا عندما تقوم بعض الحكومات، بإدراج سلامة موسى في مناهجها التعليمية للطلبة على أنه من رواد النهضة الحديثة ومفكرها، وتقوم بتسويق أفكاره وأفكار أمثاله من "النّهضويين" المعادين للإسلام.

وإن تعجب فعجبٌ فعلهم في دوائر الثقافة الرسمية وغير الرسمية، عندما تُسوّق كتب المتطرفين العلمانيين، وتُنشر على أوسع نطاق.

ولك أن تسأل كيف انتشرت كتب سلامة موسى المصري في جميع أنحاء العالم العربي؟!..

وينطبق هذا على أمثاله في عصره، ومنهم: يعقوب صروف، وفارس نمر، وجورجي زيدان، وشبلي شمیل، وسليم تقلا، وأحمد لطفي السيد، وطه حسين...

\* ومثال ثانٍ على استفزاز العلمانيين للشباب المسلم، ودفعهم لاتخاذ ردّات فعل متطرفة، بسبب تطرف العلماني "نصر حامد أبو زيد" في حربه على الإسلام.

فهو ينطلق من فكرة تعمل على وضع قواعد مختلفة لقراءة النصوص الدينية وتأويلها، بقصد نزع القداسة عنها، وصولاً إلى العبث بها، وتحريف

(١) أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، د. محمد عمارة، دار الشرق الأوسط للنشر، (ص/ ٦٥ وما بعدها).

مقاصدها، وتعطيها في حياة المسلمين، ثم وصولاً إلى هدم الإسلام من داخله، ونقضه عروة عروة، ثم اختراع إسلام آخر لو عُرض على صاحب الرسالة محمد ﷺ لم يعرفه!!..

\* بعض أفكاره الفاسدة التي دعا إليها:

#### ١- الطعن بمصداقية القرآن:

يطعن "أبو زيد" في القرآن الكريم، استناداً إلى زعمه بأن القصص القرآني لا يعبر عن الحقائق التاريخية، أي هناك خلاف بين القصة كما وردت في القرآن الكريم وبين الحقيقة التاريخية، وهذه الفكرة تعني نزع القداسة عن النص القرآني، ووصفه بعدم الصحة أو التشكيك بمضمونه.

يقول في كتابه {نقد الخطاب الديني} بعد حديثه عن التفرقة بين الحقائق التاريخية وبين القصص القرآني:

((المعركة في حقيقتها إذن معركة قديمة في فكرنا الحديث، وهي ليست مجرد معركة حول قراءة النصوص الدينية أو حول تأويلها، بل هي معركة شاملة تدور على جميع المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، معركة تخوضها قوى الخرافة والأسطورة باسم الدين، والتمسك بالمعاني الحرفية للنصوص الدينية. وتحاول قوى التقدم العقلانية أن تنازل الأسطورة والخرافة أحياناً على أرضها...))<sup>(١)</sup>

(١) نقد الخطاب الديني، د. نصر حامد أبو زيد، (ص/٦٣).

### ونلاحظ في الشكل:

أن "أبا زيد" وصف نفسه وأمثاله بقوى التقدم العقلانية، ووصف مخالفه في الفكر بقوى الخرافة والأسطورة!!..

فانظر إلى هذا الإرهاب الفكري، والتعدي على الفكر المخالف بالإهانة ومحاولة الإقصاء!!..

وبعد كل هذا يدعون بأنهم يدعون إلى حرية الفكر واحترام الرأي المخالف.. فتأمل!!..

### ونلاحظ في المضمون:

أن "أبا زيد" وأمثاله يريدون قياس ما ورد في القرآن على مصادر تاريخية مما هو متوافر في المكتبات، والعجيب في هذا القياس الفاسد أن أبا زيد وأمثاله يعلمون يقيناً أنه لا يوجد حادثة في المصادر التاريخية يستطيع أي باحث أن يدعي أنها صحيحة ومعصومة، فكيف نقيس الوحي المعصوم، على كتابات بشرية خاضعة للأهواء والضغوط السياسية والاجتماعية، مع ما ينتاب البشر من ضعف وقصور ونقص، فكيف نُحكّم الناقد بالكامل؟!..

٢- يدعي أن الوحي واقعة تاريخية وليست واقعة أزلية "غيبية":

يقول في كتابه المذكور:

((إن واقعة الوحي ذاتها واقعة تاريخية، ولست واقعة أزلية ميتافيزيقية

(غيبية) ... ومن منظور فلسفي لاهوتي يجب التفريق بين الفعل الإلهي في التاريخ والفعل الإلهي خارج التاريخ، الفعل الإلهي في التاريخ فعل تاريخي خاضع لمنهج التحليل التاريخي، وهكذا الوحي والكلام الإلهي والقرآن<sup>(١)</sup>.

هكذا وبكل وضوح ينتزع صفة القداسة عن الوحي، فالقرآن وهو من جملة الوحي، ليس قديماً أزلياً بل حادثاً تاريخياً.

إذن: هو خاضع للفكر البشري بصفته واقعة تاريخية، وما دام الوحي خاضعاً لحكم الفكر البشري، فيستطيع أن ينتقده كما ينتقد أي نص آخر مُخطئاً أو مُصححاً أو رافضاً.

فتأمل من أين يبدؤون؟!.. وإلى أين ينتهون?!..

### ٣- ينكر قدم القرآن، ويُعدُّ حفظه باللوح المحفوظ أسطورة:

ينكر "أبو زيد" قدم القرآن الكريم وحفظه باللوح المحفوظ، ويدعي أن هذا أسطورة تؤدي إلى وجود القرآن خارج التاريخ، ومصالح البشر، وقوانين علاقاتهم الاجتماعية!!..

يقول "أبو زيد" في كتابه المذكور:

((أصحاب مقولة "القدم" يقفون عند الإلهي، ويتصورون للقرآن وجوداً أزلياً في اللوح المحفوظ خارج التاريخ. أي أن للقرآن وجوداً خارج مصالح البشر وخارج قوانين علاقاتهم الاجتماعية. ومثل هذا التصور ينتج الكهنوت))<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق، (ص/٤٢ وما بعدها).

(٢) المصدر السابق، (ص/٤٨).

ويقول في موضع آخر:

((إن التصورات الأسطورية المرتبطة بوجود أزلي قديم للنص القرآني في اللوح المحفوظ باللغة العربية ما تزال تصورات حية في ثقافتنا))<sup>(١)</sup>.

علماً بأن القرآن الكريم لا يُغفل التاريخ، كما أن القرآن الكريم لا يُغفل على نحو رئيس توفير مصالح البشر، ويحقق لهم قوانين علاقهم الاجتماعية على نحو مركز وواسع..

ومرة أخرى يريد إلغاء الصفة الإلهية والمقدسة عن القرآن والوحي، وتحويل القرآن إلى خارج منطقة العصمة ليتمكن من نقض مبادئه وتحريف مقاصده والعبث بعقائد المسلمين.. ومثال ذلك: أن الاعتقاد والتصديق بأزلية القرآن، سيجعله خارج مصالح البشر!!.. فتأمل !!

#### ٤- يدّعي أن في القرآن جانباً بشرياً:

يدّعي "أبو زيد" أن في القرآن الكريم جانباً بشرياً، ويحتج بأن آدم الذي خلقه الله تعالى هو بشر رغم أن مصدره إلهي!!.. وكذلك فالقرآن بشري رغم أن مصدره إلهي!!.. وهذا الجانب البشري في القرآن هو الذي يعنيه في الدراسة والفهم!!.

يقول "أبو زيد" في كتابه المذكور:

(١) المصدر السابق، (ص/٥٠).

((هل آدم الذي خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه... بشر أم إله؟!، هو بشر بالقطع رغم مصدره الإلهي، فلماذا إذا قلنا إن للقرآن من حيث لغته... جانباً بشرياً هو الذي يعيننا من الدراسة ويمهد لنا مناهج الفهم، لماذا إذا قلنا ذلك صرنا كفّاراً؟...))<sup>(١)</sup>.

انظر إلى هذه المغالطة الطفولية، كيف خلط وسأوى بين اللغة والفكر، وبين الوحي والجسد البشري!!..

وهذا الاعتقاد يرفع القداسة عن النصوص القرآنية، ويفتح له ولغيره باب العبث بالنصوص على نحو واسع وصولاً إلى تحريفها أو تعطيلها..

#### ٥- يربط بين الغيب والخرافة والأسطورة:

جعل "أبو زيد" العقل الإنساني التاريخي صاحب الخطاب التنويري، مقابل العقل الغيبي الغارق في الخرافة والأسطورة، وهو بكل بساطة ووقاحة يربط بين الغيب وبين الخرافة والأسطورة!!..

#### إضاءة

إن العلمانيين المتطرفين، يمارسون ما كان يفعله رجال الكنيسة في القرون الوسطى في فرض تأويلاتهم على الناس ومحاربة الفكر المخالف لهم من أجل بسط هيمنتهم وسيطرتهم على الساحة الفكرية، وهذا نمط من التفكير يناهض الفكر الآخر ويعمل على إقصائه ويفرض تأويلاته على عقول الناس في شؤون العلم والحياة الاجتماعية من خلال دعواه أنه "يمتلك الحقيقة المطلقة".

(١) المصدر السابق، (ص/٤٩).

علماء بأنهم ينفون ذلك، ويدعون عكسه، ولكنهم من خلال الممارسة العملية يفعلون هذا ويزدرون كل فكر يُخالفهم بألفاظ مقذعة، وبخاصة الفكر الإسلامي الذي يقف في وجههم، ويكشف زيف أطروحاتهم وألعايبهم.

ويوحى "أبو زيد" وأمثاله للناس بأن الإنسان الذي يختلف مع علمانيتهم وما يسوقونه من أفكار - أكثرها مضللة - تحت شعار "العلم"، هو إنسان يختلف مع العلم والعلماء، أي يختلف معهم بصفتهم أنهم هم العلماء وحدهم!!.. وهم وحدهم من يمثل العلم والفهم والقراءة الصحيحة للنصوص.

إنه يريد اختراع إسلام آخر غير الإسلام الذي أتى به محمد ﷺ، وغير الإسلام الذي سمعه الصحابة وبقية الناس من رسول الإسلام ﷺ.. وحتى الوحي يريد التدخل به ويعمل على حرفه عن مقاصده ثم تأويله على النحو الشاذ الذي يرغب فيه، مستخدماً ألفاظاً مضللة، مثل: العلم والعقل والتنوير والحداثة..، في حين أنه يصف من يُخالفه في الفكر بالخرافيين والأسطوريين والرجعيين، ثم يدّعي أنه من دعاة حرية الفكر!!.

#### حقيقة

إن الخلط الماكر الخبيث بين الفهم العلمي للدين وبين تحريف فهم نصوص الدين، لا يستطيع أن يُخفي المقاصد الحقيقية لأصحاب هذا الفكر، من هدم أساسيات الدين ونزع القداسة عن النصوص الدينية سواء أكانت قرآنية أم أحاديث نبوية!!..

إن "أبا زيد" بمساواته بين الغيب والأساطير والخرافات من جهة، وبدعوته لإخضاع القرآن والإسلام ونقده بالمقاييس البشرية، أو بما يُسمى

التأويل العلمي المرتبط بالتاريخ من جهة أخرى، إنما يكرر دعوة من سبقه من المستشرقين في هذا الموضوع، ودعوته هذه دعوة تغريبية واضحة..

### نتيجة

لا تستغرب بعد ما رأيت من التطرف العلماني الشديد في محاربة الإسلام  
لهدمه من داخله، ونقضه عروة عروة، ورفع القداسة عن قرآنه!!  
فلا تستغرب أن يُنتج كل هذا التطرف تطرفاً آخر يقابله!!..

## المطلب الخامس: علاج علة الغلو والتطرف.

وحتى تتم معالجة علة التطرف والعنف لا بد من معالجة أسبابها، والترفق بالشباب، وفتح القلوب والعقول لهم، وفتح أبواب الحوار معهم، ومنحهم الفرص الكافية للتعبير عن آرائهم فكثير منهم طيبون يحبون الإسلام ويجتهدون في العبادة ولكنهم أخطؤوا السبيل، والعلل الفكرية لا تُعالج إلا بالفكر، وأما التعذيب والاضطهاد والعنف، فلا يزيد ظاهرة العنف إلا عنفاً..

وعلى المخطئين المتطرفين أن يقبلوا ويُقبلوا على الحوار، ويسمعوا من أهل العلم الثقات، وأن يتخلوا عن التشبث بأفكارهم الجاهزة، ويسلموا للحق أينما وجدوه..

كما يجب نشر الفكر الإسلامي الوسطي والمعتدل بطرائق مؤثرة في الإعلام، وفي مناهج التعليم الثانوي والجامعي، والمراكز الثقافية، وفي المساجد..

كما يجب التنبيه لئلا يُتخذ التطرف ذريعة لمحاربة الإسلام ذاته...

يقول الباحث فهمي الهويدي: ((إذ باسم التصدي للتطرف سمح البعض لأنفسهم بتجاوز الخطوط الحمراء، ومحاولة تجريح التدين ذاته، فيما يسمى بسياسة "تخفيف الينايع" التي ابتدعها نفر من المثقفين في تونس، وهي السياسة التي ترى في التدين تربة خصبة ينمو فيها ويتغذى منها التطرف (بصرف النظر عما إذا كان التدين رشيداً أم مشوهاً وعميقاً!) ومن ثم فإن دعايتها لا يرون بديلاً عن اقتلاع جذور التدين ذاته عبر إضعافه وتقليص حضوره قدر الإمكان في الضمير والواقع. وهذا كله يتم تحت ستار ذلك العنوان الخادع "تخفيف ينايع التطرف" وهو عنوان يجد صدقاً واسعاً من القبول لدى الكثيرين ببساطة؛ لأن الأغلبية تعارض التطرف حقاً، تعاني منه، وحماسها كبير للخلاص من آفته، لكن ذلك الانطباع يختلف بصورة كلية إذا دققنا في المصطلح واكتشفنا حقيقة المقصود بالينايع وجوهر مفهوم التطرف.

بذريعة مواجهة التطرف ظهرت في العقدين الأخيرين "ميليشيات" ضمت نفراً من المثقفين كانت مهمتهم ومازالت، محاولة قطع الطريق على تقدم المسيرة الإسلامية بمختلف الوسائل... وبشكل أساسي فإن الذين انخرطوا في تلك الميليشيات كانوا خليطاً من غلاة العلمانيين والماركسيين، وغيرهم من الذين نجحت حملات التعبئة في تخويفهم من الإسلام والمسلمين، أو الذين استقرت في أعماقهم كراهية الاثنيين، ووجدوا أن مكانهم الطبيعي هو في معسكر "الضد" الراض لكل ما هو إسلامي.

إننا ندرك أهمية التفرقة بين النقد الموضوعي الذي ينبغي أن يرحب به وأن يتسع الصدر له، وبين الاجترار الذي هو بمثابة تطاول على ثوابت الأمة

والمقومات الأساسية للمجتمع والفرق بين الاثنين هو بالضبط الفرق بين الحوار والسب. والأول موقف إيجابي أياً كان اتجاهه والثاني سلبى بكل المقاييس<sup>(١)</sup>.  
كما يجب معالجة كل أنواع التطرف بدءاً بتطرف الحكومات، ومروراً بتطرف الاستفزاز للمشاعر الإسلامية وإهانة المقدسات، إلى تطرف أعداء الإسلام، وحرهم العالمية على العالم الإسلامي، إلى تطرف أعداء الإسلام الداخليين من العلمانيين المتطرفين الذين يحاربون الإسلام ويُهينون مقدساته مما يستفز مشاعر الشباب بعنف شديد..

### رؤية

لا أبالغ إذا قلت إن الغلاة المتطرفين من العلمانيين، ومواقفهم المتطرفة تجاه الإسلام والعمل الإسلامي، هي أحد أهم أسباب نشوء حركات التطرف في العالم الإسلامي..

إنهم يريدون حرمان المسلمين من أهم حقوقهم الإنسانية باختيار نظام الحكم والحياة التي يرغبون فيها..



(١) كتاب المفترون، فهمي هويدي، (ص/٦).

## المبحث الثاني والعشرون إشكالية العلاقة مع الحكومات

### المطلب الأول: واقع التعامل بين الإسلاميين والحكومات الاستبدادية.

يتعامل الإسلاميون مع الحكومات الاستبدادية بأساليب متعددة:

- ١- فريق متخاذل ينبطح للسلطة، ويتحرك معها حسب الطلب، مقابل تأمين مصالحه المادية والمعنوية، يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل.
- ٢- وفريق لا يسعى لشيء من متاع الدنيا لكنه لا يُقاطع الحكام بل ينصحهم ويعمل على تصحيح وتصويب الأمور بقدر الاستطاعة، ويعمل بقوة على حماية الدعوة الإسلامية ودفع البلاء عنها، وتحصيل ما يمكن تحصيله لصالح العمل الإسلامي.
- ٣- وفريق يقاطع الحكام لأنه لا يرى جدوى من نصيحتهم..
- ٤- وفريق يتبنى استخدام العنف والسلاح وسيلة لتمكين الإسلام من الحكم، ويرى أن الوصول إلى الحكم سيحل كل المشاكل.

## المطلب الثاني: مساوئ الاحتكام للعنف من الطرفين.

### حقيقة

إن الاحتكام للعنف والسلاح من قبل الحكومات ومعارضيه، لحل مشاكل المجتمعات وإصلاحها وتقويمها، هو مصيبة عظيمة تضيف إلى مشكلات المجتمعات مشكلات كارثية أكبر وأوسع بكثير، ولا يمكن السيطرة عليها لأمد بعيد، وستؤدي إلى تدمير البقية الباقية من هذه المجتمعات وتحويلها إلى مجتمعات احتراب، لا ينقطع لهيبه مادام أحد أطرافها على قيد الحياة.

إن الاحتراب الداخلي سيؤدي إلى انضراط عقد المجتمع، وتدميره من الداخل، وسقوط رابطة المواطنة والروابط الاجتماعية بين الناس، وستسود الأحقاد والضغائن والكراهية بينهم، ويصعب أن يجمع بينهم جامع بعد سفك أنهار الدماء وهناك الأعراض والحرمان ونهب الأموال..

وعندما يصبح السلاح والقتال هو مرجعية الناس وملاذهم لحل مشاكلهم، تسقط هيئة القانون، ويصعب أن يرجع الناس إلى الاحتكام إليه، ولو ربح الإسلاميون المعركة، وسيبقى احتكام الناس إلى السلاح هو سيد الموقف، وستكون المعاناة الأشد هي كيفية إعادة الناس إلى الاحتكام إلى الشرع والقوانين والأعراف، وإزالة ما بينهم من الشحناء والبغضاء، وإعادة الروابط الاجتماعية إلى عافيتها بعد أن أصابها ما أصابها من التدمير.

إن إعادة بناء ما يتهدم من البنية التحتية والفوقية، وإعادة بناء اقتصاد البلد وشؤونه المالية والتعليمية والإدارية والصحية والخدمات العامة وغيرها.. (رغم صعوبته العظيمة)، سيكون أسهل بكثير من إعادة بناء

السلام الداخلي في المجتمع والقيم المجتمعية الجامعة للناس. وعند انفلات الأمور فلا أحد يأمنُ أحداً، وتبرز على السطح الخلافات العرقية والطائفية وغيرها..، وتتحول إلى صراعات، وتتحول الأطراف إلى كيانات مسلحة لتدافع عن نفسها وعن مصالحها. ويبدأ كل طرف من أطراف الصراع الداخلي بتأمين حليف خارجي له، يمدّه بالمال والسلاح، وتتعدد المشكلات الداخلية ويضاف لها مشكلات خارجية، لتتحول البلاد إلى ساحة لتصفية الحسابات بين القوى الخارجية، ويفقد المتحاربون السيطرة على الصراع، وتنتقل مفاتيح الحل من يد أبناء الوطن إلى يد أعدائه..

ولعمري، إن هذا أعظم هدية تقدم إلى أعداء البلد، لأن يدهم ستكون هي العليا في السيطرة عليه وعلى سياسته بصرف النظر عن الفريق الذي سيربح أو سيخسر. فالفريق الرابع سيكون ضعيفاً؛ لأن مقدرات قوته ستكون بيد الذين يمولونه ويدعمونه، إنه سيكون في غرفة الإنعاش والسيطرة المشددة من قبلهم، ولا يستطيع الخروج عن إرادتهم، وإذا حاول ذلك، سيقطعون عنه كل وسائل الإنعاش والتنفس السياسي والمالي والإعلامي.. ليزداد ضعفاً واختناقاً ثم يسقط وينهار.

#### كارثة

إنه حصاد كارثي لو يدري الذين أنتجوه من الفريقين هولَه وعمق خطورته لما لجؤوا إلى العنف والسلاح!!..

فأين عقولنا؟!..

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قَالَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يُحَدِّثُنَا « أَنْ بَيْنَ

يَدَيِ السَّاعَةِ الْهَرَجِ» قِيلَ: وَمَا الْهَرَجُ؟ قَالَ: «الْكَذِبُ وَالْقَتْلُ» قَالُوا: أَكْثَرُ مِمَّا نَقْتُلُ الْآنَ؟! قَالَ: «إِنَّهُ لَيْسَ بِقَتْلِكُمُ الْكُفَّارَ وَلَكِنَّهُ قَتْلُ بَعْضِكُمْ بَعْضًا حَتَّى يَقْتُلَ الرَّجُلُ جَارَهُ وَيَقْتُلَ أَخَاهُ وَيَقْتُلَ عَمَّهُ وَيَقْتُلُ ابْنَ عَمِّهِ» قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَمَعَنَا عُقُولُنَا؟! قَالَ: «لَا، إِلَّا أَنَّهُ يَنْزِعُ عُقُولَ أَهْلِ ذَاكَ الزَّمَانِ، حَتَّى يَحْسَبَ أَحَدُكُمْ أَنَّهُ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ عَلَى شَيْءٍ...»<sup>(١)</sup>.

يقول الدكتور عبد الكريم بكار:

((ويمكن أن نعدد مساوي كثيرة جداً لاستخدام السلاح وسيلة للإصلاح، لكننا هنا سوف نقتصر على أهمها، ومنه:

أ- إذا كان المقصود من (العنف) حمل الدول والشعوب على تطبيق الشريعة الغراء، فإن ذلك وهم من الأوهام؛ لأن طبيعة (الدين) تأتي ذلك، وتجاهيه، فالدين الحنيف مجموعة من القيم والمبادئ السامية، ومن طبيعة القيم أنها ترفض الإملاء والإجبار، فاعتناقها دائماً يتم عن طريق الجاذبية من خلال القدوة الحسنة والمثل الطيب. وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ...﴾ [سورة البقرة: ٢٥٦]. وحين كان المسلمون يفتحون بلداً من البلدان لم يكونوا يُلزمون أحداً باعتناق الإسلام، صحيح أن السيادة تكون فيه للنظام الإسلامي، لكن كل شخص حر في اختيار المعتقد الذي يناسبه مادام في سلوكه العام لا يعكر صفو الحياة العامة.

(١) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم [١٩٦٣٦] (٤٠٨/٣٢)، وإسناده صحيح.

ونحن نعلم أن استخدام القوة والسلاح داخل المجتمع الإسلامي يظل مثقلاً بالقيود والشروط التي قد لا تكون موجودة مع استخدامها في جهاد الأعداء؛ وذلك لتجنب تمزيق المجتمع الإسلامي وتدميره من الداخل.

ب- الجماعات التي جعلت بنيتها العقلية والثقافية والتنظيمية تتمحور حول العنف تواجه مشكلة كبرى عند انعدام من توجه العنف إليه؛ فهي إن لم تجد من تقائله -لسبب من الأسباب- وتفرغ طاقتها فيه، ووجهت تلك الطاقة إلى داخلها؛ لتعضم نفسها بنفسها، والذي يستسهل تكفير الآخرين يستسهل تكفير بعض جماعته إذا خالفه، وخرج عن وجهة نظره، وهكذا فقد صار مألوفاً أن الثورات تأكل أبناءها.

ولا يخفى على أحد الوضع المحزن الذي صار إليه إخواننا (الأفغان) بعد خروج روسيا وسقوط كابل، حيث تحولت كل الطاقات القتالية إلى الداخل؛ لتحدث كوارث وفواجع داخلية كبرى... إن الحطية الشاعر الذي تعود هجاء الناس امتدَّ هجاؤه إلى نفسه حين لم يجد من يهجوّه.

ج- إن من مساوئ العنف أنه يخلق كل الأنشطة الدعوية الأخرى إذ إن استخدام القوة بشكل واسع سيفرز روح التوجس والتخوف كما أن الأعصاب ستكون مشدودة إلى أبعد حد، وتكون الاستعدادات لقبول التغيير الثقافي شبه معدومة، كما أن الفريق المعادي يجد من العار أن يتقبل أفكار الذين يقائلونه، وربما كان هذا المعنى وراء قبول النبي ﷺ لشروط صلح الحديبية، كما أنه كان بما وراء المعاملة السمحة الكريمة التي عامل بها منافقي المدينة. ولذا فإن الإصلاح القائم في جوهره على التسوية والتراضي

والتنازل المتبادل لا يمكن أبداً أن يحدث من خلال استخدام القوة العاشمة.

د- قد ينجح الذين يستخدمون العنف في إسقاط حكومة متحللة مدبرة، لكن عليهم أن يعلموا أن آليات إسقاط دولة غير آليات إقامة دولة، فإسقاط الدول لا يحتاج لأكثر من القوة - كالهدم تماماً - لكن إقامة نظام إسلامي صالح يحتاج إلى أشياء كثيرة جداً لا يملكها غالباً الذين تسيطر عليهم روح الثورة والانقلاب، وهذا أحد أهم عوامل (سرقة الثورات) التي يشكو منها بعض الإسلاميين. وقد يقول بعضهم إننا نستخدم القوة بمقدار، وإن لنا قوانا السياسية ورجالاتنا المحنكين؛ لكن التجربة تدلنا على أنه حين يحين قطف الثمار فإن الانشقاق يحدث بين الساسة والعسكريين، ويؤول الأمر إلى أهل القوة؛ ليديروا البلاد بدون أدنى خبرة أو أهلية.

هـ- يظن الذين يستخدمون العنف وسيلة للتغيير أن في الحكم شفاءً لكل عللهم وأدوائهم، وأن كل ما ينبغي إنجازه سوف يتحقق بمجرد (الوصول إلى السلطة)، وهذا وهمٌ كبيرٌ؛ فالحكم السيئ يعكس سيئات المجتمع الذي يقوم فيه، وحين يصلون إلى الحكم فسيجدون من يثور عليهم - ما داموا أشاعوا في مجتمعهم روح الثورة - مهما كان عدلهم وإنصافهم ونشاطهم.. ثم إن التدمير الذي يحدثه استخدام العنف سيتحول إلى أعباء ثقيلة عليهم حين يريدون النهوض بمجتمعهم، وسوف يجدون أن الناس لن يمنحهم الفرصة، ولا الوقت الكافي لحل المشكلات المتأسنة، بل سيطالبونهم بتحقيق الشعارات التي أزهقوا الأرواح من أجلها.

و- دلت التجربة على أن الذين يستخدمون القوة وسيلة للإصلاح لا

يستطيعون الحفاظ على أهدافهم، ولا ضبط وتيرة تحركهم، فمن خلال المحاصرة والمطاردة لهم، يسرِّعون حركة المقاومة؛ لتخرج عن الخطة السياسية، كما أنهم يقومون بأعمال يائسة لا تدل إلا على الإفلاس، وبالإضافة إلى ذلك فإن أعمالهم القتالية تتحول من استهداف إقامة الدين ومحاربة الفساد، إلى المحافظة على وجودها واستمرارها ليس أكثر، أي تصبح بلا هدف، ومن ثمَّ فإن دائرة القتل تتوسع؛ لتشمل بعض الأبرياء، كما أن أعمالاً من قبيل السلب والنهب قد تقع في سبيل تمويل الجهد العسكري، ويحدث نوعاً من التوسع في الفتوى لإضفاء الشرعية على كل ذلك! وهذا كله يفرغ الحركة القتالية من مضامينها بالتدريج، ويزرع في داخلها أزمة الشرعية والافتقار إلى الرؤية الراشدة.

ثم إنك حين تستخدم السلاح ضد غيرك، فإنك تكون قد أسست سابقة خطيرة، وأبجت لغيرك استخدامه ضدك متى أراد ذلك، وهكذا تدخل الأمة في (دورة رديئة) وينحدر والمجتمع برمته إلى الهمجية، وقد كان القصد إصلاحه ورقيه.

إن الخطط الإصلاحية المتصلبة تفضي دائماً إلى كوارث، والذين يسعون إلى الصدام دائماً سيخسرون؛ والعاقل من اعتبر بغيره. <sup>(١)</sup>

ويتحدث الدكتور يوسف القرضاوي عن مساوئ استخدام العنف والسلاح وسيلة للإصلاح، فيشير إلى:

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم بكار، (ص/٣١٢ وما بعدها).

((١- أن النجاح في الاستيلاء على السلطة بالقوة، لا يعني النجاح في تطبيق المبادئ التي قام الانقلاب من أجلها...))

٢- أن تغيير المنكر باليد -أي بالقوة المادية- هو في الأصل واجب كل ذي سلطان في سلطانه... (أما تغيير منكر الحكام بالقوة المادية) فالأمر يحتاج إلى أناة وحذر وحكمة، ولا يُفتح الباب فيه على مصراعيه لكل أحد دون قيد.

ولهذا اتفق فقهاء المسلمين على أن إزالة المنكر وتغييره باليد إنما تشرع لمن يملك القدرة على التغيير، وبشرط ألا يترتب على إزالة المنكر منكر أكبر منه، وإلا فالواجب هو التغيير، باللسان أو بالقلب حسب الاستطاعة، وإلى أن تحين الفرصة.

وهذا مبني على القاعدة الشرعية المقررة: ارتكاب أخف الضررين، وتفويت أدنى المصلحتين، وهو مبني كذلك على ما جاءت به الأحاديث من الصبر على أمراء الجور، وإن ضربوا الظهر وأخذوا المال، وذلك خشية الصدوع والانشقاقات في الدولة الإسلامية، نتيجة للثورات المسلحة التي يقوم بها رجال مخلصون متحمسون ينشدون المثل الأعلى، غير مقدرين للنتائج والعواقب. ولكن هذه الأحاديث استثنت حالة واحدة: « أن تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ »<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٧٠٩] (ص/٧٦٩)، وهذا لا يعني مطلقاً إعلان الجهاد فوراً، والدخول في صراع مسلح بطريقة عشوائية منفلتة، بل لا يصح هذا إلا بشروطه =

٣- أن أهل هذا الرأي أغفلوا الأضرار والأخطار التي تنشأ عادةً من إجراء إعداد قوة شعبية عسكرية مسلحة، فضلاً عن استخدامها في الوصول إلى الحكم.

ومن هذه الأخطار أو الأضرار:

أ- الخروج على القانون.

ب- اللجوء إلى السرية.

فما دام تكوين الجماعات العسكرية ممنوعاً قانوناً فلا بد من السرية المطلقة، التي تقتضي إخفاء التنظيم وقياداته وأفراده، إلا في أضيق الحدود. وفي سراديب السرية كثيراً ما تتسرب عناصر غير مأمونة ولا معروفة، لم تجرب في النور، ولم تختبر تحت أشعة الشمس.

وكثيراً ما تكون هذه الفئة السرية جماعة داخل الجماعة الكبرى، وقيادة وراء القيادة الظاهرة العليا. فيؤدي إلى الثنائية والازدواج والتناقض...

ج- الاستعجال قبل النضوج.

وهذه آفة التفكير العسكري غالباً، إن هذا النوع بمجرد أن يملك قدراً

---

=الصارمة، ومنها: أن يصدر هذا بقرار من أهل الحل والعقد المتبعين الذين يملكون الخطط الدقيقة، والفهم الاستراتيجي، والقدرة، والقوة الحاسمة على تغيير المنكر بأقل الخسائر الممكنة، ولا يصح أن يصدر الجهاد بقرار منفرد من أفراد أو جماعات منفصلة، ولا يجوز ترك مصاير الشعوب وعذاباتها لأهواء المتحمسين وتجارب المتهورين.. إن إعلان الكفر البواح، يعطي الإذن الشرعي ببدء أخذ الاستعدادات المدروسة على كافة المستويات للبدء بتغيير المنكر، وليس البدء بتغييره بدون استعداد كافٍ..

من السلاح، وعدداً من الجنود المخلصين المطيعين، لا يطيق الانتظار. إنه يتهم المترئين بالتردد، والمعارضين بالجن، إنه يريد أن يضرب ضربته بسرعة، وليكن ما يكون، وهو يقدر دائماً النجاح، وقلما يقدر الفشل.

إن الحركة الصبانية الطائشة التي أُذيع عنها في مصر أخيراً -وهي حركة الكلية الفنية العسكرية- تدلنا بوضوح على خفة هذا اللون من التفكير، الذي لا يكاد ينظر إلى موضع قدميه. كما يدلنا على مبلغ ما يمكن أن تجنيه السرية المطلقة على شباب مؤمنين مخلصين، يقودهم من لا يعرفون إلى ما لا يعلمون...

٤- ونضيف هنا شيئاً علّمناه تجارب عقود السنين الأخيرة، وهو: أن أية قوة عسكرية شعبية لم تعد تكفي -في عصرنا- لمواجهة قوات الدولة المسلحة، لبعد المسافة بين قدرة كل من الطرفين ومدى إمكاناته.

فالجيش الرسمية اليوم -بما تملك من مدرعات وطيران وأسلحة صاروخية وغيرها- أصبحت قادرة على سحق أي فئة عسكرية مهما يكن تدريبها وتنظيمها.

وأماننا أمثلة وتجارب عديدة في ذلك قريبة العهد، لازال صداها يدوي في الأسماع<sup>(١)</sup>.

(١) الحل الإسلامي فريضة وضرورة، د. يوسف القرضاوي، (ص/١٩٦ وما بعدها).

## المطلب الثالث: خداع الطاغوت العالمي.

### تحذير

على الإسلاميين أن يحذروا من خداع الطواغيت الذين يزينون لهم الانجرار إلى معارك تحت شعارات براقة خادعة، ويقدمون لهم المال والسلاح والدعم السياسي المؤقت، في حين يكون الهدف الاستراتيجي من ورائها القضاء على الإسلاميين إضافة إلى أهداف فرعية أخرى..

يقول الباحث عمر عبيد حسنة:

((إن الأحداث تُصنع بعيداً عنا، وتُستدعى لها في الوقت المناسب، لنصبح فرسائها، ولا تزال توظفنا دون أن تكون عندنا القدرة لنوظفها لمصلحة الإسلام والمسلمين، وتُصفى الحسابات بدمائنا، وتُستعار للمشاركة في معارك لا ندري أسبابها الحقيقية، ولا نملك التحكم بنتائجها... بل قد نقاتل بالنيابة عن أعداء قضيتنا... وما لم نصل إلى مرحلة الاعتقاد الفعلي بأن العلل والخلل كامن فينا، لنبحث عنه وندرك أبعاده وأسبابه ونكتشف السنن والقوانين التي تمكن من وسائل علاجه، فسوف نبقى نتقدم ضحايا على مذابح الآخرين ورغباتهم، وتُصفى الحسابات بدمائنا وتوظف لمعاركهم، وتحقيق أهدافهم، أكثر من أن نقدم توضيحات، تصبُّ في النهاية في المصلحة الإسلامية))<sup>(١)</sup>.

(١) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، (ص/١٠٩ وما بعدها).

## المطلب الرابع: كوارث التفرد في القرارات المصيرية.

### تنبيه

لا يحق لأي جماعة إسلامية أو لأي جزء منها أو لمجموعة أفراد أن تتصرف منفردة في القضايا المصيرية المتعلقة بمستقبل العمل الإسلامي ومصالح الأمة الكبرى ومصاير الشعوب، أو أن تجرّ العمل الإسلامي بكل مكوناته وفصائله إلى مواجهة شاملة مع خصومه، دون علم وموافقة المكونات الأخرى، ودون دراسة دقيقة جداً لفقهِ المآلات وتدبر عواقب الأمور.

إن أي تصرف من هذا القبيل سوف لا تنعكس آثاره وسلبياته على الجماعة المنفردة بالتصرف، ولكن التدمير سيشمل العمل الإسلامي بكامله، وسيشمل أيضاً المجتمع الإسلامي على نحو كارثي.

وكم عانى المجتمع الإسلامي من هذا التفرد، وكم حصد من الويلات والكوارث بسببه...، ويحق لنا أن نسأل:

كيف يحق لمجموعة من الناس أن تفجر معركة واحتراباً داخلياً، ثم تجبر جميع فصائل العمل الإسلامي على الالتحاق بهذا الاحتراب، دون أن تعلم هذه الفصائل والجماعات من يقود هذا الاحتراب ميدانياً، ولا تعلم شيئاً عن الخطط والاستراتيجيات، هذا إن وجدت...، ولا تعلم شيئاً عن مصادر التمويل والتسليح، ولا تعلم شيئاً عن خطط التموين والإمداد والإخلاء؟!..

### سؤال

كيف يحق لمجموعة من الناس أن تفجر حرباً داخلية (بدون اتفاق الأثرية الغالبة، وبدون توافر الشروط الشرعية) يكتوي بأوارها المدنيون والأبرياء من الأطفال والنساء. وتنشر القتل والدمار في كل مكان، وتقضي على الأموال والأعمال، وتؤدي إلى تشريد وتجويع الملايين من الناس، وتُجهز على أمنهم وأمانهم، وتؤدي إلى خراب لا يمكن إصلاحه بعشرات السنين...

وإن تسأل، فلا تسأل عن الذين شوّهوا وأصابتهم العاهات المزمّنة، ولا تسأل كيف يرجعون أصحاباء!! وأما الذين عذبوا وقتلوا فلا تسأل كيف يعودون أحياء!..

### حقيقة

للمسلم أن يأخذ بالعزيمة فيضحي بنفسه من أجل هزيمة الباطل، وإزالة المنكر، ونصرة الحق، ولكن لا يحق له أن يضحى بغيره، وله أن يُسامح في حقوق نفسه، وليس له المسامحة في حقوق غيره...

يقول ابن رجب -رحمه الله-: ((من خشي في الإقدام على الإنكار على الملوك أن يؤذي أهله أو جيرانه، لم ينبغ له التعرض لهم حينئذٍ لما فيه من تعدّي الأذى إلى غيره))<sup>(١)</sup>.

(١) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، (ص/٣٢٢).

## المطلب الخامس: درجات إنكار المنكر.

يقول ابن قيم الجوزية: ((النبى ﷺ شرَّع لأُمَّته إيجاب إنكار المنكر؛ ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإذا كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله فإنه لا يسوِّغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر. وقد استأذن الصحابة رسول الله ﷺ في قتال الأمراء الذين يؤخِّرون الصلاة عن وقتها، وقالوا: أفلا نقاتلهم؟ فقال: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عملَه، ولا تنزعوا يداً من طاعة»<sup>(١)</sup> ومن تأمل ما جرى على الإسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل، وعدم الصبر على منكر، فطلب إزالته فتولَّد منه ما هو أكبر منه، فقد كان رسول الله ﷺ يرى بمكة أكبر المنكرات، ولا يستطيع تغييرها، بل لما فتح الله مكة وصارت دار إسلام عَزَمَ على تغيير البيت، وردَّه على قواعد إبراهيم، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه؛ خشية وقوع ما هو أعظم منه من عدم احتمال قريش لذلك؛ لقرب عهدهم بالإسلام، وكونهم حديثي عهد بكفر، ولهذا لم يأذن في الإنكار على الأمراء باليد لما يترتب عليه من وقوع ما هو أعظم منه كما وجد سواء.

(١) أخرجه مسلم في "صحيحه" برقم [١٨٥٥] (ص/٧٧٤).

أربع درجات للإنكار، فإنكار المنكر أربع درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقل وإن لم يزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شرٌّ منه.

فالدرجتان الأوليان: مشروعتان، والثالثة: موضع اجتهاد، والرابعة:

محرمة<sup>(١)</sup>.

## المطلب السادس: واقع التعامل بين الإسلاميين والحكومات الديمقراطية.

ويتعامل الإسلاميون مع الحكومات الديمقراطية بأساليب متعددة:

١- فريق متساهل جداً، يدخل في اللعبة الديمقراطية، ويضع برنامجاً

لحزبه يكاد لا يفرق بينه وبين برامج الأحزاب الليبرالية والعلمانية.

٢- وفريق ملتزم بالبرنامج الإسلامي، لكنه من حكيم لا يخفي التزامه

الإسلامي، ويُعلن تصوره ورؤيته لمختلف القضايا اعتماداً على مبادئ

الإسلام مع مراعاة مقاصده، ويستوعب الواقع ويتعامل معه بمرونة وتدرج،

وينفتح على الآخر ويطبق مقاصد حلف الفضول، بالتعاون مع الجميع بما

يتفق مع مصالح الأمة.

(١) إعلام الموقعين، لابن قيم الجوزية، (٣/٣)

٣- وفريق يُعدُّون الديمقراطية صنماً يُعبد من دون الله، ويعدون ما يتفرع عنها من مؤسسات برلمانية وانتخابات وغيرها مؤسسات شركية كفرية؛ لأنها لا تحكم بما أنزل الله، ويعدون كل من يقبل بالديمقراطية ومؤسساتها ومفاهيمها كافراً؛ لأنه يرضى بالكفر ويخضع لمؤسساته!..

والدخول في اللعبة الديمقراطية -حسب رأيهم- فيه طاعة للذين كرهوا ما أنزل الله في بعض الأمور، وهي باب من أبواب الردة عن الإسلام. (١)

يقول الدكتور القرضاوي: ((رأينا ممن ينتسبون إلى الفقه في عصرنا، وهم يُحسبون ضمن فصائل الصحوة الإسلامية، من يقول: إن الشورى معلمة لا مُلزمة، وإن من حق ولي الأمر أن يستشير ليستشير، ثم ليضرب برأي أهل الشورى عرض الحائط إن شاء وينفذ رأيه هو! وإنه هو الذي يعين مجلس الشورى، ثم يقره إن شاء، ويحلّه متى شاء!))

رأينا من يرفض فكرة التعددية في ظل الدولة الإسلامية، ومن يرفض فكرة الانتخابات لاختيار رئيس الدولة، أو اختيار ممثلي الشعب في مجلس الشورى أو المجلس النيابي. ومن يرفض الأخذ بالأغلبية في التصويت، ومن يرفض مدة تحديد رئيس الدولة بسنوات معدودة، ومن يرى أن كل ما جاءت به الديمقراطية منكر تجب محاربتة.

رأينا من يرفض أن يكون للمرأة صوت في الانتخابات، بل أن يكون لها حق الترشيح في المجالس النيابية، وبذلك يعطل نصف الأمة، وكذلك من لا يعطي لغير المسلمين هذا الحق، في التصويت أو الترشيح، أو يكون لهم

(١) انظر: مدخل إلى ترشيح العمل الإسلامي، د. صلاح الصاوي، (ص/٩٠ وما بعدها).

نصيب من المشاركة في الحكم.

بل هناك من يقول: لا يجوز للمسلم أن يرشح نفسه للمجلس ولا لغيره، لأنه بهذا يطلب الولاية لنفسه، وطالب الولاية لا يُؤلَّى!.

وهؤلاء قلة بالنسبة لجمهور الصحوة الإسلامية، وإن كان صوتهم عالياً، وهناك قوى معروفة - معادية للصحوة الإسلامية والبعث الإسلامي - تنفخ في هؤلاء، وتحاول أن تضخمهم وتبرزهم، لغرض في أنفسهم..

وفي مقابل هؤلاء الجامدين: وجدنا من ينكر أن يكون في الإسلام دولة تحكم بما أنزل الله، ويفصلون بين الدين والسياسة فصلاً تاماً، فلا دين في السياسة، ولا سياسة في الدين!!..

وبين هؤلاء العلمانيين المتحللين من عُرا الإسلام، وأولئك الجامدين الغائبين عن العصر: يقف تيار (الوسطية الإسلامية) يأخذ الإسلام من منابعه الصافية، ويؤمن بأنه منهاج كامل للحياة، للفرد والأسرة والمجتمع والدولة، وهو ينظر إلى الإسلام بعين، وإلى العصر بعين، يجمع بين القديم النافع والحديث الصالح، ويلتزم بالسلفية المجددة، ويوازن بين الثوابت والمتغيرات، ويدعو إلى احترام العقل، وتجديد الفكر، والاجتهاد في الدين، والابتكار في الدنيا، ويقتبس من أنظمة العصر أفضل ما فيها، ويرى أن الديمقراطية أقرب ما تكون إلى الإسلام، بعد أن تُنقى من بعض ما بها من شوائب، وأن تُطعم بما ينبغي من قيم الإسلام وأحكامه<sup>(١)</sup>.

(١) من فقه الدولة في الإسلام، د. يوسف القرضاوي، (ص/٨ وما بعدها).

## المطلب السابع: من نقاط الاتفاق بين الإسلام والديمقراطية.

والإسلام يتفق مع الديمقراطية في أمور ويختلف معها في أمور أخرى..<sup>(١)</sup>  
فمما يتفقان فيه نسبياً:

- ١- الحاكم يُنتخب من قبل الشعب أو ممثليه.
  - ٢- للشعب أو ممثليه مناصحة الحاكم، أو محاسبته، أو عزله إذا لزم الأمر.
  - ٣- إقامة العدل والحرية والمساواة.
  - ٤- كفالة حقوق الإنسان في الحرية والعمل والتملك وحرية التعبير والاعتقاد والكرامة الإنسانية والحماية القضائية وغيرها.
  - ٥- استقلال السلطات الثلاث عن بعضها التشريعية والقضائية والتنفيذية، فلا يوجد في الإسلام نص يمنع من ذلك.
  - ٦- مبدأ تداول السلطة، فلا يوجد في الإسلام نص يمنع من ذلك.
  - ٧- حق الانتخاب والترشح للرجال والنساء.
  - ٨- حق الانتخاب والترشح للمسلمين وغير المسلمين.
- وهذه الأمور سبق الإسلام بتقريرها قبل الديمقراطية بألف ومئتي عام تقريباً.. علماً بأن التكفيريين يرفضون ما سبق ذكره، ويصرون على تكفير الديمقراطية جملة وتفصيلاً وكل من يتعامل معها.

(١) انظر: بحث الشورى في كتاب فقه الدعوة والحياة في سيرة وشمائل وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ، الجزء الأول، للمؤلف.

## المطلب الثامن: من نقاط الاختلاف بين الإسلام والديمقراطية.

ومما يختلفان فيه:

١- التشريع في الديمقراطية، هو ما يتفق عليه اجتهاد أكثرية أعضاء البرلمان، أما التشريع في الإسلام فيزيد على ذلك أنه لا يخالف الكتاب والسنة.  
٢- الديمقراطية في الإسلام تنضبط بالقيم الأخلاقية وبالحقائق العلمية، وهذا لا يُشترط في الديمقراطية الغربية، فمن منطلق الديمقراطية يمكن للبرلمان أن يشرع بصحة وقانونية الزواج المثلي، أو الإجهاض بلا قيود، أو تعاطي المسكرات وأمثال ذلك، مادامت تحظى بموافقة الأكثرية!!، وهذا أمر مرفوض في الإسلام.

٣- الديمقراطية في الإسلام غير عنصرية، أي أن مبادئها تطبق داخل حدود الدولة الإسلامية وخارجها، أما في الديمقراطية الغربية فتطبقها الدول على رعاياها على الأغلب، بينما تتعامل خارج حدودها بطريقة عنصرية انتقائية. وليس أدل على ذلك إلا المعاملة الظالمة التي يتم التعامل بها مع أغلب الدول الإسلامية، وبخاصة فلسطين. إن حماية حقوق الإنسان وهي من أهم مبادئ الديمقراطية لا تُطبق على الشعب الفلسطيني، بينما تُطبق بشدة على سكان الكيان الإسرائيلي الغاصب.. وإن السلاح النووي محرم على الأغلبية الساحقة من الدول الإسلامية، ولكنه مباح ومؤيد ومدعوم بالنسبة للكيان الإسرائيلي.. بل إن الديمقراطيات الغربية تمنع وصول التكنولوجيا الحديثة إلى بلدان العالم الإسلامي بما في ذلك استخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية، وصناعة الأدوية المتطورة.. والديمقراطيات الغربية تقوم على مفهوم استعماري مصلحي؛ فهي تبيح لحكوماتها شن

الحروب على الدول الأخرى التي لا تخضع لإرادتها وذلك للسيطرة على منابع النفط فيها، أو استغلال أراضيها بطريقة غير أخلاقية حيث تقوم بدفن النفايات النووية والكيميائية السامة في أراضي الدول الفقيرة والضعيفة المغلوبة على أمرها.

٤- السيادة في الديمقراطية للأمة، وأما السيادة في الإسلام فللشريعة والأمة<sup>(١)</sup>؛ لأن إرادة الأمة الجامعة أحد مصادر السيادة والتشريع في الشريعة..

٥- وتتفوق الديمقراطية الإسلامية على غيرها بسبب استنادها إلى مبدأ الرحمة، وإغاثة الملهوف، والإيثار، والتضحية، وغيرها من أجل الآخر. وهي مفاهيم غير واردة في الديمقراطية الغربية؛ لأنها تقوم على مبدأ تحقيق المصلحة الذاتية.

٦- وتتفوق الديمقراطية الإسلامية على الديمقراطية الغربية بشروط المرشح للانتخابات وشروط الناخب، ففي الديمقراطية الإسلامية يجب أن تتوفر في المرشح شروط تثبت أمانته وقوته وقدرته وكفاءته وعدالته وأهليته... على أداء واجباته، وسقف الشروط للمرشح والناخب أعلى فيها من أمثالها في الديمقراطيات الأخرى..

● ولقد استطاع الإسلاميون الوسطيون أن ينجحوا في الانتخابات بدول عديدة، ونجحوا بتطبيق بعض البرامج الإسلامية في نواح متعددة، واستخدموا حكمة التدرج وما زالوا يحاولون، ولعلهم ينجحون على أرض الواقع في إنتاج نظام ديمقراطي جديد يكون متوافقاً مع (الديمقراطية الشورية الإسلامية)...



(١) انظر: النظريات السياسية الإسلامية، د. محمد ضياء الدين الرئيس، (ص/٣٧٨ وما بعدها).

## المبحث الثالث والعشرون إشكالية تأمين معيشة الدعاة

### المطلب الأول: فشل الحلول الحالية.

لقد فشلت أكثر الجماعات الإسلامية في إيجاد حل لهذه الإشكالية، التي تسبب هجرة المواهب والكفاءات المؤثرة من المكونات الدعوية..

فبعد سنين طويلة ومضنية في إعداد الدعاة وتأهيلهم وتربيتهم وتعليمهم وإكسابهم الخبرات.. وبعد نزول هؤلاء الدعاة الجدد إلى الساحة العملية في الدعوة، وبعد نجاحهم وتحقيقهم لإنجازات طيبة وظاهرة..

بعد كل هذا يقف الدعاة المؤهلون الموهوبون الناجحون أمام إشكالية ضخمة وصعبة لا يجدون حلاً لها، ويجدون أنفسهم أمام خيارات عدة:

**الأول:** العزوف عن متطلبات الحياة من مسكن وزواج ونفقات، والتوجه للتفرغ الكلي للعمل الدعوي مع تحمل المعاناة الكبيرة وشبه المستحيلة نتيجة لذلك، ومع ما في ذلك من مخالفة لمبادئ الإسلام.

**الثاني:** العزوف عن متطلبات الدعوة، والتفرغ الكلي لأعباء الحياة الثقيلة.

**الثالث:** إعطاء الدعوة الوقت القليل الفائض، بعد تأمين الشؤون الحياتية.

**الرابع:** التفرغ للدعوة، مع تكفل مؤسسات الدعوة بكفائيتهم.

بداهةً، أن الخيارين الأول والثاني مرفوضان؛ لأنَّ الأول يتناقض مع مبدأ الفطرة الإنسانية، وهذا ما يرفضه الإسلام. والثاني يتناقض مع واجب الدعوة الذي يدعو إليه الإسلام.

وأما الخيار الثالث فمرفوض أيضاً، إذ كيف يمكن أن تنجح مسيرة الدعوة الضخمة على المستوى المحلي والعالمي في عملية البناء والانتشار من جهة، وفي عملية مواجهة الحرب العالمية على الإسلام ودعوته من جهة أخرى، بالاعتماد على الوقت المستقطع والفائض عن برامجنا الحياتية؟!؟!..

### المطلب الثاني: التفرغ هو الحل.

أليست المؤسسات على اختلاف تخصصاتها (جامعات، شركات، مراكز بحوث، مؤسسات اقتصادية...) تؤمن كفاية العاملين فيها مقابل تفرغهم لها، وهذا ما يؤدي إلى نجاحها وتآلقها وتحقيق أهدافها، كما يؤدي إلى ظهور الإتقان والإبداع عند المتفرغين؟!؟!..

أليست جماعات الدعوة أولى بتفريغ المبدعين والموهوبين من دعائهم، حتى تتمكن من إنجاز النجاح والتألق وتحقيق الأهداف؟!؟!..

ولكن نظام تفرغ الدعاة لا يمكن تنفيذه في الجماعات الدعوية التي لا تقوم على قاعدة العمل الجماعي والمؤسسي.

### رؤية

إن الجماعات الدعوية القائمة على قاعدة العمل الجماعي والمؤسساتي تستطيع بسهولة أن تنفذ نظام التضرع وذلك بإقامة إدارة مالية تقوم برعاية الدعاة الموهوبين المتضرعين، وتؤمن لهم كفايتهم. ويكون لها نظام مالي كأى مؤسسة أخرى (جامعة، مركز بحوث..) وتكون مصادر التمويل من اشتراكات أعضاء الجماعة وبخاصة رجال المال والأعمال، إضافة إلى مصادر المشاريع الوقفية التي يتم إقامتها لغرض محدد، وهو كفالة الدعاة.

وبهذا تتحقق للدعاة كرامتهم وكفايتهم، ويتحقق للدعوة النجاح والتميز والتفوق، وبالمقابل نقطع الطريق على الذين يبحثون عن تجميع الثروات باسم الدين.

هل هذا مستحيل؟!..

لماذا يُطالب المجتمع بتأمين كرامة وكفاية الطبيب والمحامي والمهندس والمعلم والحرفي وغيرهم، وعندما نصل إلى الدعاة والعلماء يسقط هذا المطلب، ويُستبدل بمطلب آخر ألا وهو الزهد؟!..

والحقيقة: أننا لا نطالب الدعاة بالزهد بل نطالبهم بالفقر والجوع والحاجة ومد يدهم بذل إلى أصحاب الأموال!!.. إذ بماذا يزهد الفقير؟!.. وهو لا يملك شيئاً من متاع الدنيا ليزهد فيه!..

## المطلب الثالث: ثقافة مريضة.

لقد سادت في أحقاب زمنية سابقة ثقافة مريضة، تطالب الدعاة والعلماء بكل شيء، على ألا يُقدّم لهم شيء!!..

مطلوب من الدعاة والعلماء أن يتفرغوا للإمامة والخطابة والوعظ والإرشاد وجميع النشاطات الدعوية، وعليهم أن يكونوا جاهزين دائماً لحل جميع المشكلات التي تعترض حياة المسلمين، وعليهم أن يُلبّوا جميع الدعوات التي توجّه إليهم، وأن يُقدّموا دائماً علماً نافعاً جديداً، وأن يبهروا العقول والنفوس بما يقدمون، وأن يقفوا في وجه الظلم والظالمين، وأن يقارعوا أمريكا وأوروبا والغرب عموماً وحركاتهم التبشيرية والتنصيرية وشبكاتهم الإعلامية والعنكبوتية ومخططاتهم الاستعمارية، وأن يساهموا في حل جميع مشاكل المجتمع.. وأن يعطوا.. وأن يجاهدوا.. وأن يبذلوا.. وأن يضحوا بأوقاتهم، وأن يؤثروا الدعوة على أنفسهم وأهليهم وأولادهم، وألا ينشغلوا عن واجباتهم بشيء.

وبالمقابل، يطالبون أيضاً بالزهد في الدنيا ومتاعها وطعامها وشراها ولباسها ومالها ومركوبها!! فلا يقتنون بيتاً ولا سيارة ولا يُروّحون عن أنفسهم، ولا يسافرون، ولا يتنزهون، بل لا يمرضون!!.. ويبلغ الأمر أن بعض المسلمين يضيق صدرهم بإمامهم إذا غاب عنهم بسبب المرض أو ذهب لأداء مناسك العمرة، فلا تعجبوا!!.

## المطلب الرابع: واجب الأغنياء.

إن أغنياء المسلمين يتحملون مسؤولية كبيرة في نجاح العمل الدعوي، وانتشار الدعوة الإسلامية، علماً بأن جهودهم في تلبية احتياجات الدعوة المالية، لا تقل أهمية عن الجهود الأخرى المبذولة في خدمة الدعوة الإسلامية.

## المطلب الخامس: تحذير.

يجب سدُّ باب المنَّة الشخصية من الأغنياء على الدعاة، حفظاً لكرامتهم وحرّيتهم بأداء النصح للجميع، وحفاظاً على مقام التعليم والتوجيه والتزكية والتربية..

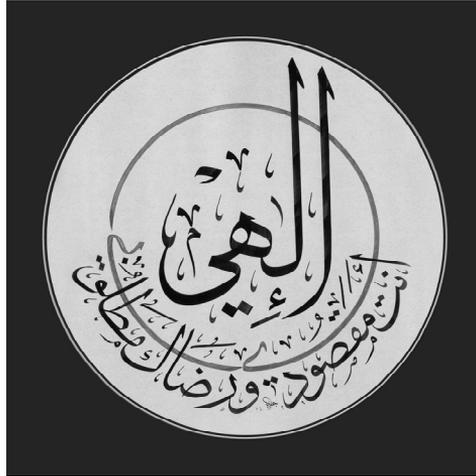
ولا يمكن أن يكون ذلك إلا من خلال إدارة مالية تتبع مؤسسة الدعوة ولا سلطة لأحد من الأغنياء عليها.

ولقد شاهدنا في عصرنا الحاضر اختراق بعض الأثرياء للصفوف الأولى للدعوة -وليس لهم ما يؤهلهم أن يكونوا في الصف الخامس-<sup>(١)</sup> يفرضون رأيهم على قادة الدعوة في شؤون لا يدرّكها إلا الدعاة المتخصصون، ويشكلون تحزّبات ضمن الجماعة الإسلامية فيرفعون هذا ويخفضون هذا، ويقدمون هذا، ويؤخرون هذا، تبعاً لأهوائهم وبغير علم، ويظنون أن على جميع الدعاة أن يقدموا لهم الطاعة والولاء لأنهم يملكون المال!!

ومن جهة أخرى، هناك أغنياء ربانيون ينفقون على الدعوة بغير

(١) انظر: مقدمات للنهوض في العمل الدعوي، د. عبد الكريم بكار، (ص/١٢٣).

حساب، ويتأدبون مع الله، فلا يتدخلون في غير تخصصهم، ويتواضعون فلا يرغبون في الظهور، بل يصرون على عدم إظهارهم وذكر أسمائهم وأعمالهم، ينفقون بإخلاص لا يبتغون إلا وجه الله تعالى.



## المبحث الرابع والعشرون إشكالية النمو ثم الضمور والتفتت

### المطلب الأول: تكرار التجارب التي لا تمتلك حلاً عاماً للأمة.

عندما يتوافر للعمل الإسلامي قائد جماهيري، يمتلك القدرة على التأثير الواسع في عواطف الناس وتجيئهم، فإن العمل الدعوي ينمو بسرعة ويتسع، ولكنه لا يلبث أن يُصاب بالضعف مع مرور السنين وذلك لعدم توافر خطط ومناهج وبرامج وسياسات وخطاب عقلي يحاكم الأمور على نحو عميق ومقنع، ولعدم قيام العمل على قاعدة مؤسساتية متينة..

وعندما يشيخ القائد وتضعف قدراته يُصاب العمل بالهمود والتباطؤ والضمور، فإذا مات تفتت العمل من بعده. وهذا حال الكثير من التجمعات الإسلامية التي قامت على قاعدة القائد الرمز..

وتتكرر التجارب، وتتكرر النتائج، والمحصلة عدم تحقيق أهداف الدعوة الإسلامية بإقامة مجتمعات إسلامية ناهضة.

### المطلب الثاني: الحل بالعمل الشوري الجماعي.

لقد أثبت التجارب والخبرات المتراكمة أن الاستمرارية في العمل الدعوي لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كان العمل قائماً على مفهوم جماعي شوري منظم، ويعتمد على هيكلية مؤسساتية، يقودها متخصصون كل في

مجال اختصاصه، وفق برامج محددة، ومناهج شاملة، وأهداف مقنعة.

### رؤية

يجب على كل جماعة إسلامية التحول إلى العمل المؤسسي المنظم القائم على التخطيط، وإجراء مراجعة وتصويب لأهدافها، والتأكد من حيويتها وجاذبيتها، وقدرتها على إقناع أعضاء الجماعة، ووضوح الحماسة فيهم، من أجل أن يجتهدوا ويضحوا لتحقيق هذه الأهداف..

أما إذا خَبَّتْ جذوة حيوية الأهداف وشاخت، ولم تكن حاضرة في أذهان أتباعها، فسيؤدي هذا إلى بداية تآكل الجماعة وانفراط عقدها.

● إن الجماعات التي لا تعمل من خلال قيادة جماعية شورية، غالباً ما تقوم على تجمعات داخلية ذات نفوذ أكبر من نفوذ رأس الجماعة، بسبب خصوصية لقاءاتها وبرامجها وقربها من أعضائها وملاستها لأفكارهم ومشاعرهم واحتياجاتهم.. بينما تعيش الزعامة مشغولة ببرامجها بعيداً عنهم لا تتحسس مشاعرهم ولا تعيش قضاياهم..

وهذه التجمعات الداخلية التي لا تخضع لقيادة شورية، سوف تتشظى إلى تجمعات صغيرة يصعب احتواؤها؛ لأنها لا تخضع لمنهج موحد، وبرنامج محدد، وخطط مرسومة، وتركت لأقدارها وأمزجتها المختلفة لسنوات طويلة.

### إضاءة

إن تربية أبناء الجماعة وتدريبهم من البداية على العمل الجماعي الشوري، وتوثيق ارتباطهم بهيكلية الجماعة وبرامجها، بدلاً من الرابطة الشخصية، أساس مهم لاستمرار عمل الجماعة واحتفاظها بحيويتها.



## الخاتمة

لابدً من المراجعات والنقد الذاتي والترشيد الداخلي..

إن وسائل وأساليب العمل الدعوي، والتنوع في المناهج، هي قضايا تقع ضمن دائرة الاجتهاد البشري غير المعصوم، وهي فرع يخضع للسياسة الشرعية، ومقاصد الشريعة، والموازنة بين المصالح والمفاسد. فهي قابلة للخطأ والصواب، وليست بتنزيل مقدس لا يقبل المناقشة والتصحيح والتصويب.

### واجب

يجب على جميع مكونات العمل الإسلامي، إجراء مراجعات وتصويبات دورية، ونقد ذاتي وموضوعي؛ لتحديد نقاط الضعف والقوة، ومواطن العلل والصحة، ووضع خطط وبرامج للإصلاح، وتنفيذها بدقة وبإخلاص، حرصاً على سلامة وديمومة العمل، وسعياً لتحقيق الأهداف المرجوة.

هذا ما وفقنا الله إليه..

نرجوه تعالى القبول، وأن يجعل فيه النفع والخير والبركة لنا وللمسلمين، وأن يُلهمنا السداد والرشاد إنه على ما يشاء قدير..  
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

## الملاحق

# تجديد التصوف بإعادته إلى قواعد القرآن والسنة واقترح ميثاق العمل الصوفي<sup>(١)</sup>

(١) محاضرة سماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو في اجتماع لجنة التنسيق والمتابعة للطرق والحركات الصوفية في القيادة الشعبية الإسلامية العالمية، المنعقد من ٢١ إلى ٢٣/٣/١٩٩٥، في باكو في أذربيجان.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### أولاً - الأفكار الرئيسية:

- ١- أنشطة علماء التصوف السابقين شملت مجالات:
  - أ. التربية والتركية: فهما تمثلان المدرسة الروحية الإيمانية في المجتمع الإسلامي.
  - ب. الجهاد: إنشاء رباطات وزوايا للذكر والجهاد.
  - ج. الدعوة: إيصال الإسلام إلى المناطق التي لم يصل إليها الفتح العسكري.
- ٢- ثمة أخطاء دخيلة على التصوف عكرت نقاءه، ونفرت بعض الناس منه.
- ٣- ضرورة تجديد التصوف وإزالة اللبس عنه، والأخطاء الموجودة عند البعض لا تنفي مشروعية الأصل كما في أي علم.
- ٤- العالم المادي بحاجة إلى جهود الصوفية لنشر الدعوة الإسلامية فيه، بسبب ما تمتلكه من خصائص روحية وأساليب إيجابية.
- ٥- يجب حماية العمل الصوفي من الخلل، وتحصينه بالتعليم الشرعي لتخريج قيادات صوفية عالمية مؤسسة على أصول الكتاب والسنة.

- ٦- ضرورة التقارب مع التيارات الإسلامية بالعودة إلى مصطلحات الكتاب والسنة ورفع التسميات المسببة للتفرقة.
- ٧- يجب أن يكون عمل الحركات الإسلامية- على مختلف توجهاتها- قائماً على ثلاثة أركان: العلم والتزكية والحكمة.
- ٨- اقتراح ميثاق العمل الصوفي لتنظيم جهود الحركات الصوفية في العالم.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ثانياً- نص المبحث:

لقد كان هذا اللقاء وأمثاله مُنية يشتاق إليها سائر السالكين إلى الله والعاملين في حقل التزكية والإحسان والدعوة إلى الله عز وجل. وها نحن اليوم نفرح بتمام النعمة؛ فما كان أملاً يرتجى، صار اليوم واقعاً مشهوداً يفرح به المؤمنون.

لقد نهض التصوف برسالته منذ فجر الدعوة الإسلامية، في التزكية والإحسان وبناء المؤمن الحق، وكان علماء التصوف يطوفون في عواصم العالم الإسلامي، فيملئونها بقوافل الدعاة العاملين: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [سورة الأحزاب].

ويمكن قراءة نشاط علماء التصوف السابقين في جوانب ثلاثة:

١- في مجال التربية؛ فقد كانوا هم مدرسة التربية والتزكية داخل المجتمع الإسلامي، وكانوا بذلك رافداً لا غنى عنه لمراكز العلم؛ إذ بهم يتحقق تكامل العلم والسلوك، حتى صار من المسلم به أن العالم لا يتصدر للفتيا والتدريس إلا بعد التخرج في مدرسة التربية والتزكية.

٢- في الجهاد؛ فقد كانوا يَنْشُرُونَ في حلقات الذكر على التعلق بالآخرة، والشوق إلى لقاء الله، فينفرون في ثغور البلاد الإسلامية مجاهدين صابرين. وهكذا، فقد أنشؤوا الرباطات على أطراف المدن الإسلامية، فكانوا يشتغلون فيها بذكر الله، حتى إذا ما دعاهم داعي الجهاد، كانوا خيل الله السابقة، رجاء أن تصيهم بركة قول النبي ﷺ: «عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله»<sup>(١)</sup>.

٣- في الدعوة إلى الله؛ فقد كان علماء التصوف ينفرون من رباطاتهم وزواياهم إلى الآفاق، فيبلغون مكامن التأثير في قلوب الخلق، وهي المواقع التي لم تكن تبلغها جيوش الفتح العسكري، فكان الدعاة من علماء التصوف يتكفلون بهذه الرسالة، ويخترقون مراكز الثقافة والتأثير في مختلف أنحاء الأرض.

ولكن اختلط بصفاء التصوف وعدوبة مائه بعض الأخطاء، وهذا جعل بعضهم لا ينظر إليه بعين الرضا والقبول، بل يعده أمراً زائداً عن الدين لا حاجة للمسلم إليه. والحقيقة أن التصوف - بنقائه المستمد من القواعد القرآنية والسنة النبوية وأحوال السلف الصالح - جزء مهم في تكوين شخصية المسلم، وحسن عقيدته، ونجاته في الدنيا والآخرة.

فلا بد من أن نجدد التصوف على نحو يزيل عنه ما ليس منه، وينقيه من العثرات والهفوات، شأنه شأن بقية العلوم الشرعية، التي خالطتها أخطاء

(١) أخرجه الترمذي في "سننه" برقم [١٦٣٩] (ص/٢٨٥)، وهو صحيح.

ليست منها، ولم ينفِ ذلك عنها شرعيتها وضرورة تجديدها وتعلمها. وبعد أن نقيم التصوف بثوبه القرآني المتجدد، يجب أن نعمل على نشره بين المسلمين معلّمين ومتعلمين، لئسهم في نهضتهم من ركودهم، والعودة بهم إلى منهج نبيهم، والقيام بواجبهم في الدعوة إلى الإسلام علماً وعملاً، حالاً وقالاً، روحاً وجسداً؛ فإن العالم اليوم قد تحضر مادياً، ولكنه في أشد العطش إلى حضارة روحية يحملها له علماء التصوف الإسلامي، بعد أن يوحدوا جهودهم وينسقوا أفكارهم وخططهم.

الإسلام دين الدعوة، والإسلام دين العصر، والإسلام دين التقدم، بما يحمله بين طياته وتعاليمه من القدرة على حل المشكلات المعاصرة في عالمنا اليوم.

وهذا يفرض على الحركات الصوفية- في العالم الإسلامي وخارجه- تحمل واجباتها في وضع خطة لنشر الدعوة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها؛ فهي قادرة على الانتشار الواسع، بطريقة هادئة محببة، بعيدة عن الاستفزاز. وهذا الأمر يفرض علينا- جميعاً- أن نؤمن لهذه الحركات كل الدعم مادياً ومعنوياً في أنحاء العالم كافة، لتضمن نجاحها في أداء مهمتها.

وإن من أعظم الواجبات المؤدية إلى النجاح، تحصين العمل الصوفي، بنشر مدارس التعليم الشرعي في الحركات الصوفية لتخريج قيادات صوفية عالمة، تستند في عملها إلى أساس متين من العلوم الإسلامية، بفروعها الشرعية والفكرية والحركية.

ولكي لا تتعثر هذه الجهود، لا بد- أولاً- أن نزيل الحواجز التي بينها وبين بقية التيارات الإسلامية، بالتقارب مع تلك التيارات، عبر الهدف

المشترك بالعودة إلى الكتاب والسنة وإلى ما كان عليه سلفنا الصالح من دون زيادة أو شطط، ومن دون الوقوف عند التسميات، التي تباعد بسببها المسلمون وصاروا فرقاً وشيعاً، ولكي نرجع إلى المسمى والمعنى الحقيقي، وهو الاقتداء الكامل برسول الله ﷺ علماً وعملاً وإخلاصاً، وعند ذلك تتآلف القلوب وتنتفي الخصومات والعداوات.. ونكون يداً واحدة في نشر الوعي بين المسلمين، وتصحيح عقائدهم، وإيجاد المجتمع المسلم الذي أراده رسول الله ﷺ كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. ولقد لخص الله تعالى مهام بعثة رسوله ﷺ فجعلها في أمور ثلاثة، يقول تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [سورة الجمعة].

فعلى هذه الأركان الثلاثة- العلم والتزكية والحكمة- يتوقف نجاح الحركات الإسلامية اليوم.

وفي الختام، أغتنم هذه الفرصة لأضع بين أيديكم ميثاقاً للعمل الصوفي، يحتاج إلى مناقشتكم وإضافاتكم، سائلاً الله تعالى أن يوفقنا جميعاً لتوحيد الجهود من خلال ميثاق العمل الصوفي وخطة العمل المستقبلية التي تقررونها، لدعم الحركات الصوفية، وانفتاحها على جميع المسلمين بتياراتهم المختلفة، مع تطوير وسائل الدعوة، وتبيين التصوف الصحيح سلوكاً ودعوةً، بصفته جزءاً لا يتجزأ من المنهج الإسلامي.

## ميثاق العمل الصوفي الناظم لجهود الحركات الصوفية

### المبادئ

المبدأ الأول: تجديد التصوف وتنقيته، والعودة به إلى القواعد القرآنية والسنة النبوية المطهرة.

المبدأ الثاني: نشر التصوف المُجدِّد وتعليمه، بصفته جزءاً مهماً في تكوين شخصية المسلم.

المبدأ الثالث: توحيد الحركات الصوفية في العالم والتنسيق بينها، واستقطاب أكبر عدد منها للعمل التوحيدي من خلال الميثاق.

المبدأ الرابع: دعم الحركات الصوفية- الموقعة على الميثاق- مادياً ومعنوياً في أنحاء العالم.

المبدأ الخامس: تنمية حركات التصوف في المناطق الحساسة من العالم، بالإفادة من قدرته المتميزة على الانتشار الواسع، بطريقة هادئة بعيدة عن الاستفزاز.

المبدأ السادس: التقريب بين الصوفيين والسلفيين الحقيقيين وبقية التيارات الإسلامية، لتوحيد الجهود في خدمة الدعوة الإسلامية.

المبدأ السابع: تحصين العمل الصوفي بنشر مدارس التعليم الشرعي في

الحركات الصوفية، لتخريج قيادات صوفية تستند في عملها إلى أساس متين من العلوم الإسلامية بفروعها الشرعية والفكرية والحركية.

المبدأ الثامن: تطوير وسائل الدعوة في العمل الصوفي باستعمال المخيمات والأنشطة الحركية المختلفة.

### الوسائل

- ١- تأليف الكتب لتشكيل مكتبة صوفية حديثة على قواعد القرآن والسنة النبوية، ومن خلال المبادئ التي يقوم عليها الميثاق.
- ٢- إقامة المؤتمرات لمعالجة قضايا محددة من خلال مبادئ الميثاق، يحضرها قادة التصوف في العالم.
- ٣- إقامة ندوات فكرية جماهيرية ميدانية على مستوى المدن أو مستوى البلدان، يقوم بتنفيذها مجموعة قيادات صوفية متنورة، يُجمع لها أتباع الحركات الصوفية في تلك المناطق للاستماع والتوجيه بعيداً عن المظاهر والاستعراضات.
- ٤- إقامة دورات على شكل محيمات سنوية، تتراوح مدتها بين ١٥ و ٣٠ يوماً، يقوم بتنفيذها قيادات إسلامية صوفية فكرية حركية متنورة، تُخصَّص بها القيادات الناشئة في الحركات الصوفية العالمية، بقصد التعارف والتوحيد والتنوير والتصحيح والتدريب، على

أساس من الكتاب والسنة والإحاطة بقضايا الشعوب الإسلامية ومشكلاتها على المستويات كافة.

[ترشح كل جماعة موقّعة على الميثاق ١٠ إلى ٢٠ مشاركاً؛ على نحو لا يقل عدد المشاركين في المخيم الواحد عن ٣٠٠ مشارك سنوياً].

٥- إقامة دورات للأئمة والخطباء والدعاة على حسب المناطق الإقليمية، ومراعاة اللغة، لتنمية معارفهم التربوية الروحية، وحثهم على تبني التصوف سلوكاً ودعوة، بصفته جزءاً لا يتجزأ من المنهج الإسلامي.



# الفهارس



فهرس الأحاديث الشريفة

فهرس الفوائد والحقائق

فهرس الأشعار

فهرس المصادر والمراجع

فهرس المحتويات



## فهرس الأحاديث

الرقم	الحديث	الصفحة
١	أَحْفَظُوهُنَّ وَأَخْبِرُوا بِهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ -----	٩١
٢	إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار -	١٩٦
٣	إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ ----	١١٠
٤	إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤْمَرُوا أَحَدُهُمْ-----	١٤٦
٥	إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما-----	١٩٧
٦	اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَإِنْ اسْتَعْمَلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ-----	٢٣١
٧	أُمِرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ -	٢٤٩
٨	إِنَّ أَتْفَاكُمُ وَأَعْلَمَكُمُ بِاللَّهِ أَنَا-----	٢٠٧
٩	إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَاتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا-----	٣٥
١٠	أَنَّ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ الْهَرَجَ. قِيلَ: وَمَا الْهَرَجُ؟ -----	٢٦٥
١١	أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ -----	٢٧٠
١٢	إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام -----	١٩٦
١٣	أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى -----	٩١
١٤	إِنَّكَ تَقْدُمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلُ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ-----	٨٦
١٥	إنك لست ممن يفعله خيلاء-----	٣٧
١٦	إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ - أي من القرآن الكريم- --	٨٧
١٧	أي عرى الإيمان - أظنّه - قال أوثق؟-----	٢٣٧
١٨	بعث النبي ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما -----	٨٦
١٩	بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، -----	٣٤
٢٠	تبسمك في وجه أخيك صدقة-----	١٧٠
٢١	تهادوا تحابوا -----	١٦٩
٢٢	على المرء المسلم السمع والطاعة فيما -----	٢٣٣

٢٣٢	-----	عليك السمع والطاعة في عسرك	٢٣
٢٩٦	---	عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله	٢٤
٨٥	-----	فُرِضَتِ الصَّلَاةُ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ هَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ	٢٥
١٣٨	-----	كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ	٢٦
٤٨	-----	كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ	٢٧
١٩٦	-----	كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه	٢٨
٣٤	-----	كُلُوا وَاشْرَبُوا وَابْسُؤُوا وَتَصَدَّقُوا فِي غَيْرِ	٢٩
١٧٠	-----	لَا تَحْفَرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنَّ تَلَقَى	٣٠
١٩٧	-----	لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم	٣١
٢٣٣	-----	لا طاعة في معصية الله، إنما الطاعة في المعروف	٣٢
٢٧٦	-----	لا ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من	٣٣
١٤٧	-----	لا يَسْتَرْعِي اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدًا	٣٤
١٨٥	-----	لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُ الْعَصْرِ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ	٣٥
٣٤	-----	لا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ	٣٦
٣٤	-----	لا يَنْظُرُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطْرًا	٣٧
١٧٢	-----	لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ	٣٨
٣٧-٣٥	-----	لست ممن يصنعه خيلاء	٣٩
١١٨	-----	لَقَدْ شَهِدْتُ فِي دَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ حَلْفًا	٤٠
٣٣	-----	مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الْإِزَارِ فِي النَّارِ	٤١
١٤٧	-----	مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشْرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ	٤٢
١٧١	-----	مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللَّهُ عَبْدًا	٤٣
١٦٩	-----	مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ	٤٤
٢٠٩	-----	المرء مع من أحب	٤٥
٣٤	-----	مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	٤٦
٢٣٠	-----	من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات	٤٧

١٩٦	-----	من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل	٤٨
٨٠	-----	مَنْ يُرِدِ اللَّهَ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ	٤٩
١٨٠-١٦٦	-----	المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً	٥٠
٣٨	-----	نَعَمْ الرَّجُلُ أَنْتَ يَا خَرِيمٌ لَوْلَا خُلَّتَانِ فِيكَ	٥١
٨٩	-----	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنْ لَوْ تَدُوْمُونَ عَلَيَّ مَا	٥٢
١٤٧	-----	يا أبا ذر، إنك ضعيفٌ، وإلها أمانةٌ، وإلها	٥٣
٨٥	-----	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تَفْلِحُوا	٥٤
٢٣٤	-----	يا عديُّ، اطرح هذا الوثن من عنقك	٥٥



## فهرس الفوائد والحقائق<sup>(١)</sup>

### مرتبة حسب ورودها في صفحات الكتاب

إن الدعاء الصادقين أصحاب الإنجازات الكبيرة في تاريخ الدعوة، أوتوا قلوباً منورة مؤثرة حية تتسع للحلم والصبر والتحمل... وبصيرة نافذة تستشرف المستقبل وتتدبر العواقب، وألسنة متصلة بالقلوب تنطق بالحكمة وقوة البيان والبرهان، فيستقر كلامهم في القلوب، يقتنع الناس بكمال أخلاقهم قبل أن يقتنعوا بقوة حجته، تجلس إليهم وأنت قادم من عالم غريب عن قيمهم وطبائعهم، فيسري فيك نور دافئ يستقر في جنانك، وتنزل السكينة في قلبك وتسكن لهذا جوارحك، فتأنس بمجالستهم وترتاح لصحبتهم، فتقوم من مجلسهم إنساناً آخر غير الذي كنت، تشع من قلبك وعقلك أنوار الإيمان، وتتفجر في وجودك طاقة إيمانية لا تهدأ، تدفعك للدعوة إلى الله تعالى كما يدعون، وتنطق بالحكمة كما ينطقون، وتنطبع فيك أخلاقهم ومزايهم وربانيتهم... فتعرف بهم..

٧

إن النجاحات يجب ألا تلهينا عن إجراء مراجعات دائمة ونقد ذاتي لمسيرتنا الدعوية، وإن ضيق صدر بعض العاملين بهذا النقد الذاتي والمراجعات، أو ترحيب البعض بهذا نظرياً، ومحاربتة عملياً وميدانياً، سيؤدي إلى ترسيخ الضعف والقصور في العمل الإسلامي الدعوي، وفشله في تحقيق أهدافه.

٨

يجب أن نفتح الباب لهذا الأمر على مصراعيه، وأن نخضع أعمالنا الدعوية للبحث والدراسة والتمحيص والتقويم والإصلاح، وندرب أبناء الدعوة على الحوار وتبادل الأفكار، ونجتهد في تحرير العقول، ونمكن لحرية التفكير واحترام الرأي الآخر، ونرسخ مفهوم الشورى في كل أعمالنا الدعوية، ونحترم القرارات الشورية لكونها ملزمة.

٩

علينا التعامل مع الاجتهادات في مجال العمل الدعوي، بصفتها اجتهادات في الفروع، وخاضعة لقواعد السياسة الشرعية ومقاصد الشريعة، وهي قابلة للخطأ والصواب... فلا يصح أن نكفر أحداً، ولا يصح الإنكار على المجتهد المخالف لنا في الفروع، ولا قداسة لأي اجتهاد بشري، فكل يُؤخذُ منه ويُردُّ عليه إلا رسول الله ﷺ .

٩

(١) فوائد وحقائق من أفكار المؤلف.

إن تشكيل رأي عام دعوي، يضغط على المفرضين والمخطئين من المنتسبين إلى مسيرة الدعوة باتجاه إصلاح ما فسد وتنمية ما صلح، أمر في غاية الأهمية لضمان سلامة مسيرة العمل الدعوي..

١٦-----

إن الدعاة الذين يمتلكون العقل الراشد والحكمة، والفهم والعلم بشرع الله تعالى، والخلق الحسن، وقد تزكت نفوسهم، وطهرت قلوبهم، وصفت أرواحهم فاستقاموا على الأدب مع الله تعالى، هم وحدهم الذين يؤخذ عنهم ويُقتدى بهم، ويطاعون بالمعروف، وبهؤلاء تستقيم الحياة، وتحقق النجاحات، وتنتشر قيم ومبادئ الدعوة إلى الله تعالى.

١٧-----

إن مرض الغرور والعُجب من أخطر الأمراض التي تصيب الدعوة فتقضي عليهم؛ لأن الدعوة تجلب إعجاب المعجبين، وثناء المداحين، ومداهنة المداهنين، وتلفت الأنظار، وتمنح الشهرة..

فإذا كانت القلوب والنفوس غير مزكّاة، كان ذلك سبباً في هلاكها.

١٨-----

إن من واجب الداعي إلى الله تعالى أن يصحح نياته، ويُنقي نفسه ومشاعره وأحاسيسه من كل ما يلوثها من جراثيم الغرور والعُجب، بعد تنفيذه لخطاب ارتجله، أو محاضرة ألقاها، أو كتاب ألفه، أو نجاح حققه.. وليكن همهُ تحصيل رضوان الله تعالى، وقبول العمل، والاستغفار من كل شائبة شابته..

٢١-----

الغرور يقصم الظهر

٢١-----

كيف تستقيم أمور الدعوة وأمراض النفوس تملأ النفوس!!؟

٢٢-----

عندما لا يستحي الداعي من نظر الله تعالى إليه، فلا تسأل عن حجم المخالفات التي يمكن أن يقع فيها، والموبقات التي تترتب عليها!!

٢٣-----

إن نشر مبادئ الدعوة الإسلامية وتمكينها في قلوب الناس، وإقناعهم بها، ليحملوها بحماسة وقناعة والتزام كامل، لا يمكن أن يكون إلا على يد أهل الذكر والحكمة والعلم والتزكية، أما إسلام المظاهر والمصالح والفساد، فلا يمكن أن يصل إلى قناعة الناس بعد ما لوثته أفكار وأعمال هؤلاء الأعداء.

٢٤-----

إن الدعوة إلى الله تعالى في الواقع ليست مجرد فكر.. أو علم.. أو خطة لمشروع تستطيع تنفيذه بمهاراتك الخاصة.. إنها أكثر من ذلك بكثير.. إن الدعوة إلى الله تعالى مخاطبة للعقل والقلب.. فالعقل يخاطبه العقل العالم.. والقلب يخاطبه القلب الذاكر..

٢٥-----

بعض هؤلاء يتطرفون بل يتطرفون في التطرف فيكفرون المسلمون والمسلمات والمجتمعات الإسلامية، ويستبيحون دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، ويرتكبون من الفظائع ما يندى له الجبين، ويشوهون الإسلام وسمعته، فيصدون عن سبيل الله تعالى. ومع ذلك ينتطعون ويستعلون ويقدمون أنفسهم على أنهم حماة الإسلام والشريعة، وأنهم الفئة الناجية يوم القيامة فتأمل!!

٢٦

كيف يقرر على الناس ما يجب وما لا يجب، وما يصح وما لا يصح، وما يجوز وما لا يجوز، من هو ضعيف في تحصيله العلمي؟  
وماذا ستكون النتائج إذا أطاع الناس هذا المنتسب للدعوة؟

٢٨

إن الداعي الناجح هو في الحقيقة موسوعة علمية وفكرية وثقافية تتطور باستمرار، وتضيف إلى رصيدها كل ما يستجد مما له صلة باختصاصه.

٣٢

معرفة المقاصد وفهمها يفيد معرفة مراتب المصالح والمفاسد، وهذا مهم عند الموازنة بين الأمور، فيدفع الداعي المفسد ويجلب المصالح، والذي لا يعرف ذلك كان قوله وعمله جهلاً، ومن عمل بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح..

٣٩

إن قيادة الدعوة الإسلامية تحتاج لأرجح العقول، وأحكمها، وأوعاها، وأنضجها..  
تحتاج للدعاة ذوي النظرة البعيدة الثاقبة الشاملة لكل أبعاد الأحداث الظاهر منها والخفي..  
تحتاج للدعاة الذين تتغلب عقولهم وحكمتهم وإرادتهم الفولاذية على العواطف والتجبيش والإشاعات والمؤامرات، وخبث الخبثاء ومكر الماكرين..  
تحتاج للدعاة الذين يخططون ويعملون ويستوعبون الأحداث ويضعون الأشياء في مواضعها، فيحققون للدعوة إنجازات تلو الإنجازات حتى تحقق أهدافها..

٤٠

إن الدعوة الإسلامية تحتاج إلى دعاة أخذوا حظهم من التركيز الحقيقية لا الشكلية، وأخذوا حظهم من العلوم الشرعية الضرورية مع فهم حكمتها ومقاصدها، وأخذوا حظهم من كافة العلوم اللازمة الأخرى، وأخذوا حظهم من الخبرات والتأهيل، واعتدلوا وأعطوا لكل أمر حقه.. أخذوا الإسلام بكماله وجماله.. ولم يعزلوا عن محيطهم وبيئتهم، والتصقوا بالناس وعابنوا بأنفسهم معاناتهم، وقاموا بإرشادهم إلى سبيل الخلاص والنجاة.

٤١

إن الدعوة إلى الله تعالى تحتاج للنخبة من أصحاب المواهب، الذين صُقلت مواهبهم وتُميت بالتأهيل والتدريب، عبر مؤسسات دعوية عالية الاختصاص، تستفيد من أحدث الأنظمة والخبرات المجربة قديمها وحديثها.

٤٢

إن الداعي الناجح هو إداري وقيادي ناجح.

٤٣

إن بعض المنتسبين للدعوة الذين أصابهم الترهل، وانتابتهم شيخوخة الهمم، وتحولوا إلى دعاة تقليديين متراخين متساهلين، كأنهم خُشبٌ مسندة، أو مومياءات محنطة، لا تُلهيهم حماسة الدعوة ولا أشواقها ولا مواجيدها.. هؤلاء في الحقيقة عبء على الدعوة، يُثقلون كاهلها.. تحملهم كارهة بدلاً من أن يحملوها، ويصيبونها بالوهن والضعف والفسل..

٤٣-----

إن البذل والتضحية والشجاعة والإقدام سماتٌ لازمةٌ للدعاة، فلا يصح أن تُعَدَّكَ مصالحك الدنيوية عن واجبات الدعوة والبذل والتضحية من أجلها..

٤٤-----

إن الداعي الناجح يترك وراءه أثراً في الناس في نشاطه الدؤوب في كل ميدان ..

٤٥-----

الداعي الحقيقي يصبغ.. ولا ينصبغ..  
لأنه مصبوغٌ بصبغة الله تعالى..  
ومن أحسن من الله صبغة؟!..

٤٦-----

إن الداعية الناجح هو الذي يمتلك القدرة على العمل على نحو متزن بحيث لا يُضيع حقوق الدعوة ولا يُضيع حقوق المعيشة..

٤٦-----

إن عيون الآخرين ترى فيك ما لا تراه بنفسك..

٤٨-----

إن واجب الدعاة تجاه إصلاح أنفسهم أكبر بكثير من واجبهم تجاه إصلاح مجتمعهم، فيجب ألا يشغلهم إصلاح مجتمعهم عن إصلاح أنفسهم..

٤٨-----

يجب أن نعترف بأخطائنا، وأن نُقَوِّمَ أعمالنا، وأن نضع الحلول لمشكلاتنا، وأن نأخذ بالأقوم، كي نحقق أهدافنا...

٥٣-----

عندما يستطيع العاملون في حقل الدعوة الإسلامية أن يفرحوا بصدق لفرح بعضهم، وأن يحزنوا لحزن بعضهم، وأن يحبوا لبعضهم ما يحبونه لأنفسهم.. وعندما يدركون أن أي نجاح يحققه البعض هو نجاح للجميع... عندها نكون قد خطونا خطوات مهمة نحو تحقيق الأهداف.

٥٩-----

لا مانع أن نختلف...

ولكن المانع أن نحترب..

٦٠-----

لا يخلو العمل الإسلامي في بعض مجموعاته من تحديد الأهداف والبرمجة والتنسيق مع الآخر، والملفت للانتباه أن أكثر هؤلاء هم ممن يمارسون العمل الإسلامي في الدول المتقدمة.. لقد أثرت أجواء العمل العام في تلك المجتمعات على أجواء العمل الإسلامي الخاص، فاستفاد العاملون من الأجواء الديمقراطية وعلوم الإدارة والقيادة الحديثة والعلوم اللازمة الأخرى، واستثمروها على نحو جيد، وهذا يعني أنه ليس من المستحيل أن تطور العمل الإسلامي في هذا الاتجاه إذا أردنا ذلك بعزيمة وصدق..

٦٢

إن تحديد الأهداف على نحو دقيق وصحيح، هو انتقال منطقي بالإرادات والأعمال الخلاقة إلى عمق المستقبل..

٦٤

على الداعي أن يكون متأنياً، وأن يحكم الأمور، ويضعها في مواضعها، ومن فعل ذلك كان حظه الصواب، ومن كان على الصواب كان حليفه النجاح والفلاح..

٧٣

على الداعي ألا يستعجل في اتخاذ القرارات التي تحتاج إلى دراسة إلا بعد دراستها، وتدبر عواقبها.. إن عدم تدبر عواقب التصرفات التي صدرت عن بعض الدعاة أدى إلى عواقب كارثية على الدعوة وشبابها، وما زال بعض الدعاة يكررون أخطاءهم الفادحة في هذا الموضوع الخطير..

٧٣

إن الخبراء يعلمون أن فقه الأولويات يكاد أن يكون مغيباً عن واقع العمل الإسلامي منذ مدة طويلة وحتى يومنا هذا.

٧٥

ليس المهم أن يكون وقتك مملوءاً بالعمل..

ولكن المهم أن يكون عملك هو الأهم في فقه الأولويات

٨٢

إن بعض الإسلاميين يقررون الأمور من خلال حماسهم وعواطفهم وأمانتهم وليس من خلال دراسة متأنية لواقع المجتمع ومدى تجاوب أفرادهم مع تطلعاتهم..

٨٣

إن الذين يريدون حرق المراحل، وإلغاء عامل الزمن في عملية التغيير، هم كمن يريد الحصول على الجنين، إنساناً كاملاً قوياً راشداً بعد شهر من تكوينه في بطن أمه..

٨٤

إن العمل الإسلامي يحتاج إلى دعاة عاقلين راشدين حكماء صابرين متأنين، يضعون الأمور في مواضعها، ويعملون وفق سنن الله تعالى في الكون والإنسان والحياة، فالمسببات

مرتبطة بأسبابها، والنتائج متعلقة بمقدماتها، وتبقى الأمانى بلا عمل منظم ومبرمج رأس مال المفاليس.

٨٤

على جماعات الدعوة أن يأخذوا بسنة التدرج، فسنة التدرج في دعوة الناس إلى الإسلام باقية في كل زمان ومكان؛ لأن فقه التدرج هو من فقه الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى..

٩٢

على المؤسسات الدعوية أن تنشر الوعي بأهمية التدريب والتأهيل وتنمية المهارات عند الدعاة، وأن تحفزهم باستمرار لتطوير إمكاناتهم وقدراتهم واكتساب مهارات جديدة تنفعهم في دعوتهم..

٩٤

يجب تدريب الدعاة على التخطيط الاستراتيجي ووضع البرامج، فالعمل الدعوي المعاصر يجب أن يخرج من الأطر التقليدية، إلى تطبيق أحدث الأساليب المعاصرة في التخطيط والبرمجة وفن الإدارة والقيادة وإتقان مهارات التأثير والتواصل مع الجماهير.

٩٤

إن سرعة تطور العلوم ووسائل الإعلام والتواصل وانتشار الخبرات على أوسع نطاق بالإضافة إلى عوامة المعرفة، تفرض على الدعاة تطوير قدراتهم ومهاراتهم باستمرار من خلال التدريب والتأهيل.

٩٥

لا بد للعمل الإسلامي كي يحقق أهدافه من العناية بموضوع التأهيل والتدريب وتنمية المهارات، والسبيل الأقوم لهذا الموضوع، هو إحداث مؤسسات متخصصة في هذا المجال على أرفع مستوى.

٩٥

إن التطورات المعرفية المتسارعة، تلزم جميع الدعاة القدامى والجديد، باتباع دورات تدريبية في تنمية الخبرات والمهارات، كي يستطيعوا مواكبة عصرهم، ومخاطبة مجتمعاتهم بكفاءة عالية، ليحققوا التأثير المطلوب، والتغيير المأمول، والقيادة الناجحة.

٩٦

علينا أن نفكر بعقولنا، وفكرنا وفكر غيرنا غير معصومين، وكل منهما قابل للنقاش والتمحيص من أهل الكفاءة والاختصاص، الملتزمين بالكتاب والسنة.

٩٨

يجب علينا أن نفكر موضوعياً بكل ما نقرأ وكل ما نسمع، ونبحث عن الصواب، ولسنا ملزمين بكل ما جاء في التراث الإسلامي من اجتهادات بشرية إلا ما أجمعت عليه الأمة بلا خلاف - وهو قليل جداً - بل علينا أن نأخذ منه ما يصح وندع ما لا يصح، وليست جميع الاجتهادات البشرية التي قامت منذ مئات السنين في ظروف مختلفة وأزمنة متباعدة ملزمة للمسلمين في الأزمنة كافة حتى يوم القيامة..

٩٨

كلنا نخطئ ونصيب، ولا عصمة إلا للأنبياء والمرسلين في تبليغ ما أوحى إليهم، أو ما يؤثر سلباً على تبليغهم للرسالة..

٩٨

ما نُقل عن الأئمة من ضرورة تجنب التقليد الأعمى، يستدعي العودة للاجتهاد والتفكير والبحث والتمحيص، في كل ما جاء في التراث، وعدم الجمود في الفكر والنظر..

١٠١

إن تعطيل الاجتهاد أدى إلى التخلف الفكري والعلمي في المجتمع الإسلامي، وحجر على العقول العاملة، فأدى إلى تعطيلها وقصورها عن تقديم الحلول لاحتياجات الأمة المتجددة، وذلك يتنافى مع طبيعة الإسلام وحيويته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

١٠١

يجب أن نتعامل مع تراثنا بإنصاف، فنحدد الصواب ونحدد الخطأ ولا نعمم، فإذا وجدنا رأياً خاطئاً عند أحد المفسرين أو المتصوفين أو المحدثين أو الفقهاء أو غيرهم، فلا نحكم على كل الطائفة بالخطأ والضلال..

١٠٤

العجيب أن أتباع ابن تيمية اليوم، لا يتهجون نهجه المنصف على الأغلب تجاه المتصوفة والفقهاء والمفسرين وغيرهم!!

١٠٩

إن الذي يصنع التقدم، الحكومات ذات الكفاءات العالية، والخبرات الواسعة، والمخلصة لشعبها، والتي تنفذ برامج متقدمة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً.. أما الأنظمة المستبدة الدكتاتورية التي دعمها الغرب لتحكم البلاد الإسلامية، فهي أحد أهم أسباب تخلف المجتمعات الإسلامية..

١١٥

إن سياسة الغرب الصليبي في عدوانه على الأمة الإسلامية، الذي لم يتوقف منذ نهاية القرن الحادي عشر وحتى يومنا هذا، ثم تسلط على مقدراته، ونهب ثرواته، والتحكم بقرارات حكاه، هو سبب آخر للتخلف في المجتمعات الإسلامية.

١١٥

إن قواعد الإسلام الفقهية تدعو إلى درء المفسد عن الأمة الإسلامية وجلب المصالح لها، وهذا يقتضي أن نتعامل مع الثقافة الغربية وحضارتها وغيرها من الحضارات حسب هذه القواعد.

١١٩

إن تحصيل ما يُصلح أمور الأمة، وتدبير شؤونها، وتوفير احتياجاتها، في جميع مفاصل حياتها الكريمة، هو من السياسة الشرعية المطالبين بتنفيذها.

١١٩

على الدعاة أن يتجنبوا السقوط في مستنقع الشواذ في التفكير بالاتجاهين، وأن يلتزموا الاعتدال والوسطية والموضوعية في التفكير.

١٢٠

إن فاعلية الدعوة وإنتاجها وانسجام أفرادها تزداد بازدياد الأفراد الفاعلين والمتخصصين في الجماعة، حيث يشعر كل فرد من أفرادها بأن له دوراً إيجابياً في العمل، وليس عالية عليه، أو لا قيمة لوجوده.. وكثيراً ما كنت أكرر على إخواني قولي: كم تعمروني السعادة عندما أراكم مرهقين من كثرة العمل والواجبات؛ لأن هذا يعني أن آليات الإنتاج تعمل بطاقتها العظمى..

١٢٥-----

مَنْ يملك الإعلام المؤثر في المجتمعات الإنسانية، يملك القدرة على تغييرها إلى الوجهة التي يريد..

١٣٣-----

يجب أن نخاطب الناس على قدر عقولهم، واحتياجاتهم، واهتماماتهم.

١٣٦-----

إن الدعاة الذين لا يُحَضِّرون، ويرتجلون ما يخطر على أذهانهم، يزدرون عقول الناس وأوقاتهم، ويفشلون في التأثير عليهم، ويفقدون احترامهم وثقتهم.

١٣٦-----

كيف تقول أكثر تأثيراً مما تقول..

١٣٧-----

إن حركات الخطيب والمدرس هي كلمات تُسمع بوساطة الأعين..

١٣٧-----

إن قوة تأثيرك في الآخرين تأتي من خلال التوافق بين كلماتك ومشاعرك الحقيقية وبين تعبيرات وجهك وجسمك.. عندما تعبر كلماتك عن مشاعرك الحقيقية، فسيصدقك الناس ويثقون بك، ويفهمونك بسهولة، وبذلك تجعلهم على استعداد تام لسماعك وتلقي ما تقوله لهم بأذان صاغية، وقلوب واعية..

١٣٧-----

إن إقناعك فن التوقف عن الكلام، لا يقل أهمية عن إقناعك فن الكلام..

١٣٨-----

احذر من جرح مشاعر الناس، ولا تستعل عليهم، ولا تقتحم خصوصياتهم، ولا تعتد على حرياتهم الشخصية؛ لأن ذلك سيؤدي إلى نفورهم، وانقطاع التواصل بينك وبينهم..

١٣٨-----

لا تُضيق الخناق على مستمعيك، وإذا افتقدت الحجج والأدلة المُقنعة، فلا تستبدلها بكثرة الصياح والنقد الشديد لإقناع الناس بأرائك، إن هذا لا يُعدُّ مكسباً؛ لأنك تكسب سيطرة الصياح والنقد لا سيطرة الاقتناع بالأفكار، وتكسب الحوار ظاهراً، وتخسر المستمعين حقيقة..

١٣٩-----

إن إقناع "فن التساؤل الذكي" يساعد الداعي على أمور عدة، ومنها:

غرس التوجهات، الإقناع، توليد الأفكار، تنشيط المناقشات، استطلاع الآراء، تبادل المعلومات، المشاركة في صياغة النتائج، جذب الانتباه، التعرف على الولاءات والميول، اكتشاف الموهوبين أو القاصرين، تلطيف الأجواء..

١٣٩-----

إذا استطعت أن تكتب كتاباً، لا ينفكُ عنه قارئه حتى يستكمله، فأنت كاتب بارع، وأنت تتقن مهارات التواصل عبر الكتابة.

١٤١-----

إن إتقان فن مهارات التواصل، يساعد على زرع الأفكار، وتكوين الآراء، وتنشيط الأذهان، ولفت الانتباه، وجذب المستمعين إلى المتكلم، وزيادة التفاعل، وتحريك الناس، وتفعيل النقاش، والتأثير بالمجتمعات، وتحقيق الإقناع.

١٤٣-----

لقد أصاب العمل الدعوي في العديد من مفاصله الشيخوخة والهزم بسبب فقد آليات التجدد والنمو، على مستوى القيادات والمؤسسات..

١٤٥-----

القمم لأهل الهمم.

١٤٨-----

يتحقق النجاح بقوة الإرادة والمثابرة والصلابة والتشبث بالمبادئ بأكثر قوة ممكنة، مع قلب جريء ومتيقظ لكل طارئ، وبذل الجهد المضني مع حسن التدبير.

١٤٨-----

إن أي جهد مبذول بالكيفية المناسبة، وفي الزمان والمكان المناسبين، ثمرته لا تضيع.

١٤٩-----

لا قيادة بدون عوائق أو صعوبات، وميزة الداعي الناجح هي قدرته على وضع الحلول المناسبة وتجاوز الصعوبات والعوائق.

١٥٠-----

أن تقود... معناه:

أن تخدم الآخرين وتضحى من أجلهم..

١٥١-----

لعلك تجد أشخاصاً ناجحين ومتميزين مع داعٍ حاذق خبير بالرجال.. بينما هم أنفسهم يصفهم داعٍ غير حاذق بالسيئين.

١٥١-----

لعل مسؤولية ما يظهر من عدم أهلية شخص ما تقع على عاتق قائده الذي وضعه في مكان غير مناسب، وكلفه بعمل لا يناسب، أو بسبب عدم منح هذا الشخص ما يستحقه من ثقة واحترام واهتمام..

١٥١-----

إن في كل مجتمع أو تجمُّع مقداراً نسبياً من بذور الاختلافات بقدر عدد أفرادهِ، وبراعة القائد تكمن في تدوير هذه الخلافات، وتنمية نقاط التلاقي والتعاون.

١٥٢-----

ينجح فريق متوسط الإمكانيات على رأسه داع قوي، ويفشل فريق عالي الإمكانيات على رأسه داع متوسط الإمكانيات تقليدي؛ لأنه يطفئ جذوة الحماسة، ويضعف الإيرادات الجيدة، بعدم تطوير نفسه..

١٥٢-----

يشيخ الداعي عندما يفرض تجديد وتطوير وتوسيع قواه وأفكارهِ، ويصرُّ على عمله التقليدي.

١٥٢-----

تظهر حقيقة الداعي وإمكاناته عندما تحين ساعة اتخاذ القرارات الصعبة التي تستوجب تحمل المسؤولية والتضحية بشجاعة..

١٥٢-----

لا تكفي شجاعة الداعي وحدها لإنجاز ما هو مطلوب، بل لابد من الدراسة المعمّقة والصحيحة للأمور، ثم التخطيط واتخاذ القرارات السليمة، ثم متابعة التنفيذ بإرادة صلبة..

١٥٣-----

إن اتخاذ القرار السليم متبوعاً بالتنفيذ الحازم، أفضل من التردد والانتظار الطويل للوصول إلى حل خيالي غير موضوعي بعيد المنال.

١٥٣-----

الداعي الناجح هو الذي يعالج الأمور قبل استفحالها..  
والداعي الأنجح من يتّقيها قبل وقوعها..

١٥٣-----

إن المعلومات الصحيحة والواسعة تشكل القاعدة الضرورية لبناء قرار صحيح، وإن الداعي الذي لا يملك القوة والقدرة على تنفيذ قراراتهِ، ليس بداع..

١٥٤-----

إن الأعمال العظيمة تحتاج إلى همم أعظم، والعظماء هم الذين خُلبوا بأعمالهم، فلم يطوهم النسيان؛ لأنهم آمنوا بالكفاح مبدأً لهم في الحياة.

١٥٥-----

الأمل بلا عمل، كشجرة بلا ثمر

١٥٦-----

إن التعصب والولاء للجماعة والانعزال ضمن أسوارها، يُفقدُها القدرة على الاستفادة من الكفاءات المتنوعة المتوافرة خارج أسوارها، ويجعلها تعيش على إنتاجها الخاص القاصر، مما يؤدي إلى نتائج قاصرة وهزيلة.. وهذا يزيد في ضعفها وعزالتها.

١٥٨-----

إن الوهم الذي تقع به الجماعة، بأنها كلما رفعت أسوارها استطاعت أن تحافظ على إقطاعيتها البشرية والمالية وحصانتها وقوتها الداخلية، هو وهم يعيش في داخلها فقط. والحقيقة أن سياسة الدكاكين هذه تزيدها عزلة وضعفاً، ثم انحرافاً وانغماساً في أخطائها، ثم عجزاً وتفككاً وانهياباً..  
أليس هذا مصير الكثير من الجماعات الإسلامية؟!..

١٥٩-----

يجب على الجماعات أن تربي أفرادها على النظر إلى العمل الإسلامي على أنه كيان عالمي واحد، وأن كل جماعة تمثل لبنة من بنائه الشامل، وأن جميع الجهود يجب أن تتضافر وتتكامل لتحقيق أهداف الدعوة، وإذا قصرت الجماعات بهذا الأمر، وانطوت كل جماعة على نفسها فسيبقى العمل الإسلامي ممزقاً مشتتاً، تضع جهوده في دهاليز الأنايات والخصوصيات، فلا ثمرة تُرجى، ولا هدف يتحقق، ويبقى العمل الإسلامي يدور في حلقة مفرغة.

وتكون هذه الجماعة مرحلة تنمو وتزداد وتكبر حتى نصل إلى تشكيل جماعة المسلمين الواحدة على نحو متدرج..

١٦٢-----

إذا عجزنا في عصرنا الحاضر عن إقامة الجماعة التي أمرنا الله ورسوله ﷺ أن نلتزم بها ولا نضترق عنها، فيجب علينا أن نعمل على توحيد جماعات العمل الإسلامي في مجلس أعلى ينسق فيما بينها، بحيث تؤدي كل جماعة عملها ضمن اختصاصها، وتكون جميع هذه الاختصاصات مؤطرة في هيكلية عامة متفق عليها، تصب فيها جميع الجهود وتتكامل..  
وتكون هذه الجماعة مرحلة تنمو وتزداد وتكبر حتى نصل إلى تشكيل جماعة المسلمين الواحدة على نحو متدرج..

١٦٢-----

إن الجماعة الإسلامية المخلصة هي التي لا تعمل لمصالحها الذاتية المحدودة، بل تعمل للمصلحة العامة المتعلقة بالعمل الإسلامي الشامل لكل احتياجات الأمة الإسلامية ونهضتها، بل تعمل لمصلحة الإنسان لأن الإنسان هو هدف الرسالة الإسلامية.

١٦٣-----

إن الجماعة الإسلامية التي تحصر نشاطها لخدمة نفسها، والتعصب لتوجهاتها، وترفض التعاون والتفاعل مع المجموعات الأخرى لخدمة الصالح الإسلامي العام، تفقد مسوغ وجودها، وتكون جزءاً من المشكلة لا جزءاً من الحل..

١٦٣-----

لماذا لا يأتلف العمل الإسلامي؟!..

لماذا نرى العاملين في الحقل الإسلامي متفرقين، وأحياناً متخاصمين، وأحياناً متصارعين، وأحياناً متعادين؟!..

لماذا لا يتعاونون ولا ينسقون ولا يتكاملون فيما بينهم؟!..

لماذا لا يجمعهم مجلس أعلى يضعون فيه استراتيجيات العمل الدعوي وسياساته، ويعملون جميعاً وفقاً للرؤية والقواسم المشتركة التي تجمعهم، والتي تمثل أكثر من ٩٠٪ من أهدافهم؟!؟..

١٦٥-----

إن تفويت هذا الواجب الشرعي وعدم العمل بهذه الضرورة، يؤدي إلى مفسدة كبيرة تنعكس آثارها على العمل الإسلامي، ويضيع مقصداً عظيماً من مقاصد الإسلام، وهو تمكين هذه الأمة في الأرض، لتكون شاهدة على الناس، ورائدة لهم نحو سعادتهم في الدنيا والآخرة.

١٦٦-----

إن انشغال الدعاة بكثرة الأعمال، واستغراق أوقاتهم ببرامجهم الخاصة، يؤدي إلى انعزال بعضهم عن بعض، ثم إن طول وعمق هذا الانعزال يؤدي إلى عدم معرفة حقيقة نشاطاتهم وأعمالهم وإنجازاتهم والجوانب الإيجابية الكثيرة لهذه النشاطات، ويطنى على ذلك النظر للآخر عن بُعد، وضعف معرفته، وأحياناً الشك والريبة، بسبب الإنصات للمشككين والمفسدين، وعدم التحقق والتبني، واللقاء والمصارحة عن قرب..

١٦٨-----

يجب أن يعلم العاملون في حقل الدعوة الإسلامية أن الحفاظ على العزلة والتفوق والخصوصية لم يعد ممكناً، فلقد ظهر جيل جديد من أبناء الدعوة لا يؤمنون بهذه الخصوصيات، جيل انفتح فيه الجميع على الجميع، وقد ضعفت الأسوار وتخرمت، وفتحت الحصون من داخلها، وتراجعت الخصوصية عبر الوسائل المعرفية الحديثة التي هيمنت على كل شيء، ولم يعد هناك أسرار، فالجميع يعلم ما عند الجميع، وأصبح الفكر الإسلامي معولاً وعالمياً، ولم يعد يستطيع أحد من المكونات الإسلامية تحصين أبنائه من الاطلاع على الأفكار الجديدة والتي يتم تداولها بسهولة وانسياب خارج الحصون وداخلها..

ولن يستطيع أحد أن يكون المصدر الوحيد للمعرفة بين أبنائه..

وإذا أصر أي مكون إسلامي الحفاظ على خصوصيته وانعزاله عن باقي المكونات، فسيخسر "كوادره" وأبناءه الفعالين، ويتحول إلى مجموعة متموتة لا يبقى فيها إلا العاجزون الذين لا يقدرّون على شيء.. وسينتهي التجمع إلى لا شيء..

١٧٣-----

إن عدم التعاون والتنسيق بسبب الاختلاف في الفهم والاجتهاد في الدعوة إلى الله تعالى والعمل الإسلامي خطأ فادح، وأشد منه فداحة أن يكون ذلك سبباً للشقاق والعداوة بين مكونات العمل الإسلامي..

١٧٤-----

لم يعد جيل الصحوة يقبل أهدافاً جزئية صغيرة يدور فيها، ولم تعد هذه الأهداف على مستوى تطلعاته، ولم يعد يملأ طموحه إلا الأهداف الكبرى والشاملة للإسلام، وفي مقدمتها قيادة الأمة نحو حريتها وكرامتها ونهضتها.

إن هذه الأهداف الكبرى لا يمكن تحقيقها إلا عبر خطط وبرامج استراتيجية شاملة ومتدرجة، تدرس الواقع، وتضع الحلول، وترسم المراحل.

١٧٦-----

إن خسائر العمل الإسلامي بسبب خلافات وصراعات مكوناته المختلفة، أكبر بكثير من خسائر العمل الإسلامي بسبب أعدائه!!.

١٧٩-----

إنها دعوة للشباب لإنجاز ما عجز عنه الكبار.

١٨٠-----

إن ازدياد أي مكون إسلامي بعمل المكونات الأخرى، أو التعامل معها باستعلاء ومطالبتها بالتبعية، بادعاء أصالته ومحوريته، وفهمه وعلمه، ورسوخ قدمه، وإدعاء أن المكونات الأخرى دونه في ذلك.

إن هذا التصرف سيؤدي إلى ترسيخ الصراعات بين مكونات العمل الإسلامي فلا تقوم له قائمة ولا تنتصر له راية.

١٨١-----

إن ضرورات النهوض بالأمة ومواجهة أعدائها تقتضي في مرحلة الضعف وعدم التمكن، الإغضاء عن الأخطاء الاجتهادية أو الشكلية الموجودة لدى بعض مكونات العمل الإسلامي، ومواجهتها بالنصح والحوار ما أمكن، وعدم جعلها سبباً في عدم تألف الجميع في جبهة موحدة.

١٨١-----

إن الصراعات بين الجماعات الإسلامية تمثل أكبر خطر على مستقبل العمل الإسلامي ونهوض الأمة، وهي علة العلل ومن أعظم المفاصد التي يجب أن تتحد جهود المخلصين لدفعها والتخلص منها..

١٨٣-----

إن الخلافات بين الجماعات الإسلامية الناشئة عن أساس فكري يجب ألا تتحول إلى صراعات، ويجب معالجتها في إطار فكري، وإخضاعها لقواعد الاجتهاد في الفروع، والمقاصد الكبرى للإسلام، وفقه التعامل مع المخالف، والتمسك بالائتلاف ووحدة العمل الإسلامي..

١٨٣-----

إن تعدد الاجتهادات في الفروع، ومنها الاجتهادات الدعوية ناشئ عن تفاوت الناس بالمواهب، والمدارك، والأفهام، وبعده النظر، والقدرة على الإحاطة بالتفاصيل، والتعمق في المضمون. هكذا فطر الله تعالى الناس، ولو شاء أن يجعلهم في صف واحد ل فعل، ولكن مشيئته تعالى أرادت هذا التفاوت فيما بينهم، لتتسع دائرة الأفكار، ويتسع التنوع، وتتوسع الأساليب والمخارج والحلول لمشكلات الناس المختلفة، وبهذا يصبح تعدد الاجتهادات المقبولة رحمة للناس.

١٨٤-----

إن الائتلاف وعدم التصرف أصلٌ وواجبٌ في الإسلام، والخلاف في الفروع لا إثم فيه، وبعض الناس يتركون الواجب الذي تتعلق به مصلحة كبرى للأمة، ويعملون على تفريق كلمة المسلمين، للتمسك بأمر يحتمل وجوهاً من الاجتهادات...

١٨٧-----

إن الصراع بين السلفيين والصوفييين خطيرٌ جداً، ويترك آثاراً مدمرة على مسيرة العمل الإسلامي في كل أنحاء العالم، وفيه فتنة للمسلمين، وفيه صدٌّ عن سبيل الله تعالى، وخاصة عند إقحام المهتدين الجدد إلى الإسلام في هذا الصراع الخطير.

١٩١

أيها المسلمون .. أيها الدعاة.. لو تركتم صلاة التراويح بمجملها، لكان خيراً لكم من الاختلاف والتناحر!!..

لا تختلضوا ولا تتناحروا وصلوا العدد الذي تشاؤون، (ثمانى ركعات، أو عشرين، أو أربعين...) فصلاتكم صحيحة، والعبارة بالخشوع والقبول...  
إن صلاة التراويح سنة، وإن تفريق كلمة المسلمين حرام!!..

إن الإسلام والعالم الإسلامي يتعرضان لأخطر المؤامرات العالمية والمحلية، مما يهدد الحاضر والمستقبل، وبعض المسلمين في سكرات صراعاتهم يعمهون، يغرقون في الجزئيات، ويغفلون عن الكليات، فمتى يستيقظون!!؟..

١٩٤

لم يعد بالإمكان الاستمرار بالصراع بين السلفيين والصوفييين، وهو صراع محرّم؛ لأن المنكرات والبدع الناتجة عنه من تمزيق وحدة المجتمع الإسلامي وصولاً إلى التكفير، وسفك الدماء، واستباحة الحرمات، أكبر بما لا يُقاس من المنكرات الموجودة لدى الفريقين..

١٩٨

على السلفيين المتطرفين المكفرين أن يعتدلوا، وأن يعدلوا عن الصراع مع الصوفييين إلى التحاور والتناصح والإنصاف، وليقتدوا بأئمتهم في هذه المسألة..

٢٠٣

تعالوا نجتمع على صوفية وسلفية الإمام الجنيد، وأبي سليمان الداراني، وابن تيمية، وابن قيم الجوزية وأمثالهم، كما مر معنا في هذا البحث.  
إنني لا أدعي العصمة لأحد من هؤلاء الأئمة أو لغيرهم، فكلُّ يُؤخَذُ منه ويُردُّ عليه، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم..

وأحسن الحسن أن نتنسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفى... فلا صوفية ولا سلفية ولا وهابية ولا أشعرية ولا... بل سنية محمدية إسلامية، وكفى..

٢١٨

إنك لتعجب أن يمتد الصراع إلى داخل الجماعة الواحدة!! وغالباً ما تسبب هذه الصراعات: الأهواء والمصالح، أو الحواجز النفسية بين الدعاة، أو تشكل تجمعات داخلية، أو ضعف خبرة في الإدارة والقيادة أو انحرافها.

٢١٩

إن فقدان الأخ لوعيه وشخصيته ومشاركته الفعالة في اتخاذ القرارات، وتحوله إلى آلة صماء (نفذ ولا تفكر ولا تعترض) يؤدي إلى توهين صلته بالجماعة، وإلى تساقط الكثير من أبنائها وبخاصة الموهوبون والناهبون.

٢٢٩

إن وقوع بعض الدعاة وبعض الجماعات الإسلامية في هذا الخطأ الخطير أدى إلى نتائج كارثية في العمل الإسلامي. فمنهم من تجرأ على تكفير المسلمين، ومنهم من تجرأ على الحكم على الذي فارق جماعته بأنه مات ميتة جاهلية..

٢٣٢-----

تجب طاعة قائد الدعوة في العسر واليسر، والمنشط والمكره، مع الإيثار على النفس، بما يوافق الشرع.

٢٣٢-----

إن الطاعة مقيدة بطاعة الله ورسوله ﷺ وتابعة لها، كما وردت في الآية السابقة (سورة التوبة: ٥٩)، وطاعة الله ورسوله أصل، وطاعة الأمير فرع لها ومنضبطة بها وليست مطلقة. فكل ما خالف الشرع لا طاعة فيه.

٢٣٣-----

هل يكون الولاء للجماعة أو الحزب، أم الوفاء؟؟  
هل يكون الولاء للشيخ أو المري أو الداعي أم الوفاء؟؟  
هل يكون الولاء لأي جهة (جماعات أو أحزاب أو أشخاص...) لهم مواقف معادية من الله ورسوله ورسالته، أم البراء؟؟

٢٣٥-----

يجب على الجماعات الإسلامية أن تربي أتباعها على عقيدة الولاء لله ورسوله ورسالته وجماعة المسلمين، والبراء من أعدائه بكل ألوانهم وأصنافهم وأفكارهم ومناهجهم سلوكهم وانحرافاتهم..

٢٣٧-----

لا يصح ولاء لجماعة أو لحزب أو لأفراد من قادة الدعوة، يُتخذ ذريعة لقطع الولاء عن جماعة المسلمين والعمل الإسلامي العام، فالولاء للجماعة أو الحزب أو أفرادهما وقادتهما هو وسيلة وفرع وتابع للولاء للإسلام وجماعة المسلمين والعمل الإسلامي العام. فإن تعارضا فالولاء للأصل.

٢٣٨-----

الولاء للإسلام، والوفاء للجماعة.

٢٣٩-----

إن فقدان المرجعية قد جلب للأمة الكوارث والويلات، فتمزق العمل الإسلامي وتشتت هائماً على وجهه، تتقاذفه المتناقضات بين الإفراط والتفريط، والغلو بين الولاء والبراء، والتطرف بين العنف والتكفير وسفك الدماء، وبين التفتت والتنازل والذوبان!!!

٢٤١-----

إن الضعف العلمي بأحكام الشريعة ومقاصدها عند المتطرفين هو أحد أسباب التطرف، وهذا يؤدي بهم إلى الاشتغال بالأمر الجزئية، فينفضخون الكير فيها، ويوقدون جمرها، ويضخمون أمرها.. وبالمقابل، يغفلون عن الأمور الكلية والقضايا الكبرى التي يتعلق بها مصير الأمة الإسلامية.

٢٤٨-----

إن تطرف العلمانيين يعدُّ من أهم بواعث التطرف في الجانب الآخر.. فالعلمانيون المتطرفون يحاربون الإسلام بضراوة، ويريدون خلعه وخلع ثقافته وقيمه من المجتمعات الإسلامية، ويستفزون الشباب الإسلامي، باتهام الإسلام أنه يحارب العلم، وأن العلم والإيمان لا يلتقيان، وأن العقل والإيمان لا يجتمعان، وأن الدين شيء والسياسة شيء آخر، وليس للإسلام مكان في حكم المجتمعات الإسلامية، وأن على المسلمين أن يأخذوا بالقيم والثقافة والنظم الغربية كما هي بحلولها ومرها وصحيحها وسقيمها إذا أرادوا النهوض.

٢٥٢-----

إن العلمانيين المتطرفين، يمارسون ما كان يفعله رجال الكنيسة في القرون الوسطى في فرض تأويلاتهم على الناس ومحاربة الفكر المخالف لهم من أجل بسط هيمنتهم وسيطرتهم على الساحة الفكرية، وهذا نمط من التفكير يناهض الفكر الآخر ويعمل على إقصائه ويفرض تأويلاته على عقول الناس في شؤون العلم والحياة الاجتماعية من خلال دعواه أنه "يمتلك الحقيقة المطلقة".

٢٥٨-----

إن الخلط الماكر الخبيث بين الفهم العلمي للدين وبين تحريف فهم نصوص الدين، لا يستطيع أن يخفي المقاصد الحقيقية لأصحاب هذا الفكر، من هدم أساسيات الدين ونزع القداسة عن النصوص الدينية سواء أكانت قرآنية أم أحاديث نبوية!!..

٢٥٩-----

لا تستغرب بعد ما رأيت من التطرف العلماني الشديد في محاربة الإسلام تهدمه من داخله، ونقضه عروة عروة، ورفع القداسة عن قرآنه!! فلا تستغرب أن يُنتج كل هذا التطرف طرفاً آخر يقابله!!..

٢٦٠-----

لا أبالغ إذا قلت إن الغلاة المتطرفين من العلمانيين، ومواقفهم المتطرفة تجاه الإسلام والعمل الإسلامي، هي أحد أهم أسباب نشوء حركات التطرف في العالم الإسلامي..

٢٦٢-----

الحقيقة أن الاحتكام للعنف والسلاح من قبل الحكومات ومعارضيتها، لحل مشاكل المجتمعات وإصلاحها وتقويمها، هو مصيبة عظيمة تضيف إلى مشكلات المجتمعات مشكلات كارثية أكبر وأوسع بكثير، ولا يمكن السيطرة عليها لأمد بعيد، وستؤدي إلى تدمير البقية الباقية من هذه المجتمعات وتحويلها إلى مجتمعات احتراب، لا ينقطع لهيبه مادام أحد أطرافها على قيد الحياة.

إن الاحتراب الداخلي سيؤدي إلى انضراط عقد المجتمع، وتدميره من الداخل، وسقوط رابطة المواطنة والروابط الاجتماعية بين الناس، وستسود الأحقاد والضغائن والكراهية بينهم، ويصعب أن يجمع بينهم جامع بعد سفك أنهار الدماء وهتك الأعراس والحرمت ونهب الأموال..

٢٦٤-----

إنه حصاد كارثي لو يدري الذين أنتجوه من الضريقين هولته وعمق خطورته لما لجؤوا إلى العنف والسلاح!!..

٢٦٥

على الإسلاميين أن يحذروا من خداع الطواغيت الذين يزينون لهم الانجرار إلى معارك تحت شعارات براقعة خادعة، ويقدمون لهم المال والسلاح والدعم السياسي المؤقت، في حين يكون الهدف الاستراتيجي من ورائها القضاء على الإسلاميين إضافة إلى أهداف فرعية أخرى..

٢٧٣

لا يحق لأي جماعة إسلامية أو لأي جزء منها أو لمجموعة أفراد أن تتصرف منفردة في القضايا المصرية المتعلقة بمستقبل العمل الإسلامي ومصالح الأمة الكبرى ومصاير الشعوب، أو أن تجرّ العمل الإسلامي بكل مكوناته وفصائله إلى مواجهة شاملة مع خصومه، دون علم وموافقة المكونات الأخرى، ودون دراسة دقيقة جداً لفقته المآلات وتدبر عواقب الأمور.

٢٧٤

كيف يحق لمجموعة من الناس أن تفجر حرباً داخلية (بدون اتفاق الأغلبية، وبدون توافر الشروط الشرعية) يكتوي بأوارها المدنيون والأبرياء من الأطفال والنساء. وتنشر القتل والدمار في كل مكان، وتقضي على الأموال والأعمال، وتؤدي إلى تشريد وتجويع الملايين من الناس، وتُجهز على أمنهم وأمانهم، وتؤدي إلى خراب لا يمكن إصلاحه بعشرات السنين...

٢٧٥

للمسلم أن يأخذ بالعزيمة فيضحي بنفسه من أجل هزيمة الباطل، وإزالة المنكر، ونصرة الحق، ولكن لا يحق له أن يضحى بغيره، وله أن يُسامح في حقوق نفسه، وليس له المسامحة في حقوق غيره...

٢٧٥

إن الجماعات الدعوية القائمة على قاعدة العمل الجماعي والمؤسساتي تستطيع بسهولة أن تنفذ نظام التفرغ وذلك بإقامة إدارة مالية تقوم برعاية الدعاة الموهوبين المتفرغين، وتؤمن لهم كفايتهم. ويكون لها نظام مالي كأى مؤسسة أخرى (جامعة، مركز بحوث..). وتكون مصادر التمويل من اشتراكات أعضاء الجماعة وبخاصة رجال المال والأعمال، إضافة إلى مصادر المشاريع الوقفية التي يتم إقامتها لغرض محدد، وهو كفاءة الدعاة.

٢٨٥

يجب على كل جماعة إسلامية التحول إلى العمل المؤسساتي المنظم القائم على التخطيط، وإجراء مراجعة وتصويب لأهدافها، والتأكد من حيويتها وجاذبيتها، وقدرتها على إقناع أعضاء الجماعة، وضح الحماسة فيهم، من أجل أن يجتهدوا ويضحوا لتحقيق هذه الأهداف..

٢٩٠

إن تربية أبناء الجماعة وتدريبهم من البداية على العمل الجماعي الشوري، وتوثيق ارتباطهم بهيكلية الجماعة وبرامجها، بدلاً من الرابطة الشخصية، أساس مهم لاستمرار عمل الجماعة واحتفاظها بحيويتها.

٢٩٠-----

يجب على جميع مكونات العمل الإسلامي، إجراء مراجعات وتصويبات دورية، ونقد ذاتي وموضوعي؛ لتحديد نقاط الضعف والقوة، ومواطن العلل والصحة، ووضع خطط وبرامج للإصلاح، وتنفيذها بدقة وبإخلاص، حرصاً على سلامة وديمومة العمل، وسعياً لتحقيق الأهداف المرجوة.

٢٩١-----



## فهرس المصادر والمراجع

- (١) القرآن الكريم.
- (٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، د. محمد حسين، دار الرسالة - مكة المكرمة، الطبعة التاسعة، [١٩٩٢م].
- (٣) إحياء علوم الدين، للإمام حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، دار الخير-دمشق-بيروت، الطبعة الرابعة [١٤١٧هـ-١٩٩٧م].
- (٤) أزمة العصر، د. محمد محمد الحسين، دار عكاظ للطباعة والنشر- جدة، الرياض.
- (٥) أزمة الفكر الإسلامي المعاصر، د. محمد عمارة، دار الشرق الأوسط - القاهرة..
- (٦) أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، محمد بن درويش بن محمد الحوت، دار الكتب العلمية - بيروت.
- (٧) الاعتصام، أبو إسحاق الشاطبي، المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
- (٨) اعتقاد الإمام المبجل ابن حنبل، عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي، دار المعرفة - بيروت.
- (٩) إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (المتوفى سنة: ٧٥١هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، [١٣٨٨هـ/١٩٦٨م]
- (١٠) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.
- (١١) أفكار وأساليب لتجديد نهضة الأمة الإسلامية، سماحة العلامة الشيخ أحمد كفتارو، إعداد ودراسة: محمد غسان الجبَّان الجنيدي الحسيني، بالتعاون مع قسم الدراسات والنشر في مجمع الشيخ أحمد كفتارو، بيت الحكمة- دمشق، الطبعة الأولى، [٢٠١٢م]..
- (١٢) تاريخ بغداد تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قُطَّانها العلماء من غير أهلها ووارديها تأليف الإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (المتوفى سنة: ٤٦٣هـ) تحقيق: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى [١٤٢٢هـ-٢٠٠١م].

- (١٣) تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واردتها وأهلها تصنيف الإمام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله ابن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (المتوفى سنة: ٥٧١ هـ) دراسة وتحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- (١٤) تحت راية القرآن - المعركة بين القدم والحديث -، مصطفى صادق الرافعي، صحح أصوله: محمد سعيد العريان، دار الكتاب العربي-بيروت، الطبعة الثامنة [١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م].
- (١٥) تذكرة الموضوعات للعالم العلامة محمد طاهر بن علي الهندي الفتي (المتوفى سنة ٩٨٦ هـ).
- (١٦) تفسير أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، الشيخ العلامة محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، (المتوفى سنة: ١٣٩٣ هـ)، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد.
- (١٧) تفسير القرطبي. الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تأليف: أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، المتوفى سنة: ٥٦٧١ هـ، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة - لبنان، الطبعة الأولى ٥١٤٢٧ - ٢٠٠٦ م.
- (١٨) التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢ هـ) دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى [١٤١٩ هـ - ١٩٨٩ م].
- (١٩) تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث الشنيعة الموضوعة، لأبي الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، حققه وراجع أصوله وعلق عليه عبد الوهاب عبد اللطيف، عبد الله بن محمد الغماري، دار الكتب العلمية.
- (٢٠) تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي (المتوفى : ٧٤٤ هـ) تحقيق : سامي بن محمد بن جاد الله وعبد العزيز بن ناصر الحبابي ، دار أضواء السلف - الرياض، الطبعة : الأولى ، [١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م]
- (٢١) جامع الترمذي ، تصنيف أبي عيسى محمد بن عيسى بن سَورة الترمذي ، (المتوفى سنة ٢٧٩ هـ)، بيت الأفكار الدولية للنشر - الرياض.

- (٢٢) جامع الرسائل، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلِيم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: د. محمد رشاد سالم الناشر: دار العطاء - الرياض الطبعة: الأولى [١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م]
- (٢٣) جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى [١٤٠٨هـ]
- (٢٤) جماعة المسلمين ومفهومها وكيفية لزومها في واقعنا المعاصر، تأليف: د. صلاح الصاوي، دار الصفوة - القاهرة، الطبعة الأولى [١٤١٣هـ]
- (٢٥) حجة الله البالغة، تأليف: الإمام أحمد المعروف بشاه ولي الله ابن عبد الرحيم الدهلوي، تحقيق: سيد سابق. دار الكتب الحديثة - مكتبة المثنى - القاهرة - بغداد.
- (٢٦) حصوننا مهددة من داخلها، د. محمد محمد الحسين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة السادسة [١٤٠١هـ - ١٩٨١م].
- (٢٧) خصائص الرسالة الإسلامية، محمد غسان الجبّان الجنيدي الحسيني.
- (٢٨) الخلافة، تأليف: الشيخ محمد رشيد رضا، دار الزهراء للإعلام العربي - مصر.
- (٢٩) دلائل النبوة للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفى سنة: ٤٥٨هـ تحقيق د. عبد المعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة الأولى [١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م]
- (٣٠) ذكر الله تعالى طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق، محمد غسان الجبّان الجنيدي الحسيني، دار العصماء - دمشق، الطبعة الخامسة [٢٠١٢م].
- (٣١) ذيل طبقات الحنابلة، عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي المعروف بابن رجب، (المتوفى سنة: ٧٩٥هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، [١٣٧٢هـ - ١٩٥٢م].
- (٣٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله دار الكتب العلمية - بيروت، [١٤١٢هـ - ١٩٩٢م]
- (٣٣) سنن ابن ماجه تصنيف أبي عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (المتوفى سنة: ٢٧٣هـ)، بيت الأفكار الدولية - الرياض .
- (٣٤) سنن أبي داود، تصنيف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، (المتوفى سنة: ٢٧٥هـ)، بيت الأفكار الدولية للنشر - الرياض.

- (٣٥) سنن البيهقي الكبرى، للإمام أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، (المتوفى سنة: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثالثة [١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م].
- (٣٦) سير أعلام النبلاء ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة.
- (٣٧) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المتوفى (سنة: ١١٢٢هـ) دار الكتب العلمية- بيروت [١٤١١م]
- (٣٨) شرح صحيح البخاري ، لابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطلال البكري القرطبي، المتوفى سنة: ٤٤٩هـ، تحقيق : أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الطبعة الثانية [١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م]
- (٣٩) شمس العرب تسطع على الغرب، زيغريد هونكه. نقله عن الألمانية: فاروق بيضون، كمال دسوقي، منشورات المكتب التجاري-بيروت ، الطبعة الأولى [١٩٦٤م]
- (٤٠) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تأليف الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، (المتوفى سنة: ٧٣٩هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الثانية [١٤١٤هـ-١٩٩٣م]
- (٤١) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، بقلم: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل - السعودية، الطبعة الرابعة [١٤١٨هـ-١٩٩٧م]
- (٤٢) صحيح البخاري ، تصنيف الإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، المتوفى سنة ٢٥٦هـ ، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر - الرياض [١٤١٩هـ-١٩٩٨م] .
- (٤٣) صحيح مسلم ، تصنيف الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (المتوفى سنة ٢٦١هـ)، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر - الرياض [١٤١٩هـ-١٩٩٨م].
- (٤٤) صحيح مسلم بشرح الإمام النووي ، المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، [١٣٤٧هـ-١٩٢٩م]
- (٤٥) الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث والمعاصر، للدكتور محمد كامل ضاهر، دار البيروني- بيروت، الطبعة الأولى [١٩٩٤م].

- (٤٦) طبقات الحنابلة لأبي الحسين ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد (المتوفى : ٥٢٦هـ) ، تحقيق: محمد حامد الفقي ، دار المعرفة - بيروت .
- (٤٧) طرح التثريب في شرح التقریب زين الدين أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسيني العراقي المتوفى سنة : ٨٠٦هـ تحقيق عبد القادر محمد علي دار الكتب العلمية - بيروت [ ٢٠٠٠ م ] .
- (٤٨) طه حسين في ميزان الإسلام، أنور الجندي، دار الاعتصام - القاهرة، [١٩٦٧م].
- (٤٩) عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، د. صالح بن عبد الله العبود، رسالة دكتوراة في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عام [١٤٠٣هـ].
- (٥٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (المتوفى : ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة - بيروت [١٣٧٩هـ]
- (٥١) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، د. محمد البهي، مكتبة دار وهبة - القاهرة، الطبعة الثالثة عشرة، [١٩٩٧م].
- (٥٢) الفوائد المجموعة، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي، دار الكتب العلمية .
- (٥٣) في الشعر الجاهلي، طه حسين، دار المعارف-مصر، الطبعة الأولى [١٩٢٦م].
- (٥٤) قصة الحضارة، ول و ايريل ديورانت ، ترجمة :محمد بدران، دار الحليل - بيروت .
- (٥٥) القول المفيد في أدلة الاجتهاد والتقليد، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن عبد الخالق، دار القلم - الكويت، الطبعة الأولى [١٣٩٦هـ].
- (٥٦) الكامل في التاريخ لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد ، المعروف بابن الأثير (المتوفى سنة : ٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية - بيروت، [١٤١٥هـ]
- (٥٧) كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، تأليف: الشيخ إسماعيل العجلوني، (المتوفى سنة: ١١٦٢هـ)، دار إحياء التراث العربي-بيروت، الطبعة الثانية، [١٣٥١هـ].
- (٥٨) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعية تأليف الحافظ جلال الدين السيوطي (المتوفى سنة: ٩١١ هـ) دار الكتب العلمية.
- (٥٩) اللآلئ المشورة في الأحاديث المشهورة ، محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ ،المكتب الإسلامي .

- (٦٠) لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة الأولى.
- (٦١) مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي، محمد غسان الجبّان الجنيدي الحسيني، دار أفنان- دمشق، الطبعة الأولى، [١٤٢٣هـ-٢٠١٢م].
- (٦٢) مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية، محمد غسان الجبّان الجنيدي الحسيني، الطبعة الأولى.
- (٦٣) مجموع فتاوى ابن تيمية، شيخ الإسلام تقي الدين أحمد بن تيمية الحراني (المتوفى سنة: ٧٢٨ هـ) دراسة وتحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف - المدينة النبوية-المملكة العربية السعودية [١٤١٦هـ-١٩٩٥م]
- (٦٤) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام المحقق ابن قيم الجوزية، (المتوفى سنة: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي - بيروت [١٣٩٢هـ-١٩٧٢م]
- (٦٥) مدخل إلى ترشيد العمل الإسلامي، د.صلاح الصاوي، الآفاق الدولية للإعلام، الطبعة الثانية، [١٩٩٤م].
- (٦٦) مراجعات في الفكر والدعوة والحركة، عمر عبيد حسنة، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية [١٤١٤هـ-١٩٩٤م]
- (٦٧) مرقة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن سلطان محمد القاري، تحقيق: جمال عيتاني، دار الكتب العلمية - بيروت [١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م]، الطبعة الأولى،
- (٦٨) المستدرک علی الصحیحین، للإمام الحافظ أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ-١٩٩٧م].
- (٦٩) مستقبل الثقافة في مصر، طه حسين، دار المعارف- القاهرة، الطبعة الأولى [١٩٣٧م].
- (٧٠) مسند الإمام أحمد بن حنبل، المتوفى سنة ٢٤١هـ، تحقيق: الشيخ شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى [١٤١٦هـ-١٩٩٥م].
- (٧١) مسند الدارمي، المعروف بسنن الدارمي، وهو الامام الكبير أبو محمد عبد الله بن الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي (المتوفى سنة: ٢٥٥ هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد الدارمي، دار المغني للنشر والتوزيع-الرياض، [١٤٢٠هـ].
- (٧٢) مسند الشهاب القضاعي، تأليف محمد بن سلامة القضاعي، (المتوفى سنة: ٤٥٤هـ)، تحقيق: حمدي السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، [١٩٨٦م].

- (٧٣) المصنوع في معرفة الحديث الموضوع ، علي بن سلطان الهروي القاري، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية.
- (٧٤) المعجم الكبير للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني (المتوفى سنة: ٣٦٠هـ) تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة.
- (٧٥) المفترون، خطاب التطرف العلماني في الميزان، فهمي هويدي، دار الشروق، الطبعة الثانية [١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م].
- (٧٦) المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للإمام الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السنخاوي (المتوفى سنة: ٩٠٢ هـ)، دار الكتاب العربي.
- (٧٧) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، د. عبد الكريم بكار، الدار الشامية - بيروت، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى، [١٩٩٩م].
- (٧٨) الموافقات، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي، دراسة وتحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى [١٤١٧هـ - ١٩٩٧م].
- (٧٩) الموسوعة الفقهية الكويتية، إصدار وزارة الأوقاف الكويتية.
- (٨٠) موسوعة فقه الدعوة والحياة في شمائل وسيرة وحقوق سيدنا محمد ﷺ رسول الله، محمد غسان الجبّان الجنيدي الحسيني، دار العصماء - دمشق، الطبعة الأولى [١٤٣٣هـ - ٢٠١١م].
- (٨١) الموضوعات للصغاني، تحقيق: نجم عبد الرحمن خلف دار المأمون للتراث - دمشق، الطبعة: الثانية، [١٤٠٥هـ].
- (٨٢) الموضوعات، أبو الفرج ابن الجوزي (المتوفى سنة: ٥٩٧ هجرية) الناشر: دار الكتب العلمية.
- (٨٣) موطأ الإمام مالك برواية محمد بن الحسن، للإمام مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي، تحقيق: د. تقي الدين الندوي أستاذ الحديث الشريف بجامعة الإمارات العربية المتحدة، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى [١٤١٣هـ - ١٩٩١م]
- (٨٤) موقف الأئمة السلفية من التصوف والصوفية، عبد الحفيظ بن ملك عبد الحق، دار السلام - القاهرة، الطبعة الثالثة، [٢٠٠١م].
- (٨٥) نصب الراية لأحاديث الهداية، عبد الله بن يوسف أبو محمد الحنفي الزيلعي، تحقيق: محمد يوسف البنوري، دار الحديث - مصر ، [١٣٥٧هـ]
- (٨٦) النظريات السياسية الإسلامية، د. ضياء الدين الرئيس، الطبعة الأولى [١٩٥٢م]

- (٨٧) نقد الخطاب الديني، د. نصر حامد أبو زيد، دار سينا للنشر-القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الثانية [١٩٩٤م].
- (٨٨) نهج البلاغة، من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، شرح الشيخ: محمد عبده، دار الكتاب العربي -سورية.
- (٨٩) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للشيخ الإمام الاجتهاد العلامة الرباني قاضي قضاة القطر اليماني محمد بن علي ابن محمد الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ - ١٩٧٣م دار الجيل بيروت - لبنان.
- (٩٠) الهدية السنوية، تعليق الشيخ محمد رشد رضا، مطبعة دار المنار، بمصر، الطبعة الثانية [١٣٤٤هـ]
- (٩١) هوامش على كتاب نقد الفكر الديني، للشيخ محمد حسن آل ياسين، دار النفائس-بيروت، الطبعة السابعة [١٤٠٣هـ-١٩٨٣م].
- (٩٢) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض، دار الكتاب العربي - بيروت الطبعة الأولى، [١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م]
- (٩٣) الوصايا (للدعاة)، محمد غسان الجبّان الجنيدى الحسيني، الطبعة الأولى.
- (٩٤) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، [الطبعة: ١٩٠٠م].

## فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
٥	المقدمة.
	<b>الفصل الأول: عوائق ونقاط ضعف في بعض المنتسبين للدعوة.</b>
١٥	تمهيد
	<b>المبحث الأول: العوائق.</b>
١٧	العائق الأول: ضعف التربية الروحية والتزكية ومجاهدة النفس.
٢٥	العائق الثاني: علتنا الإفراط والتفريط.
٢٨	العائق الثالث: الضعف في مستوى العلم والمعرفة والثقافة.
٣٢	العائق الرابع: الضعف في فهم مقاصد الشريعة الإسلامية.
٣٩	العائق الخامس: الضعف في الوعي والنضج والحكمة.
٤٠	العائق السادس: علة الانعزال وعدم معرفة الواقع.
٤٢	العائق السابع: الضعف في الخبرات والتأهيل والتدريب.
٤٢	العائق الثامن: الضعف في المؤهلات الإدارية والقيادية.
٤٣	العائق التاسع: ضعف الإرادة والعزيمة والحماسة.
٤٣	العائق العاشر: ضعف القدرة على التضحية.
٤٤	العائق الحادي عشر: التأثير السلبي بأمراض المجتمع.
٤٦	العائق الثاني عشر: الخوف على المعيشة.
٤٧	المبحث الثاني: من وسائل العلاج
	<b>الفصل الثاني: إشكاليات ونقاط ضعف في بعض جماعات الدعوة.</b>
٥٣	تمهيد
٥٤	المبحث الأول: إشكاليات في الرؤية
٥٤	المطلب الأول: محاور العمل الإسلامي.
٥٩	المطلب الثاني: حاجتنا.

- ٦١ ----- المبحث الثاني: إشكاليات في تحديد الأهداف.
- ٦١ ----- المطلب الأول: الواقع
- ٦٢ ----- المطلب الثاني: كيف نحدد الأهداف
- ٦٥ ----- المبحث الثالث: افتقاد التخطيط والبرمجة والتقويم والتعديل والتطوير.
- ٦٥ ----- المطلب الأول: واقع الحال.
- ٦٧ ----- المطلب الثاني: أهمية التخطيط وشروطه.
- ٧١ ----- المبحث الرابع: استعجال الأمور قبل نضجها.
- ٧٥ ----- المبحث الخامس: عدم مراعاة فقه الأولويات.
- ٨٣ ----- المبحث السادس: غياب فقه التدرج في المراحل والزمن.
- ٩٣ ----- المبحث السابع: افتقاد الإعداد والتأهيل والتدريب وتنمية المهارات.
- ٩٧ ----- المبحث الثامن: أزمة فكر بين الجمود والتفلت.
- ٩٧ ----- المطلب الأول: أزمة فكر وجمود في التعامل مع التراث.
- ٩٧ ----- • تساؤلات
- ٩٨ ----- • أيها الدعاة.
- ١٠٣ ----- • فئات تحظى بتعاملها مع الفكر والتراث.
- ١٠٥ ----- • الاعتدال والتحقق والإنصاف هو المطلوب في التعامل مع التراث.
- ١١٠ ----- المطلب الثاني: أزمة فكر بين التفلت والجمود في التعامل مع الفكر والثقافة الغربية.
- ١١٠ ----- • فئات تحظى بتعاملها مع الفكر والثقافة الغربية.
- ١١١ ----- • أزمة فكر مع العلمانيين المتطرفين.
- ١١٥ ----- • خطط وأساليب دعاة التغريب في محاربة الإسلام ونشر الثقافة والقيم الغربية.
- ١١٨ ----- المطلب الثالث: أزمة فكر مع المتطرفين الإسلاميين في التعامل مع الثقافة الغربية.
- ١٢٠ ----- المطلب الرابع: أهم سمات الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل.
- ١٢٣ ----- المبحث التاسع: الضعف في التخصص.
- ١٢٣ ----- المطلب الأول: معاناة بسبب ندرة الاختصاصات المطلوبة.
- ١٢٤ ----- المطلب الثاني: فوائد التخصص.

١٢٧	-----	<b>المبحث العاشر: الضعف في الإعلام.</b>
١٢٧	-----	المطلب الأول: تقصير الدعاة في استخدام الإعلام.
١٢٨	-----	المطلب الثاني: الإعلام من أعظم القوى المؤثرة في تغيير المجتمع.
١٢٨	-----	المطلب الثالث: إيجابيات الإعلام الإسلامي المتوافر.
١٢٩	-----	المطلب الرابع: مظاهر ضعف الإعلام الإسلامي المتوافر.
١٣٠	-----	المطلب الخامس: الإعلام الإسلامي المطلوب.
١٣٢	-----	المطلب السادس: من أهداف الإعلام الإسلامي.
١٣٥	-----	<b>المبحث الحادي عشر: إهمال مهارات التواصل.</b>
١٣٥	-----	المطلب الأول: أهمية مهارات التواصل.
١٣٦	-----	المطلب الثاني: متطلبات مهارات التواصل.
١٤٥	-----	<b>المبحث الثاني عشر: الضعف في إنتاج قيادات مؤهلة.</b>
١٤٥	-----	المطلب الأول: ضعف آليات التجدد والنمو.
١٤٦	-----	المطلب الثاني: الحاجة إلى مؤسسات متخصصة.
١٤٦	-----	المطلب الثالث: بعض الخبرات القيادية التي يحتاجها الدعاة.
١٥٧	-----	<b>المبحث الثالث عشر: التعصب للجماعة.</b>
١٥٧	-----	المطلب الأول: بلاء التعصب.
١٥٨	-----	المطلب الثاني: سياسة الدكاكين والأسوار.
١٥٩	-----	المطلب الثالث: تحول الجماعة من وسيلة إلى غاية.
١٦١	-----	المطلب الرابع: الحل بالتحول إلى التعاون والتفاعل الجماعي.
١٦٢	-----	المطلب الخامس: الجماعية مرحلة باتجاه الجماعة الشرعية.
١٦٥	-----	<b>المبحث الرابع عشر: افتقاد التعاون والتنسيق والتكامل.</b>
١٦٥	-----	المطلب الأول: آمال وآلام.
١٦٦	-----	المطلب الثاني: وجوب التعاون.
١٦٧	-----	المطلب الثالث: أسباب علة التفرق.
١٦٨	-----	المطلب الرابع: من وسائل العلاج:

- ١٦٨ • أولاً: معالجة علة الحواجز النفسية بين العاملين في حقل الدعوة. ---
- ١٧٤ • ثانياً: معالجة علة الاختلاف في الفهم والاجتهاد في العمل الإسلامي.
- ١٧٥ • ثالثاً: معالجة علة تنوع الأهداف وجزئيتها. -----
- ١٧٨ • رابعاً: معالجة علة الاختلاف حول طرائق تحقيق الأهداف. -----
- ١٧٩ • **المبحث الخامس عشر: الاختلاف والصراع بين الجماعات الإسلامية.** -----
- ١٧٩ • **المطلب الأول:** بعض زعامات العمل الإسلامي تؤسس لصراعات بين مكوناته. ----
- ١٨٠ • **المطلب الثاني:** كيف يملك بعض الإسلاميين القدرة على الحوار مع غير الإسلاميين، ولا يجدون سبيلاً للحوار فيما بينهم؟!!-----
- ١٨٢ • **المطلب الثالث:** مبادئ يجب أن يأتمل عليها جميع الدعاة. -----
- ١٨٧ • **المطلب الرابع:** نموذج من الصراعات بين الجماعات الإسلامية "الصراع المقيت بين السلفيين والصوفيين". -----
- ١٨٨ • إنصاف واعتدال أئمة السلفية في مقابل المتطرفين المكفرين من أدياء السلفية
- ١٩١ • مدى خطورة الصراع بين السلفيين والصوفيين. -----
- ٢٠٣ • على السلفيين المتطرفين ترك الصراع والتحول إلى التحوار والتناصح-
- ٢١٨ • دعوة إلى وقف الصراع من أجل المصلحة الكبرى للإسلام. -----
- ٢١٩ • **المبحث السادس عشر: الصراع داخل الجماعة الواحدة.** -----
- ٢٢٣ • **المبحث السابع عشر: إشكالية الفردية والجماعية.** -----
- ٢٢٣ • **المطلب الأول:** سلبيات القيادة الفردية. -----
- ٢٢٦ • **المطلب الثاني:** إيجابيات القيادة الفردية. -----
- ٢٢٦ • **المطلب الثالث:** لا بد من العمل المؤسسي. -----
- ٢٢٧ • **المطلب الرابع:** إيجابيات العمل الجماعي. -----
- ٢٢٨ • **المطلب الخامس:** سلبيات في العمل الجماعي. -----
- ٢٢٩ • **المبحث الثامن عشر: إشكالية الطاعة ومفهوم الجماعة.** -----
- ٢٢٩ • **المطلب الأول:** المغالاة بفرض الطاعة. -----
- ٢٣٠ • **المطلب الثاني:** التفريط بالطاعة. -----
- ٢٣٠ • **المطلب الثالث:** الضوابط الشرعية للطاعة. -----

٢٣٥	-----	<b>المبحث التاسع عشر: إشكالية الولاء والوفاء.</b>
٢٣٥	-----	المطلب الأول: خلط بين مفهومي الولاء والوفاء.
٢٣٧	-----	المطلب الثاني: علامات الولاء للإسلام.
٢٣٨	-----	المطلب الثالث: البراءة لا تعني عدم البر والقسط مع غير المسلمين.
٢٤١	-----	<b>المبحث العشرون: افتقاد المرجعية العامة.</b>
٢٤١	-----	المطلب الأول: المعاناة بسبب فقدان المرجعية.
٢٤٢	-----	المطلب الثاني: هل من الممكن تكوين مرجعية عليا..
٢٤٥	-----	<b>المبحث الحادي والعشرون: علة الغلو والتطرف.</b>
٢٤٥	-----	المطلب الأول: فئات متطرفة..
٢٤٦	-----	المطلب الثاني: فئات تكفيرية.
٢٤٧	-----	المطلب الثالث: أهم بواعث الغلو والتطرف.
٢٥٢	-----	المطلب الرابع: أمثلة على بعض بواعث الغلو والتطرف.
٢٦٠	-----	المطلب الخامس: علاج علة الغلو والتطرف.
٢٦٣	-----	<b>المبحث الثاني والعشرون: إشكالية العلاقة مع الحكومات.</b>
٢٦٣	-----	المطلب الأول: واقع التعامل بين الإسلاميين والحكومات الاستبدادية.
٢٦٤	-----	المطلب الثاني: مساوئ الاحتكام للعنف من الطرفين.
٢٧٣	-----	المطلب الثالث: خداع الطاغوت العالمي.
٢٧٤	-----	المطلب الرابع: كوارث التفرد في القرارات المصرية.
٢٧٥	-----	المطلب الخامس: درجات إنكار المنكر.
٢٧٦	-----	المطلب السادس: واقع التعامل بين الإسلاميين والحكومات الديمقراطية.
٢٨٠	-----	المطلب السابع: من نقاط الاتفاق بين الإسلام والديمقراطية.
٢٨١	-----	المطلب الثامن: من نقاط الاختلاف بين الإسلام والديمقراطية.
٢٨٣	-----	<b>المبحث الثالث والعشرون: إشكالية تأمين معيشة الدعاة.</b>
٢٨٣	-----	المطلب الأول: فشل الحلول الحالية.
٢٨٤	-----	المطلب الثاني: التفرغ هو الحل.

٢٨٦	المطلب الثالث: ثقافة مريضة. -----
٢٨٧	المطلب الرابع: واجب الأغنياء. -----
٢٨٧	المطلب الخامس: تحذير. -----
٢٨٩	المبحث الرابع والعشرون: علة النمو ثم الضمور ثم التفتت. -----
٢٨٩	المطلب الأول: تكرار التجارب التي لا تمتلك حلولاً عامة للأمم. -----
٢٨٩	المطلب الثاني: الحل بالعمل الشوري الجماعي. -----
٢٩١	الخاتمة. -----
٢٩٢	الملاحق. -----
٣٠٥	فهرس الأحاديث الشريفة. -----
٣٠٩	فهرس الفوائد والحقائق. -----
٣٢٧	فهرس المصادر والمراجع. -----
٣٣٥	فهرس المحتويات. -----



## المؤلف في سطور\*

محمد غسان بن خليل الجبّان  
الجنيدى الحسينى

- الجبّان شهرةً، الجنيدى لقباً، الحسينى نسباً.
- ولد بدمشق في جوار جامع بني أمية الكبير عام ١٩٤٧م، وهو من ذرية الشيخ سليمان الجنيدى، ومن أسرة يتصل نسبها إلى الإمام الحسين عليه السلام.
- التحق بمدرسة علم الدعوة والتزكية والحكمة عام ١٩٦١م، التي أسسها الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله تعالى ... ودّرس هذه العلوم على يديه.. كما دّرس العلوم الشرعية على يد عدد من علماء دمشق...
- حصل على إجازة في التدريس الديني والوعظ والإرشاد من سماحة الشيخ أحمد كفتارو عام ١٩٧٦م..
- عمل في حقل الدعوة الإسلامية والتدريس الديني، أكثر من خمسة وأربعين عاماً، وتربّى على يديه مئات من الدعاة، وأعداد كبيرة من شباب الدعوة الإسلامية ...
- حائز على درجة البكالوريوس في العلوم الفيزيائية والكيميائية من جامعة دمشق عام ١٩٧٢م..
- عمل في التعليم الرسمي.
- أسس وأدار عدداً من مشاريع العمل الخيري.
- أسس وأدار عدداً من مؤسسات التعليم الشرعي للمرحلتين: الجامعية والدراسات العليا ..
- عضو مجلس أمناء معهد الشام العالي للعلوم الشرعية واللغة العربية والدراسات والبحوث الإسلامية.
- باحث ومؤلف.

\* انظر: موسوعة الأسر الدمشقية، للدكتور: محمد شريف الصواف، (١/٣٤٥ وما بعدها).

## كتب للمؤلف

### ● سلسلة السير والتراجم:

- ١- العلامة الشيخ أحمد كفتارو - أفكار وأساليب لنهضة الأمة الإسلامية - [الطبعة الأولى].
- ٢- العالم الرياني الشيخ محمد بشير الباني - قبس من حياته وأفكاره - (بالاشتراك) . [الطبعة الأولى] .

### ● سلسلة مجالس التقرب إلى الله تعالى:

- ١- ذكر الله تعالى - طريقك إلى السعادة والنجاح والتفوق - [الطبعة السادسة].
- ٢- أيها المسوفون الوقت ضيق . [الطبعة السابعة].

### ● موسوعة فقه الدعوة والحياة « في شمائل وسيرة

#### وحقوق سيدنا محمد رسول الله ﷺ »

- ١- الأصول في معرفة حقوق الرسول ﷺ [مرحلة الإعداد].
- ٢- كمال رحمته ﷺ . [الطبعة الثانية].
- ٣- كمال حكمته ﷺ . [مرحلة الإعداد].
- ٤- أجزاء أخرى . [مرحلة الإعداد].

### ● سلسلة دراسات وأبحاث:

- ١- مبادئ في الفكر التربوي الإسلامي . [الطبعة الأولى].
- ٢- مبادئ في الفكر الاقتصادي الإسلامي [الطبعة الأولى].
- ٣- مبادئ في فكر الدعوة الإسلامية [الطبعة الثانية].
- ٤- مراجعات في الفكر والعمل الإسلامي الدعوي [الطبعة الأولى].
- ٥- الوصايا (للدعاة) [الطبعة الأولى].
- ٦- خصائص الرسالة الإسلامية [مرحلة الإعداد].
- ٧- نفاق الحكومات الغربية الاستعمارية في قضية حقوق الإنسان [مرحلة الإعداد].

## هذا الكتاب

هذا الكتاب جهد متواضع للإسهام في دعم الصحة الإسلامية، والارتقاء بها... من جهة، وترشيدها وتصويبها ومعالجة مواطن الضعف والخلل فيها من جهة أخرى..

وهو جهد يستند إلى خبرة مديدة فكرية وميدانية في العمل الدعوي الإسلامي وتربية الدعاة، ويستند أيضاً إلى الجرأة الواجبة علينا في النقد الذاتي وإجراء المراجعات في أفكارنا وأساليبنا ووسائلنا وسلوكنا...

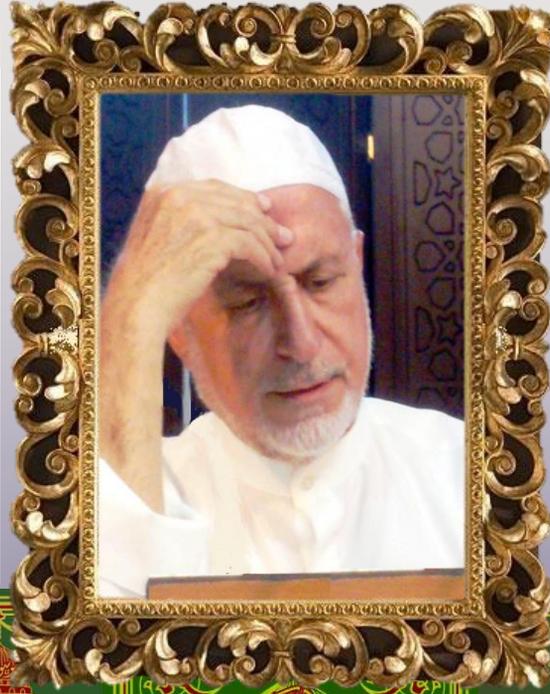
وهذا في اعتقادي سبيلنا الذي يجب أن نلتزم به حتى نصحح سيرنا، ونرضي ربنا، ونحقق أهدافنا..

لذلك فإن على جميع مكونات العمل الإسلامي، إجراء مراجعات وتصويبات دورية، ونقد ذاتي وموضوعي؛ لتحديد نقاط الضعف والقوة، ومواطن العلل والصحة، ووضع خطط وبرامج للإصلاح، وتنفيذها بدقة وبإخلاص، حرصاً على سلامة وديمومة العمل...

عسى الله تعالى أن يكرمنا برؤية الأعمال الدعوية وقد نضجت، ورشدت، واشتدَّ عودُها، وحققت أهدافها..



قصيدة العالم الرباني الدكتور الشيخ  
**محمد رشيد البادي**  
 جس من صحابته وأفكاره  
 إعداد: محمد جواد كرم  
 مؤرخان الربان رضي الله عنهما  
 دار الفقه الإسلامي



سماحة العلامة  
**الشيخ أحمد مختار**  
 أفك وأقواله  
 لتجريد فضيلة الشريعة والرسالة  
 إعداد وترجمة  
**محمد عثمان الجبران**  
 بالتعاون مع علماء الدراسات والبحوث في مجمع البحوث الإسلامية

**الأخلاق في**  
**عقود الرسول**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**فكر الدعوة ورؤية**  
 في شمال وسيرة وخطب سيدنا  
**محمد**  
 رسول الله  
**كتاب حكمتيه**  
 الجزء الأول  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**إيمان المستوفد**  
 الوقت صيق  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**فكر الدعوة ورؤية**  
 في شمال وسيرة وخطب سيدنا  
**محمد**  
 رسول الله  
**كتاب الحكمة**  
 الجزء الأول  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**في**  
**بني الإسلام**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**بني الإسلام**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

سلسلة  
 أبحاث ودراسات  
**٣**  
**مبادئ في**  
**فكر الدعوة الإسلامية**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

سلسلة  
 أبحاث ودراسات  
**٦**  
**خصائص**  
**الرسالة الإسلامية**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

سلسلة  
 أبحاث ودراسات  
**٤**  
**مبادئ**  
**الفكر لاقتضاه**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**صومهم**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**فكرية الإسلام**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

سلسلة  
 أبحاث ودراسات  
**١٢**  
**اعتصام فلسطين**  
 الأحداث الظاهرة والخفية وقضية حقوق الإنسان  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

**ذكر الله تعالى**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

سلسلة  
 أبحاث ودراسات  
**٩**  
**العدو الأجنبي**  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي

# كتب المؤلف

1946 1948 1967 2012  
 إعداد: محمد عثمان الجبران  
 دار الفقه الإسلامي